روائع الخطب المنبرية

تأليف الشيخ

أبي الحسن علي بن محمد المطري

تحقيق وترتيب

أبي العز عبد السلام بن عبده المعبأ

دار القمة
الإسكندرية

دار الإيمان
الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

اسم الكتاب: روائع الخطب المنبرية

تأليف فضيلة الشيخ : أبي الحسن علي بن محمد المطري

رقم الإيداع: ٢٠١٩/٩٧٩٩.

نوع الطباعة: لون واحد.

عدد الصفحات: ٣٧٦.

القياس: ٢٤X١٧.

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف أ / عادل المسلماني.

٢٠١٩

الإدارة

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات

دار القمة لتوزيع الكتاب والشريط الديني

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

E-mail dar_aleman@hotmail.com

دار الإيمان المتحدة

أمام مستشفى الصوفي - أسفل مدارس اليمن الحديثة

مقابل بنك سبأ - شارع رداع - محافظة ذمار

جوال: ٧٧٥٣٠٩٩٣٥

مُقَدِّمَة

إن الحمد للهِ، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفرهِ ،ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل لهِ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده، لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أما بعد :

فإن الله أرسل رسوله محمدًا ﷺ برسالة خالدة صالحة لكل زمان ومكان، وأمره أن يبلغ هذه الرسالة إلى أمته، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [المائدة: ٦٧] .

فقام ﷺ بعون الله وتوفيقه بتبليغ تلك الرسالة وأداء الأمانة على أكمل

وجه، وأبلغه مستعملا في ذلك جميع وسائل التبليغ الراتبة والطارئة، وكان من وسائل التبليغ الراتبة ما يخاطب به الناس كل جمعة، مبينا لهم ما يقتضيه الحال ويتطلبه الموقف، من شرح الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه، واليوم الآخر، وصفة الجنة والنار.

وسار على نهجه دعاة الحق في كل زمان ومكان من الخلفاء والولاة، والوعاظ وأهل العلم إلى وقتنا هذا، وقد مَنَّ الله وله الحمد والمنة عليَّ بهذا المنصب الجليل، إذ يسر لي تولي أمر الخطابة بمركز الإمام / عبد العزيز بن باز، للدراسات الشرعية وإعداد الدعاة في محافظة إب - من بلاد اليمن السعيد.

فألقيت - ولا زلت - والحمد لله أتولى أمر الخطابة لكن لما رأينا حاجة الناس إلى هذه الخطب جعلنا من يفرغها من الإخوة من الأشرطة ثم الكتابة على الحاسوب، ثم تحقيقها والعناية بها، فجزى الله الإخوة خيرًا على ما قاموا به تجاهها - وفقهم الله .

وأقول هذا جهد مقل، وأقول كما قال ابن القيم في مقدمة «حادي الأرواح» (٣٣-٣٤، و «روضة المحبين»ص١٤):

«فيا أيها الناظر فيه لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه، ولك صفوه وعليه كدره، وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك وبنات أفكاره تزف إليك، فإن صادفت كفؤًا كريمًا لم تعدم منه إمساكًا بمعروف، أو تسريحًا بإحسان، وإن كان غيره فالله المستعان وعليه التكلان، وقد رضي من مهرها بدعوة خالصة إن وافقت قبولًا واستحسانًا، وبرد جميل إن كان حظها احتقارًا واستهجانًا، والمنصف يهب خطأ المخطىء لإصابته، وسيئاته لحسناته، فهذه سُنَّة الله في عباده جزاء وثوابًا، ومن ذا الذي يكون قوله كله سديدًا، وعمله كله صوابًا، وهل ذلك إلا

المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى ونطقه وحي يُوحى -ﷺ-» انتهى .

فالله أسأل أن يبارك في هذا العمل، وأن يزقنا الإخلاص والقبول، والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

وَكَتَبَهُ
أبي الحسن علي بن محمد المطري
عفا الله عنه

خواطر بين يدي الخطيب

هذه الخواطر ما هي إلا إشارات مختصرة لمسائل شرعية تخص الخطيب، ربما غفل عنها البعض إما جهلًا منهم، أو تكاسلًا، أو ما علق بأذهان بعض الخطباء من أن الخطبة الشرعية هي ما اعتاده الناس في هذا الزمان، دون النظر إلى أصل بعض المسائل المختصة بخطيب الجمعة.

فلأجل ذا جمعت في هذه الحلقة «خمسة عشر خاطرًا» أرى أن عرضها من الفوائد التي لا يستغنى عنها الخطيب وإن كان بعضها من مسائل الاجتهاد القابلة للأخذ والرد بين أهل العلم .

كما لا يفوتني أن أنبه إلى أنه لا يلزم أن تكون هذه الخواطر راجحة عندي شرعًا بقدر ما أنني إنما أوردتها للفائدة أولًا وأخيرًا، وبالله التوفيق.

١ ـ الإخلاص والمتابعة:

فالذي ينبغي للخطيب في ذلك أن يكون منشأ الخطبة، والسعي إليها وطلبها من باب الإخلاص لله -عَزَّوَجَلَّ- وتبليغًا للدين، ودعوة إلى التمسك بالعقيدة الصحيحة والشريعة السمحة، عملًا بقول النبي ﷺ: «**بلغوا عني ولو آية**»(١) .

ولكن هذا العمل لا يتم قبوله بعد الإخلاص لله -عَزَّوَجَلَّ- إلا بمتابعة النبي ﷺ ، فهذان هما شرطا قبول العبادة لقوله تعالى: ﴿**لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ**﴾ [الملك: ٢] .

قال الفضيل بن عياض -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: أي أخلصه وأصوبه .

---

(١) رواه البخاري رقم (٣٢٧٤) وغيره عن ابن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا .

واعلم بأن الأجر ليس بحاصل إلا إذا كانت له صفتان
لابد من إخلاصه ونقائه وخلوه من سائر الأدران

٢ـ اتخاذ العصا للخطيب:

جاء في ذكر العصا للخطيب روايات متعددة منها: ما رواه الشافعي في الأم عن إبراهيم عن ليث بن أبي سليم عن عطاء مرسلًا أنه ﷺ كان يعتمد على عنزته اعتمادًا» (١) قال الحافظ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في التلخيص: وليث ضعيف.

ومنها: ما رواه أبو داود في سُنَنِهِ من حديث الحكم بن حزن الكلفي، الحديث وفيه: «شهدنا الجمعة فقام متكئًا على عصى أو قوس....الحديث» (٢) .

قال الحافظ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في التلخيص: إسناده حسن، وقد صححه ابن السكن وابن خزيمة وله شاهد من حديث البراء بن عازب عند أبي داود بلفظ: «أن النبي ﷺ نُووِل يوم العيد قوسًا فخطب عليه» (٣).

قال الحافظ في التلخيص: وطوله أحمد ورواه الطبراني وصححه ابن السكن.

وقال سماحة شيخنا العلامة / عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في دروسه على بلوغ المرام في حديث، الحكم بن حزن، ما نصه: الحديث يدل على شرعية الاتكاء على عصا أو قوس، في الخطبة، لأن هذا من شأنه ﷺ، ولعل السر في هذا والله أعلم أنه أجمع لليدين، وأجمع للقلب من الحركة، وأقرب إلى الإقبال على الخطبة.

وقال عن الحديث: إسناده حسن، ورواه أحمد أيضًا، وجاء في الباب آثار أخرى فيها مقال، ولكنها تشهد لهذا المعنى .

(١) ضعيف: رواه الشافعي كما في المسند رقم (٣٤١) وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣٢٤) وفي إسناده ليث وهو ضعيف.
(٢) حسن: رواه أبو داود برقم (١٠٩٦) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود.
(٣) حسن: رواه أبو داود برقم (١١٤٥) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود برقم (١٠١٤).

قلت: وما قاله الشيخ، قاله الشيخ العلامة / محمد بن إبراهيم - رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مفتي الديار السعودية، حيث قال ما نصه: فكونه معتمدًا على قوس أو عصا هو السُّنَّة .

وقد اختار مشروعية العصا جمع من أهل العلم، وبه قال الصنعاني في السبل، والشوكاني في نيل الأوطار .

وذهب ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- إلى خلاف ذلك حيث قال في «زاد المعاد» ما نصه: ولم يكن يأخذ بيده سيفًا ولا غيره، وإنما كان يعتمد على قوس أو عصا قبل أن يتخذ المنبر .. إلخ ..إلى أن قال: فإنه لا يحفظ عنه بعد اتخاذ المنبر أنه كان يرقاه بسيف ولا قوس ولا غيره . انتهى

قلت: ولا أدري ما هو الدليل على ما ذكره ابن القيم من التفريق بين ما كان قبل اتخاذ المنبر، وبين ما كان بعده فربما اطلع على دليل لم أجده حسب البحث القاصر، والله أعلم .

وكان قد أشار في أول كتابه الزاد في فصل هديه ﷺ في الخطبة ما نصه:

وكان إذا قام يخطب أخذ عصًا، فتوكأ عليها وهو على المنبر، كذا ذكره عنه أبو داود عن ابن شهاب، وكان الخلفاء الثلاثة بعده يفعلون ذلك .

ولم يفصل: كما فصل في الموضع السابقٍ ذكره، والتفصيل متأخر عن كلامه في أول كتابه فيكون هو المعتمد عنده، ويحتمل أن يكون كلامه هناك هو المعتمد، على أن لا فرق بين قبل اتخاذ المنبر بدليل استمرار فعل الخلفاء الثلاثة من بعده .

قلت: وقد قال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في دروسه على «زاد المستنقع» إنه إذا احتاج العصا فإنه يشرع له ذلك، وإن لم يحتج إليها فلا، والله أعلم.

٣ـ استحباب قول (أما بعد) في الخطبة:

ذهب جماعة من المحققين إلى استحباب قول الخطيب بعد الحمد والثناء، «أما بعد» وذلك تأسيا بالنبي ﷺ، وقد أشار إلى ذلك ابن القيم وبه قال النووي،والحافظ ابن حجر، والصنعاني، والشوكاني، وجماعة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.

وقد عقد البخاري في صحيحه بابًا في استحبابه، فقال: باب «من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد» وذكر فيه جملة من الأحاديث[(١)] .

قال الصنعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في السبل: وظاهره أنه ﷺ كان يلازمها في جميع خطبه[(٢)].

قال سيبويه: أما بعد، معناها مهما يكن من شيء بعد[(٣)] .

وقال أبو إسحاق الزجاج: إذا كان الرجل في حديث فأراد أن يأتي بغيره قال: أما بعد، وهو مبني على الضم، لأنه من الظروف المقطوعة عن الإضافة.

قلت: وقد اختار ابن مالك ما ذهب إليه سيبويه فقال في الخلاصة:

ما كمهما يكن من شيءٍ وفا ... لتلو تلوها وجوبا أُلفا

---

(١) وهذه بعض الأحاديث التي ذكرها البخاري عند هذا الباب: حديث عمرو بن تغلب: (أن الرسول ﷺ أتي بمال أو بسبي فقسمه فأعطى رجالا وترك رجالا، فبلغه أن الذين ترك عتبوا، فحمد الله، ثم أثنى عليه ثم قال أما بعد: فوالله إني لأعطي الرجال وأدع الرجال والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي ....) الحديث، وحديث عروة أن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أخبرته أن رسول الله ﷺ خرج ذات ليلة من جوف الليل، فصلى في المسجد، فصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا فاجتمع أكثر منهم، فصلوا معه فأصبح الناس فتحدثوا فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة فخرج رسول الله ﷺ فصلوا بصلاته فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ثم قال: أما بعد: فإنه لم يخف علي مكانكم، لكني خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها)، وحديث أبي حميد الساعدي: أن رسول الله ﷺ قام عشية بعد الصلاة فتشهد وأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد، و حديث المسور بن مخرمة قال: قام رسول الله ﷺ فسمعته حين تشهد يقول: أما بعد، وذكر غيرها من الأحاديث، لكنني اكتفيت بهذه حيث أنها كافية شافية .

(٢) سبل السلام ٢/ ٤٠٧ باب: للخطيب رفع صوته وإجزال كلامه والإتيان بجوامع الكلم.

(٣) انظر فتح الباري (٣/ ٣٣١) باب: من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد، وفيض القدير (٢/ ٢١٨).

وقد اختلف أهل العلم في أول من قالها، فقيل: داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيما رواه الطبراني عن أبي موسى الأشعري، وفي إسناده ضعف كما قال الحافظ في الفتح.

وقيل: إنه يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، رواه الدارقطني بسند رواه في غرائب مالك، كما ذكر ذلك الحافظ ابن حجر وقيل غير ذلك .

قال الحافظ ابن حجر -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: والأول أشبه، يعني داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وعلى هذا جماعة من المفسرين (١).

٤ـ افتتاح الخطب:

سار جماعة من الخطباء على صيغة ينكرها كثير من الفقهاء المحققين، ألا وهي افتتاح خطبة الاستسقاء بالاستغفار وخطبة العيدين بالتكبير، وقد رد ابن القيم في الزاد على من فعل ذلك بقوله: وكان لا يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله، وأما قول كثير من الفقهاء إنه يفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار، وخطبة العيدين بالتكبير، فليس معهم فيه سُنَّة عن النبي ﷺ البتة، وسنته تقتضي خلافه، فهو افتتاح جميع الخطب بالحمد لله، وهو أحد الأوجه الثلاثة لأصحاب أحمد وهو اختيار شيخنا - قدس الله سره-.

قال سماحة شيخنا العلامة ابن باز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في دروسه على بلوغ المرام ما نصه: أما ما يروى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة مرسلًا، أنه بدأ الخطبة بالتكبير تسع تكبيرات فليس في الأحاديث الصحيحة ما يدل عليه، بل هو

(١) فائدة: ذكر هذا الاختلاف الحافظ ابن حجر ونصه: واختلف في أول من قالها فقيل: داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، رواه الطبراني مرفوعًا من حديث أبي موسى الأشعري، وفي إسناده ضعف، وروى عبد بن حميد والطبراني عن الشعبي موقوفا أنها فصل الخطاب الذي أعطيه داود، وأخرجه سعيد بن منصور من طريق الشعبي فزاد فيه عن زياد بن سمية، وقيل: أول من قالها يعقوب، رواه الدارقطني بسند رواه في غرائب مالك، وقيل: أول من قالها يعرب بن قحطان، وقيل: كعب بن لؤي، أخرجه القاضي أبو أحمد الغساني من طريق أبي بكر بن عبد الرحمن بسند ضعيف، وقيل سحبان بن وائل، وقيل قس بن ساعدة، والأول أشبه ويجمع بينه وبين غيره بأنه بالنسبة إلى الأولية المحضة والبقية بالنسبة إلى العرب خاصة، ثم يجمع بينها، فتح الباري (٢/ ٤٠٤).

مرسل، والأفضل البدء بالحمد لفعل النبي ﷺ .

قلت: وهو اختيار العلامة محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مفتي الديار السعودية- ولكن يشرع الإكثار من التكبير في خطبتي العيدين، لما روى ابن ماجه في سننه عن سعد أنه ﷺ: كان يكثر التكبير أضعاف الخطبة ويكثر التكبير في خطبة العيدين [١]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في « الزاد » وصوبه شيخ الإسلام. [٢]

٥ـ السُّنَّة القبلية للخطيب وغيره:

اختلف أهل العلم هل للجمعة سُنَّة قبلية أم لا، على قولين: أصحهما وهو الذي دلت عليه السُّنَّة أنه لا سُنَّة لها قبلها، وهذا مذهب مالك، وأحمد في المشهور عنه، وأحد الوجهين لأصحاب الشافعي، لأن النبي ﷺ،كان يخرج من بيته فإذا رقي المنبر أخذ بلال في الأذان[٣] .

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: ومن ظن أنهم كانوا إذا فرغ بلال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من الأذان قاموا كلهم فركعوا ركعتين فهو أجهل الناس بالسُّنَّة .

قلت: وقد احتج بعض أهل العلم على سنية ركعتين قبل الجمعة للخطيب وغيره بما ذكره البخاري في صحيحه فقال: باب الصلاة قبل الجمعة وبعدها ثم ساق بسنده عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين، وبعد المغرب ركعتين في بيته، وقبل العشاء ركعتين، وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين [٤] .

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:لم يقع ذكر الصلاة قبل الجمعة في هذا الحديث، فلعل البخاري أراد إثباتها قياسًا على الظهر .

---

(١) ضعيف: رواه ابن ماجه برقم (١٢٨٧)، قال الشيخ الألباني: ضعيف، انظر ضعيف الجامع رقم (٤٥٩٧) وقال أيضًا في تمام المنة، قلت:ومع أنه لا يدل على مشروعية افتتاح خطبة العيد بالتكبير، فإن إسناده ضعيف فيه رجل ضعيف وآخر مجهول فلا يجوز الاحتجاج به على سنية التكبير في أثناء الخطبة.

(٢) زاد المعاد (١/ ٤٢٥).

(٣) ذكره ابن القيم في الزاد، لكني لم أجده.

(٤) البخاري رقم (٨٩٥).

وقال أيضًا عن حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وهذا لا حجة فيه، ولم يُرِدِ البخاري إثبات السُّنَّة قبل الجمعة، وإنما مراده أنه هل ورد في الصلاة قبلَها أو بعده شيء؟ ثم ذكر هذا الحديث، أي أنه لم يرو عنه فعل السُّنَّة إلا بعدها ولم يرد قبلها شيء [(١)].

قلت: ومن العلماء كالنووي وغيره من احتج بما رواه أبو داود وابن حبان عن نافع قال: كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته، وحدث أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك [(٢)].

وقد أجيب عن هذا بأن قوله: أن رسول الله ﷺ كان يفعل ذلك، أي أنه كان يصلي ركعتين بعد الجمعة في بيته، لا في المسجد ولم يرد أن صلاته قبل الجمعة كانت من فعل النبي ﷺ.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: أما إطالة ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الصلاة قبل الجمعة، فإنه تطوع مطلق، وهذا هو الأولى، لمن جاء إلى الجمعة أن يشتغل في الصلاة حتى يخرج الإمام، قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال رسول الله ﷺ: «**من اغتسل يوم الجمعة ثم أتى المسجد فصل ما قدر له ثم أنصت حتى يفرغ الإمام من خطبته ثم يصلي معه غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام**» [(٣)].

قال الحافظ ابن حجر: ورد في سُنَّة الجُمعة التي قبلها أحاديث أخرى ضعيفة.

٦ـ قد يبدأ الخطيب مشوار الخطابة:

بداية متواضعة يحقر فيها نفسه، ولكن ما أن تقف قدماه على منبر الخطباء النجباء الذين يملكون قلوب الناس قبل أسماعهم إلا وتبقى نفسه عرضة للانزلاق في مهاوي العجب الذي يحمله على الإعجاب برأيه دون غيره، فيقع

---

(١) الزاد الرقم السابق.

(٢) رواه أبو داود برقم (١١٢٨) وابن حبان برقم (٢٤٧٦) والبيهقي في السنن الكبرى برقم (٥٧٣٦)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

(٣) رواه مسلم برقم (٨٥٧).

فريسة للأخطاء ومجانبة الصواب، لا سيما في الأمور المعضلة والنبي ﷺ ذم هذه الصفة بقوله: «إذا رأيت شحًا مطاعًا وهوىً متبعًا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك» .(١)

وأحسن ما يداوي المعجب بنفسه نفسه هو أن ينظر إلى من فوقه علمًا وتواضعًا من سلفنا الصالح وعلمائنا الكرام ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [يوسف: ٧٦] .

قال الشاعر:

من شاء عيشًا هنيئًا يستفِد به ... في دينه ثم في دنياه إقبالا

فلينظرن إلى من فوقه أدبًا ... ولينظرن إلى من دونه مالا

٧ـ ينبغي للخطيب أن ينتبه لناحية مهمة :

تعد مدخلًا واسعًا من مداخل الشيطان، لا سيما إذا كان الخطيب ممن يتجمهر حوله الناس ويكثر محبوه وهذا الأمر المهم هو إرضاء الناس، فالخطيب المشهور تعتريه غالبًا حالتان: إما أن يرضي جمهوره بخطبة فيها تشنج وقوة نقد دون روية أو تسييس، أو يرضي طرفًا آخر غير الجمهور، وكلا الأمرين خطأ فادح ولا أدل على خطأ ذلك من قول النبي ﷺ «**من التمس رضا الناس بسخط الله ، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، ومن التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضا عنه الناس**» (٢)، هذا إن أرضاهم بأمر خاطئ، أما إذا أرضى أحد الطرفين بأمر صواب وهو يقصد إرضاءهم بذلك فهو من باب الرياء وهو الشرك الخفي.

(١) ضعيف: رواه أبو داود برقم (٤٣٤١) والترمذي برقم (٣٠٥٨) قال الشيخ الألباني: ضعيف انظر ضعيف الجامع (٢٣٤٤) .

(٢) حسن: رواه ابن حبان برقم (٢٧٦) ومسند الشهاب برقم (٤٩٩) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن .

٨ـ استيعاب الخطبة للموضوع:

يخطئ بعض الخطباء الفهم حينما يظنون أن الخطبة يمكن أن تستوعب معظم المواضيع التي يراد طرحها، وهذا من وجهة نظري ليس بصحيح، لأنه يوقع في سلبيات متعددة أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

* الإكثار من الأدلة والنقاط المتعلقة بالموضوع، بحيث يُنسي آخرُها أولها.

* الإطالة على المستمعين في الخطبة، ومن ثَمَّ خروجها عن المقصود وهو التخفيف، ولذلك نجد بعض الخطباء قد يتجاوز النصف ساعة فأكثر وهذا مشاهد.

* أن المراد من طرح الموضوع هو التذكير والعظة، وهذا يحصل من دون إطالة، بل يكفي التركيز على أساسيات الموضوع مع عدم لزوم الاستيعاب، لأنه كما قيل: الحر تكفيه الإشارة.

٩ ـ يقع بعض الخطباء ـ وفقهم الله لكل خير ـ في عادة مذمومة:

حيث جمعت مذمتين ألا وهي عادة السجع المتكلف في الخطب، حيث يجمع مذمتين: إحداهما ترادف الكلمات بحيث تصبح الخطبة حشوًا يغني عنه كلمة أو كلمات، والأخرى كون السجع مذموما في بعض الأحوال.

ومما يدل على ذم السجع ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «وقضى بدية المرأة على عاقلتها، وورثها ولدها ومن معهم، فقال حمل بن النابغة الهذلي: يا رسول كيف يُغرم من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل هذا يطل!؟ فقال رسول الله ﷺ: إنما هذا من إخوان الكهان»[١] متفق عليه.

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٤٢٦) وأخرجه مسلم في القسامة باب: دية الجنين ووجوب الدية في قتل الخطأ برقم (١٦٨١).

وقد أخذ العلماء من هذا الحديث أن السجع مكروه لسببين:

الأول: إذا عورض به حكم الشرع كما في الحديث.

الثاني: إذا تكلفه المخاطِب في مخاطبته، وأما إذا لم يتكلفه فإنه لا يكره، وعلى هذا يحمل ما ثبت عنه ﷺ في غير ما حديث من الأحاديث التي ورد فيها السجع، وثبت عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أنها قالت لكاتب: «إياك والسجع فإن النبي ﷺ وأصحابه كانوا لا يسجعون»[١] رواه أحمد بإسناد صحيح، وثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وفيه: «انظر السجع في الدعاء فاجتنبه فإني عهدت النبي ﷺ وأصحابه لا يفعلون ذلك» [٢] .

قال الشيخ سعود الشريم إمام الحرم المكي: وهذا كله محمول على التكلف في السجع.

١٠ـ يحرص بعض الخطباء:

عن حسن نية أن يقرأ في صلاة الجمعة آيات تتناسب مع موضوع خطبة الجمعة، وهذا خلاف السُّنَّة وإن كان عن حسن نية، فإن الأكمل اتباع سُنَّته ﷺ وقد ثبت عنه ﷺ عند مسلم أنه كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة في الركعة الأولى وسورة المنافقين في الركعة الثانية [٣] أو يقرأ في الأولى سبح وفي الثانية الغاشية [٤]، فتبين من هذا أن ما يفعله بعض الخطباء خلاف السُّنَّة، وكذلك الاقتصار على بعض السورة أو يقرأ إحداهما في الركعتين وهذا خلاف السُّنَّة.

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: وجُهال الأئمة يداومون على ذلك، يقصد بذلك من يقرأ بعض السورة أو يقرأ إحداهما في الركعتين .

---

(١) رواه أحمد برقم (٢٤٦٣٦) وأبو يعلى برقم (٤٤٥٧).

(٢) رواه البخاري برقم (٥٨٦٢) باب ما يكره من السجع في الدعاء.

(٣) مسلم رقم (١٤٥١) باب ما يقرأ في صلاة الجمعة.

(٤) مسلم رقم (١٤٥٣) باب ما يقرأ في صلاة الجمعة.

قال الشيخ بكر أبو زيد في كتابه «تصحيح الدعاء» ما نصه: في صلاة الجمعة وفيها:

* العدول عن قراءة السور المشروعة في صلاة الجمعة إلى قراءة سورة أو آيات تتناسب مع موضوع الخطبة .

* قصد قراءة واحدة من السور المشروعة في الركعتين لصلاة الجمعة .

١١ ـ يغفل بعض الخطباء ـ وفقهم الله ـ :

عن التنبيه للداخلين إلى المسجد بعد خروج الإمام الذين يجلسون ولا يصلون ركعتين، والأولى للإمام أن ينبه على ذلك إذا رأى أحدًا دخل دون أن يركع ركعتين، ودليل ذلك ما رواه مسلم من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: جاء رجل والنبي ﷺ على المنبر يوم الجمعة يخطب فقال له: «**أركعت ركعتين قال: لا، فقال: اركع**»(١) .

خلافًا لمالك وأبي حنيفة وغيرهما ممن قالوا لا يصليها، واحتجوا بالأمر بالإنصات للإمام، ولكن هذا القول خلاف الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ كقوله: «**إذا جاء أحدكم يوم الجمعة والإمام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما**»(٢) .

١٢ ـ اعتاد بعض الخطباء :

على أن يستخدم السواك إذا صعد المنبر وجلس للأذان، وهذا - فيما أعلمه - ليس من السُّنَّة، فإن ظن الخطيب أن الاستياك من السُّنَّة فهو بدعة، وأما إذا كان لا يرى أن السواك لا يُحد بوقت، وقد يستحب عند تغير رائحة الفم، فيقال: إن كان كذلك فليحرص الخطيب على ألا يكون عند الصعود على المنبر، لئلا يظُن الناس أنه سُنَّة في ذلك الوقت، والله أعلم.

---

(١) مسلم رقم (١٤٤٦) باب التحية والإمام يخطب.

(٢) مسلم رقم (٨٧٥).

١٣ـ هذه مسألة مهمة يغفل عنها جمهور الخطباء إلا من رحم الله:

ألا وهي مسألة قصر الخطبة وطول الصلاة فالناس فيها بين الإفراط والتفريط إلا من رحم الله، فبعضهم يطيل إطالة مملة، وآخرون يقصرونها تقصيرًا مخلًا، وسبب ذلك هو عدم فهم الحديث الصحيح .

قال أبو وائل: خطبنا عمار فأوجز وأبلغ، فلما نزل قلنا: يا أبا اليقظان ! لقد أبلغت وأوجزت فلو كنت تنفست، - أي أطلت قليلًا - فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه -أي علامة- فأطيلوا الصلاة وأقصروا الخطبة، وإن من البيان سحرًا» (١) .

قال النووي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : حديث أن الصلاة تكون طويلة بالنسبة إلى الخطبة لا تطويلًا يشق على المأمومين . انتهى كلام النووي.

وقد ثبت عند مسلم من حديث جابر بن سمرة قال: «كنت مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصدًا وخطبته قصدًا» (٢) .

قال النووي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : أي بين الطول والظاهر والتخفيف الماحق.

قال الشيخ سعود الشريم-حفظه الله-: فالعجب كل العجب من بعض الخطباء الموصوفين بالعلم كيف يطيلون الخطبة حتى يتجاوز بعضهم ثلاثة أرباع الساعة أو أقل قليلًا ! ولربما قال الناس: ليته سكت، ومن هنا يظهر الفقه الذي ذكره النبي ﷺ في الحديث .

١٤ـ بعض الخطباء لا يعد للخطبة:

إلا في صبح الجمعة أو قبلها بسويعات، والذي يفعل ذلك إن كان فعله له سبب يبيح ذلك له فالضرورة لها أحكام، أما إذا كان ديدنه ذلك أو يقتلع إحدى الخطب ثم يلقيها من على المنبر، فهذا ممن لا يحمل دعوة و لا رسالة

(١) مسلم رقم (١٤٣٧) باب تخفيف الصلاة والخطبة.
(٢) مسلم رقم (١٤٣٣) نفس الباب السابق.

وإنما اتخذ المنبر عادةً أو تكسبًا فلا حول ولا قوة إلا بالله !! .

فالواجب على الخطيب أن يضع كل همه وتفكيره في خطبة الجمعة ويفرغ لها الوقت الطويل لإعدادها الإعداد المناسب حتى تبرأ الذمة ويحصل المقصود .

١٥ ــ رفع الصوت في الخطبة : (١)

كتب بعض المؤلفين كتبًا صدروها بوصايا للخطباء كطريق الخطيب الناجح، وقد أفلحوا في بعضها وأخطأوا في البعض الآخر، وهو كثير نظرًا لاعتمادهم على كتب غريبة في وصف الخطيب الصيت الناجح، ولم يراعوا في ذلك ما كان من هديه ﷺ فكان مما فيها استنكار رفع الصوت في الخطبة، أو الانفعال فيها، وأن ذلك تشنج يثير المستمعين ويذهب بجمال الخطبة وحيويتها، ولا شك أن هذا خطأ واضح لم يكن لقائله نصيب من سُنَّة المصطفى وهديه في خطبته، حيث أنه ثبت عنه ﷺ في صحيح مسلم «**أنه كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه**(٢) **حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم**»(٣) وفي لفظ عند مسلم: «**يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول على إثر ذلك وقد علا صوته**» (٤) .

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الفتح عند شرح حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال تخلف عنا النبي ﷺ الله في سفرة سفرناها فأدركنا – وقد أرهقتنا الصلاة – ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته (ويل للأعقاب من النار) . مرتين أو ثلاثًا .
قال: واستدل المصنف « يعني البخاري »على جواز رفع الصوت بالعلم بقوله فنادى بأعلى صوته وإنما يتم الاستدلال بذلك حيث تدعو الحاجة إليه لبعد أو كثرة جمع أو غير ذلك ويلحق بذلك ما إذا كان في موعظة كما ثبت ذلك في حديث جابر كان النبي ﷺ إذا خطب وذكر الساعة أشتد غضبه وعلا صوته الحديث أخرجه مسلم ولأحمد من حديث النعمان في معناه وزاد حتى لو أن رجلا بالسوق لسمعة.

(٢) قال الإمام النووي: يستدل به على أنهيستحب للخطيب أن يفخم أمر الخطبة ويرفع صوته ويجزل كلامه ويكون مطابقا للفصل الذي يتكلم فيه من ترغيب أو ترهيب ولعل اشتداد غضبه كان عند انذاره أمرًا عظيمًا وتحديده خطبًا جسيمًا .

(٣) مسلم رقم (١٤٣٥).

(٤) المرجع السابق.

فتبين لك أيها القارئ مما سبق ذكره أن رفع الصوت والحماس في الخطبة كان من هديه ﷺ، وهو من الأمور التي لها وقع في قلوب المستمعين مع ملاحظة أن رفع الصوت وعلوه هنا لا يراد به الصراخ المفزع الذي يذهب بجمال الخطبة ووقعها في نفس المستمع، والله أعلم.

١٦ــ قراءة سورة (ق) وهل تقرأ في كل جمعة أم لا ؟:

ثبت عند مسلم في صحيحه من حديث أم هشام بنت حارثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «ما أخذت ق والقرآن المجيد، إلا عن رسول الله ﷺ يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس» (١). (٢).

ولقد اتفق أهل العلم على مشروعية قراءة سورة «ق» على المنبر في خطبة الجمعة بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك، حيث قالوا بمشروعيتها في كل جمعة، وممن ذهب إلى ذلك النووي، والصنعاني وغيرهما.

قال النووي -رَحِمَهُ اللَّهُ- عن حديث أم هشام: وفيه استحباب قراءة «ق» أو بعضها في كل خطبة.

قال الشيخ سعود الشريم -حفظه الله-: ووجه الدلالة على أن المراد عموم الجمع أن لفظة «جمعة» نكرة في سياق الإثبات، وهي لا تفيد العموم، ولكنها أفادت العموم في الحديث بدخول لفظة (كل) عليها، ولكني أقول: إن هذا الحديث هو من العام المخصوص، بدليل أنه ثبت عنه ﷺ أنه خطب خطبًا كثيرة ليس فيها ذكر سورة «ق» فقد روى أحمد وابن ماجه بإسناد حسن أن رسول الله ﷺ قرأ يوم الجمعة «تبارك» وهو قائم .... (٣) . الحديث وروى أبو داود في سُننه عن أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر

(١) قال الإمام النووي: يستحب للخطيب أن يفخم أمر الخطبة ويرفع صوته ويجزل كلامه ويكون مطابقا للفصل الذي يتكلم فيه من ترغيب أو ترهيب ولعل اشتداد غضبه كان عند انذاره أمرا عظيما وتحديده خطبا جسيما.

(٢) مسلم رقم (١٤٤٠) باب تخفيف الصلاة والخطبة.

(٣) رواه ابن ماجه رقم (١١٠١) وصححه الألباني .

(ص) فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه[١] .

قال العراقي: وإسناده صحيح، نقل ذلك الشوكاني في نيل الأوطار.

قال الشوكاني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: بعد ذكر أحاديث كثيرة لا تخلوا من مقال في قراءة سورة من القرآن ما نصه: والظاهر من أحاديث الباب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان لا يلازم قراءة سورة أو آية مخصوصة في الخطبة بل كان يقرأ مرة هذه السورة ومرة هذه ومرة هذه الآية.

١٧ـ إقبال الخطيب بوجهه على المأمومين وعدم التفاته يمينًا ولا شمالًا:

اعتاد بعض الخطباء على الالتفات يمينًا وشمالًا أثناء الخطبة أو عند الصلاة على النبي ﷺ .

قال العلامة القاسمي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-في كتابه «إصلاح المساجد»: ولا أصل لذلك، بل السُّنَّة استقبال الناس بوجهه من أول الخطبة إلى آخرها.

ونقل النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-في المجموع عن صاحب «الحاوي» وغيره أن: هذا الالتفات باطل لا أصل، واتفق العلماء على كراهة هذا الالتفات وهو معدود من البدع المنكرة.

وكان أبو حنيفة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:يرى أنه يلتفت يمينًا وشمالًا في بعض الخطبة كما في الآذان، لكن قال النووي: هذا غريب لا أصل له.

وقد ذكر ابن قدامة وغيره أن من سُنن الخطبة أن يقصد الخطيب تلقاء وجهه، لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك، ولأنه أبلغ في سماع الناس، وأعدل بينهم، فإنه لو التفت إلى أحد جانبيه لأعرض عن الجانب الآخر . والله أعلم.

وذكر الشيخ الألباني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: من البدع الالتفات يمينًا وشمالًا عند قوله آمركم وأنهاكم وعند الصلاة على النبي ﷺ .

---

(١) رواه أبو داود برقم (١٢٠١) وصححه الألباني.

١٨ـ مفهوم الموعظة:

أخطأ بعض الناس من الخطباء وغيرهم في مفهوم الموعظة، فبعضهم قصرها على التخويف، وآخرون قصروها على الترغيب، ونتيجة القولين أحدثت نقدًا من البعض بسبب قصور هذا الفهم على بعض الخطباء الذين يتكلمون في خطبهم عن بعض الأحداث المعاصرة أو نحو ذلك، والتعليق عليها بما ينفع المسلمين، ومن ثم فقد يوجه اللوم على من يسير على هذه الطريق بأنك لا تهتم بالوعظ في الخطب، ولو أنك فعلت كذا وكذا ...إلخ.

وأقول بيانًا لهذا المفهوم البعيد عن الحق:

الوعظ في اللغة: الأمر بالطاعة والوصية بها .

قال ابن سيده في المصباح المنير: وعظه يعظه وعظًا وعظةً: أمره بالطاعة ووصاه بها وعليه قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ ﴾ [سبأ: ٤٦] .

أي: أوصيكم وآمركم فاتعظ، أي ائتمر، وكف نفسه والاسم: الموعظة، وهو واعظ والجمع وعاظ .

وقال الرازي في مختار الصحاح: وعظ (الوعظ) النصح والتذكير بالعواقب.

والوعظ في الاصطلاح: قال عنه العلامة محمد الأمين الشنقيطي –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– صاحب «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» ما نصه:

تنبيه: فإن قيل: يكثر في القرآن إطلاق الوعظ على الأوامر والنواهي . كقوله هنا ﴿ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ مع أنه ما ذكر إلا الأمر والنهي في قوله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ ﴾،وكقوله في (سورة البقرة) بعد أن ذكر أحكام الطلاق والرجعة: ﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِۗ ﴾، وقوله تعالى (في الطلاق) في نحو ذلك أيضًا: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ

مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ . وقوله تعالى في النهي عن مثل قذف عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ . مع أن المعروف عند الناس: أن الوعظ يكون بالترغيب والترهيب ونحو ذلك، لا بالأمر والنهي .

فالجواب أن ضابط الوعظ: هو الكلام الذي تلين له القلوب، وأعظم ما تلين له قلوب العقلاء أوامر ربهم نواهيه . فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم امتثاله، وطمعوا فيما عند الله من الثواب في امتثاله . وإذا سمعوا النهي خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه، وطمعوا فيما عنده من الثواب في اجتنابه . فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الامتثال، فلانت قلوبهم للطاعة خوفًا وطمعًا.

قال الشيخ سعود الشريم –حفظه الله–: وبهذا يتضح غلط من قصر الوعظ على الترغيب والترهيب أو عليهما جميعًا، وبه تبين كذلك أن كل ما أوصل إلى التذكر أو تصحيح الخطأ في كل شأن من شئون الناس الدينية أو الدنيوية، ولذلك جاء الوعظ حتى في الأمر والنهي، كما ذكر ذلك صاحب أضواء البيان آنفًا ....إلخ.

قال الشيخ السعدي –رَحِمَهُٱللَّهُ– في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾: أي الحكم الذي ذكرناه لكم ﴿تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾: أي يبين لكَم حكمه مع الترهيب المقرون به لأن معنى الوعظ: ذكر الحكم مع الترغيب والترهيب .

قال ابن القيم –رَحِمَهُٱللَّهُ–: الموعظة الحسَنة هي:الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب .

١٩ـ أمران يحتاجان إلى تنبيه:

هناك أمران يلفتان انتباهي كثيرًا عند سماع خطب يوم الجمعة في أماكن متفرقة:

الأمر الأول منهما: ما يفعله بعض الخطباء حين استشهادهم في خطبهم ببعض الأيات، حيث يقومون بترتيلها، ولو كانت آيتين فأقل، بل إن بعضهم لا يكاد يمر بآية إلا ويرتلها، ومحط السؤال هنا هو أنني لم أجد - حسب بحثي القاصر - ما يدل على هذا من سُنَّة النبي ﷺ، بل إنني وجدت أحاديث كثيرة يستشهد فيها النبي ﷺ بآية من القرآن، ولم يأت فيها ما يدل أنه كان يرتلها، ومعلوم أن الترتيل إنما يكون عند التلاوة ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤ ﴾ [المزمل: ٤] ...إلخ.

وأما الأمر الثاني: فهو ما يلتزمه بعض الخطباء في خطبهم من التغاير اللافت عند الاستشهاد بالآيات كذلك، حيث إن بعض الخطباء لا يزيد على قوله: قال الله تعالى ... الآية أو نحو ذلك، ولكنه إذا جاء يختم الخطبة بآية قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الآية، ولا شك أن هذا لا وجه له لأمور:

أحدها: أنه ليس قراءة، والله تعالى يقول: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ ﴾ [النحل: ٩٨].

ثانيها: أن النبي ﷺ لم يكن يفعل ذلك حسب الاستقراء في استشهاداته بالآيات.

ثالثها: أن مثل هؤلاء الخطباء يلتزم الاستعاذة في الآية الأخيرة دون ما يسبقها من الآيات، ولا شك أن هذا مثار الإشكال والنقص .

٢٠ـ اقتراح في التجديد:

من خلال استقرائي لجملة من الخطب العصرية لعدد من الخطباء على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم وأقاليمهم، إلا أنني أجد اتفقًا واضحًا في الاستدلال على

المواضيع المطروحة بأحاديث مطروقة مبذولة بكثرة، وليس هذا احتقارًا أو تقليلًا من شأنها كلا، بل إنني أريد أن أصل إلى مرادي، وهو التجديد في الأدلة، لأننا ربما نجد أن الخطباء حينما يخطبون عن موضوع ما، وليكن مثلا بر الوالدين أو صلة الأرحام يتفقون على أحاديث معينة، مع أن هناك أحاديث لا تقل عنها صحة ولا صراحة في الموضوع، ومع ذلك يُغفل عنها .

ولعلي أُرجع السبب في ذلك إلى أن بعض الخطباء يقتبس من غيره، أو أن يكون المرجع في مثل ذلك كتاب «رياض الصالحين» وهو كتاب عظيم، لكنه لم يستوعب الأحاديث كلها، والذي أُريد أن أصل إليه هو أن اختيار الأحاديث التي تخفى على كثير من الناس بسبب قلة طرحها يضيف إليهم جديدًا، وهو معرفة الحديث والعمل به، وفي هذا خير كبير للأمة وغاية ما يحتاج إليه الخطيب هو التنقيب في بطون كتب الحديث والخروج بمثل هذه الفوائد ...إلخ .

٢١ــ الصلاة على النبي ﷺ على المنبر أو الأمر بها:

اشترط بعض أهل العلم الصلاة على النبي ﷺ في الخطبة وعدها من أركان الخطبة وقالوا يتعين لفظ الصلاة .

قال ابن قدامة –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– : ويحتمل أن لا يجب الصلاة على النبي ﷺ لأن النبي ﷺ لم يذكر في خطبته ذلك .

وسئل الشيخ عبد الرحمن بن سعدي –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– عن حكم اشتراط الأركان الأربعة في كل من الخطبتين، ويقصد بالأركان الأربعة:

١–الحمد والثناء على الله تعالى .

٢–الصلاة على رسول الله ﷺ .

٣–الوصية بتقوى الله.

٤–قراءة آية من القرآن.

فأجاب: اشتراط الفقهاء الأركان الأربعة في كل من الخطبتين فيه نظر، وإذا أتى في كل خطبة بما يحصل به المقصود من الخطبة الواعظة الملينة للقلوب فقد أتى بالخطبة ولكن لا شك أن حمد الله والصلاة على رسول الله ﷺ وقراءة شيء من القرآن من مكملات الخطبة وهي زينة لها .

فائدة:

جرت عادة كثير من الخطباء أن يختموا الخطبة بالصلاة على النبي ﷺ أو الأمر بذلك، وهذا لا دليل عليه في هذا الموضع، والأولى ألا يقتصر على هذا في موضع واحد إن كان، فتارة يصلي عليه في أولها، وأخرى في وسطها، ولا يلتزم موضعًا لئلا يوهم أن ذلك السُّنَّة .

وهل يأمر المصلين بذلك ؟ .

الجواب: لا دليل على الأمر بها، ولا مانع من ذلك أحيانًا للتذكير بفضلها، لاسيما في يوم الجمعة لأن الخطبة للموعظة والتذكير والإرشاد، وأما الديمومة فلا دليل عليها، ولكن عمل الناس من قديم الزمن على ذلك، ولا أعلم مستندًا لهذا غير أن شيخ الإسلام ابن تيمية: أشار إلى مثل هذا فلم ينكره حيث قال: وذلك أن الله تعالى أمر في كتابه بالصلاة والسلام عليه مخصوصًا بذلك فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

فهنا أخبر وأمر، وأما في حق عموم المؤمنين فأخبر ولم يأمر، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ولهذا إذا ذكر الخطباء ذلك قالوا إن الله يأمركم بأمر بدأ فيه بنفسه وثنى بملائكته، وأيَّه بالمؤمنين من بريته، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ .انتهى

٢٢ـ الدعاء حال الخطبة:

هذه المسألة تشتمل على أمرين:

الأول منهما: الدعاء في الخطبة مطلقا وحكمه .

والأمر الثاني: إن كان مشروعا فهل هو مختص بعموم المسلمين، أو يجوز أن يشرك فيه السلطان وولي الأمر؟ .

* أما الدعاء في الخطبة من حيث الأصل، فقد قال في «المُغني»: ويستحب أن يدعو للمؤمنين والمؤمنات ولنفسه والحاضرين، قال في «الإنصاف»: بلا نزاع، وأشار بعض أهل العلم أنه باتفاق الأربعة، لأن الدعاء مسنون في غير الخطبة ففيها أولى، وقال الرملي في كتابه «نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج للنووي»: ويسن الدعاء للمؤمنين بأخروي لا دنيوي لاتباع السلف والخلف ولأن الدعاء يليق بالخواتيم.

قال شيخنا الشيخ محمد بن عثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في شرحه على «الزاد»: وينبغي أيضًا في الخطبة أن يدعو للمسلمين الرعية والرعاة ...إلخ، ثم قال: لكن قد يقول قائل: كون هذه الساعة مما يرجى فيها الإجابة، وكون الدعاء للمسلمين فيه مصلحة عظيمة موجودة في عهد النبي ﷺ وما وجد سببه في عهد النبي ﷺ ولم يفعله النبي ﷺ فلابد من دليل خاص يدل على أن النبي ﷺ كان يدعو للمسلمين، فإن لم يوجد دليل خاص فإننا لا نأخذ به، ولا نقول إنه من سُنن الخطبة، وغاية ما نقول: إنه من الجائز، لكن قد روي أن النبي ﷺ: «كان يستغفر للمؤمنين والمؤمنات في كل خطبة» فإن صح هذا الحديث فهو أصل في الموضوع، وحينئذٍ لنا أ، نقول: إن الدعاء سُنَّة .

أما إذا لم يصح فنقول: إن الدعاء جائز، وحينئذ لا يتخذ سُنَّة راتبة يُطب عليه لأنه إذا اتخذ سُنَّة راتبة يُواظب عليه فهم الناس أَنه سُنَّة، وكل شيء يوجب أن يفهم الناس منه خلاف حقيقة الواقع فإنه ينبغي تجنبه . انتهى.

قال الشيخ سعود الشريم: الحديث الذي ذكره شيخنا أخرجه البزار عن سمرة بن جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» .

وقال الحافظ ابن حجر -رَحِمَهُٱللَّهُ- في «بلوغ المرام»:رواه البزار بإسناد فيه لين.

أما الدعاء للسلطان أو ولاة أمور المسلمين فهذا لا يخلوا من حيث القسمة من حالين:

* الحال الأولى: أن يُدعى له مطلقًا دون تقييد بخطبة أو غيرها .

* الحال الثانية: فهي أن يُدعى له حال الخطبة.

أما الحال الأولى:

فإن من اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة: طاعة ولاة الأمر بالمعروف، وأن ذلك فريضة ما لم يأمروا بمعصية، والدعاء لهم بالصلاح والتوفيق للخير والسداد .

قال الطحاوي-رَحِمَهُٱللَّهُ- في متنه في الاعتقاد عن الإئمة والولاة: ونرى طاعتهم من طاعة الله - عَزَّوَجَلَّ- فريضة ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة ... إلخ .

قال بعض أهل العلم: وأما الدعاء مطلقا لولي أمر المسلمين منهم فهو من سُنن الهدى، ومن ذلك ما ثبت عن الفضيل بن عياض أنه قال: لو أن لنا دعوة مستجابة ما صيرناها إلا للإمام. ونسب بعض أهل العلم ذلك للإمام أحمد أيضًا كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره .

وفي كتاب «السُّنَّة للخلال » بسنده عن الإمام أحمد: وإني لأدعو له -الإمام- بالتسديد والتوفيق في الليل والنهار والتأييد، وأرى ذلك واجبًا علي.

وقد ذكر أبو عبد الله-الخليفة المتوكل-فقال:إني لأدعو له بالصلاح والعافية.

وقد ثبت عنه أنه دعا للمتوكل وقال: أيده الله، ثم قال: وإني أسأل الله أن يديم توفيق أمير المؤمنين أعزه الله بتأيده، ثم قال: فأسأل الله أن يستجيب في

أمير المؤمنين صالح الدعاء، وأن يتم ذلك لأمير المؤمنين - أدام الله عزَّه - وأن يزيد في نيته ويعينه على ما هو عليه .

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : في رسالته «الجواب الباهر في زوار المقابر» التي وجهها إلى السلطان، فكان مما قال فيها: وإني لما علمت مقصود ولي الأمر السلطان أيده الله وسدده فيما رسم به ... ثم قال أيضًا: فأنا أعلم أن الحق ظاهر مثل الشمس يعرفه أقل غلمان السلطان، الذي مارئي في هذه الأزمان سلطان مثله، زاده الله علما وتسديدًا وتأييدًا .

قال الشيخ سعود الشريم -حفظه الله-: ومن تتبع كلام أهل السُّنَّة والجماعة علم أن الدعاء مطلقا لولاة الأمر بالصلاح والهداية أمر مبذول ومطروق، لأن الدعوة بالصلاح للسلطان متعدية المصلحة، بحيث إنه إذا صلح صلح بصلاحه العباد والبلاد، ومما يستأنس به فيما يتعلق بالدعاء لولاة الأمر ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال : «**خير أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم وشرار أئمتكم الذين يبغضونكم وتبغضونهم وتلعنونهم ويلعنونكم**» [(١)] الحديث .

والمقصود بالصلاة هنا «الدعاء» على أحد التفاسير، هذا حاصل ما يخص الدعاء للسلطان مطلقًا دون تقييد.

أما الحالة الثانية:

وهي الدعاء للسلطان أثناء الخطبة فللعلماء في ذلك أقوال، أسرد منها ما وقفت عليه على قولين:

* القول الأول: وهم الذين منعوا من الدعاء للسلطان أثناء الخطبة، وقالوا: إن هذا محدث لا أصل له، مع عدم ممانعتهم للدعاء له في غير الخطبة، وممن قال بذلك عطاء كما روى الشافعي في «الأم» بسنده عن ابن جريج قال:

(١) رواه مسل برقم (٣٤٤٧) .

قلت لعطاء ما الذي أرى الناس يدعون به في الخطبة يومئذٍ أبلغك عن النبي ﷺ أم عن من بعد النبي ﷺ ؟ .

قال: «لا إنما أحدث إنما كانت الخطبة تذكير».

قال النووي عن رواية الشافعي هذه: إسنادها صحيح، إلا عبد المجيد فوثقه أحمد ابن حنبل ويحيي بن معين، وضعفه أبو حاتم الرازي والدارقطني .

قال الشافعي -رَحِمَهُ اللَّهُ- في «الأُم» فإن دعا لأحد بعينه أو على أحد كرهته، ولم تكن عليه عيادة .

وقال البيهقي -رَحِمَهُ اللَّهُ- في «السُّنن الكبرى» باب ما يكره من الدعاء لأحد بعينه أو على أحد بعينه في الخطبة، ثم أورد أثر عطاء ثم أسند عن ابن عون قال: نبئت أن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كتب ألا يُسمَّى أحد في الدعاء .

واستدل القاضي أبو يعلى على أنه لا يستحب بأثر عطاء السابق .

وقد ذكر الشاطبي في كتابه «الاعتصام» عن العز بن عبد السلام أن الدعء للخلفاء بدعة محبوبة ... لم يكن ليها من تقدم .

قال الشيرازي صاحب «المهذب»: وأما الدعاء للسلطان فلا يستحب، يعني في الجمعة، لما روي أنه سُئل عطاء عن ذلك فقال: إنه محدث وإنما كانت الخطبة تذكيرًا.

قال صاحب «الدر المختار» الحنفي: ويندب ذكر الخلفاء الراشدين والعمّين يعني حمزة والعباس لا الدعاء للسلطان، وجوزه القهستاني، ويكره تحريما وصفه بما ليس فيه .

وقال في «البحر الرائق»للحنفية: إنه لا يستحب، واستدل بقول عطاء .

قال الحافظ ابن حجر -رَحِمَهُ اللَّهُ-في «الفتح»: وقد استثنى من الإنصات في الخطبة ما إذا انتهى كلام الخطيب إلى كلام لم يشرع في الخطبة مثل: الدعاء للسلطان مثلًا!

بل جزم صاحب «التهذيب» بأن الدعاء للسلطان مكروه . واستثنى الحافظ ابن حجر ما إذا خشي على نفسه فيباح له، وأما إذا لم يخف الضرر فلا .

والقول الثاني: ذهب أصحابه إلى أن السلطان يُدعَى له أثناء الخطبة.

وإليك بعض عبارتهم في هذا:

قال ابن قدامة– رَحِمَهُ ٱللَّهُ –: وإن دعا لسلطان المسلمين بالصلاح فحسن.

واستدل بدعاء أبي موسى الأشعري لأبي بكر وعمر أثناء الخطبة .

قال الشيخ سعود الشريم –حفظه الله–: ولم أقف على سند هذه الرواية حسب البحث، قال ابن قدامة: ولأن سلطان المسلمين إذا صلح كان فيه صلاح لهم، ففي الدعاء له دعاء لهم، وذلك مستحب غير مكروه .

وجوز الدعاء له في الخطبة القهستاني من الحنفية، وتبعه ابن عابدين في حاشيته، فقال: هذا الكلام بتمامه، ثم يدعوا لسلطان الزمان بالعدل والإحسان متجنبًا في مدحه عما قالوا: إنه كفر وخسران كما في الترغيب وغيره.

وقال أيضًا: بل لا مانع من استحبابه فيها كما يدعو لعموم المسلمين، فإن في صلاحه صلاح العالم وما في البحر من أنه محدث لا ينافيه، فإن سلطان هذا الزمان أحوج إلى الدعاء له ولأمرائه بالصلاح والنصر على الأعداء.

وقال أيضًا: فإن الدعاء لسلطان على المنابر قد صار الآن من شعار السلطنة، فمن تركه يخشى عليه ولذا قال بعض العلماء: لو قيل إن الدعاء له واجب لما في تركه من الفتنة غالبا لم يبعد، كما قيل به في قيام بعضهم لبعض .

والظاهر أن منع المتقدمين مبني على ما كان في زمانه من المجازفة في وصفه، مثل: السلطان العادل الأكرم شاهنشاه الأعظم ملك رقاب الأمم، ففي كتاب «الردة من التاتارخانية » سئل الصفار: هل يجوز ذلك ؟ فقال: لا، لأن بعض ألفاظه كفر، وبعضها كذب .

وقال أبو منصور: وأما شاهنشاه فهو من خصائص الله تعالى بدون وصف الأعظم لا يجوز وصف العباد به، وأما مالك رقاب الأمم فهو كذب .

وقال ابن عابدين أيضًا: قال في البزازية فلذا كان أئمة خوارزم يتباعدون عن المحراب يوم العيد والجمعة.

وقال أيضًا: أما ما اعتيد في زماننا من الدعاء للسلاطين العثمانية أيدهم الله تعالى كسلطان البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين فلا مانع منه والله تعالى أعلم.

وقال شمس الدين الرملي من الشافعية: بل يسن ولا بأس، كما في الروضة والمجموع، بدعاء لسلطان بعينه إذا لم يكن في وصفه مجازفة.

وقال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في «المجموع » : وأما الدعاء للسلطان فاتفق أصحابنا على أنه لا يجب ولا يستحب، وظاهر كلام المصنف وغيره أنه بدعه، إما مكروه وإما خلاف الأولى، هذا إذا دعا له بعينه، فأما الدعاء لأئمة المسلمين وولاة أمورهم بالصلاح والإعانة على الحق والقيام بالعدل ونحو ذلك، ولجيوش الإسلام فمستحب بالاتفاق، والمختار أنه لا بأس بالدعاء للسلطان بعينه إذا لم يكن مجازفة في وصفه ونحوها، والله أعلم .

وقال النووي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: يكره المجازفة في أوصاف السلاطين وكذبهم في كثير من ذلك كقولهم: السلطان العالم العادل ونحوه .

وقال الشيخ عبد الله أبا بطين: الدعاء حسن، يدعى بأن الله يصلحه ويسدده، وينصره على الكفار وأهل الفساد، بخلاف ما في بعض الخطب من الثناء والمدح بالكذب، وولي الأمر إنما يُدعى له لا يمدح لاسيما بما ليس فيه، وهؤلاء الذين يمدحون في الخطب هم الذين أماتوا الدين، فمادحهم مخطئ، فليس في الولاة اليوم من يستحق المدح، ولا أن يثنى عليه، وإنما يُدعى لهم بالتوفيق والهداية.

وفي فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ما نصه: «الأفضل إذا دعا الخطيب أن يعم بدعوته حكام المسلمين ورعيتهم، وإذا خصَّ إمام بلاده بالدعاء بالهداية والتوفيق فذلك حسن، لما في ذلك من المصلحة العامة للمسلمين إذا أجاب الله الدعاء .

وسئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة سماحة شيخنا العلامة عبدالعزيز بن باز -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بما نصه:

« **هل يصح للخطيب أن يمدح سلطان البلد أثناء الخطبة ؟** .

فأجابت اللجنة بما نصه:«الأصل في خطبة الجمعة تعليم أمور دينهم، ووعظهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر،وتوجيههم إلى ما فيه مصلحتهم في الدنيا والأخرة . لكن إذا دعت الحاجة إلى ذكر ما فيه من محاسن الإسلام درءًا لفتنة الخروج عليه، وترغيبًا للناس في موالاته ولزوم الجماعة، وتشجيعًا له على فعل الخير فلا حرج في ذلك، بل هو حسن لعظم المصلحة في ذلك . وبالله التوفيق .

٢٣ـ التزام كثير من الخطباء ببعض الألفاظ في الخطبة على الديمومة:

إن المتتبع لكثير من خطباء المسلمين اليوم ليكاد يجدهم متفقين على التزام بعض الألفاظ في الخطب على الديمومة، وقلَّ أن يتركوا هذه العادة، بل ربما ظن كثير من العامة أن مثل هذه الألفاظ يعد من صلب الخطبة، أو أن الخطبة تكون ناقصة من دون إيرادها، أو أن يحصل النكير من بعض العامة إذا تركت، وما ذاك إلا لكثرة مداومة الخطباء عليها، وأذكر على سبيل المثال بعض الألفاظ كقولهم مثلًا:

في اختتام آخر الخطبة الأولى بآية، وقبل أن يختم بهذه الآية يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، في حين إنه لا يستعيذ بالله في إيراد غيرها من الآيات .

المواظبة على ختم الخطبة بقول بعضهم: أقول قولي هذا وأستغفر الله...

الخ. وإن كان بعض أهل العلم يذكرها في كتبهم إلا أنه لا دليل على ما ذكروه فمن ذلك ما قاله البغوي: «ويستحب أن يختم خطبته بقوله: أستغفر الله لي ولكم». وبمثل ذلك قال النووي.

وكذلك قول بعضهم على سبيل الديمومة: هذا وصلوا رحمكم الله ... إلخ في آخر الخطبة الثانية، أو جعل محل الصلاة على النبي ﷺ في هذا الموضع دائمًا.

قول بعضهم في آخر الخطبة الثانية على سبيل الديمومة: عباد الله، اذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم ... الخ .

وهناك ألفاظ أخرى كثيرة منها ما يتفق عليه كثير من خطباء العالم، ومنها ما اتفق عليه خطباء أقطار معينة بحسب عرفهم وعادتهم في هذه الخطب.

وهذه الألفاظ قلَّ أن تختفي لدى كثير من الخطباء، وقد عدَّ بعض أهل العلم التزام ذلك من البدع، وإن كنت أستثقل إطلاق التبديع في مثل هذا، غير أن الذي ينبغي للخطيب أن ينوِّع في مثل هذا، لئلا يظن الناس أن هذا من الواجب، بل إن ترك الشيء لتوضيح الحقيقة قد يجب على المسلم الذي يقتدى به، بل ترك السُّنَّة أحيانًا إذا ظن بعض الناس من خلال المواظبة عليها أنها واجبة، فإن هذا الترك يكون مستحبًا، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: « فإنه إذا ظن العامة أن المواظبة على قراءة السجدة والإنسان في فجر الجمعة من الواجب ؛ فإنه يستحب تركها أحيانًا لإزالة هذا اللبس » .

وقد قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في مثل هذا أيضًا: ولهذا كره من كره من الأئمة المداومة على قراءة هذه السورة في فجر الجمعة، يعني سورة السجدة دفعًا لتوهم الجاهلين.

وقال شيخنا العلامة محمد بن صالح العثيمين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: « وكل شيء يوجب أن يفهم الناس منه خلاف حقيقة الواقع فإنه ينبغي تجنبه » اهـ . من الشامل في فقه الخطيب والخطبة للشيخ سعود الشريم .

٢٤ـ فائدة جليلية لا بن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :

يتحدث ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- واصفا خطب النبي ﷺ وما آلت إليه الحال بعد النبي ﷺ في عصر ابن القيم فيقول: وكذلك كانت خطبه ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيمانًا وتوحيدًا، ومعرفة بالله وأيامه، لا كخطب غيره التي إنما تفيد أمورًا مشتركة بين الخلائق وهي النوح على الحياة والتخويف بالموت، فإن هذا أمر لا يحصل في القلب إيمانًا بالله، ولا توحيدًا له، ولا معرفة خاصة به، ولا تذكيرًا بأيامه، ولا بعثًا للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة، غير أنهم يموتون وتقسم أموالهم، ويبلي التراب أجسامهم . فيا ليت شعري أي إيمان حصل بهذا ؟ وأي توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل بهومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه، وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله، وذكر آلائه تعالى التي تحببه إلى خلقه، وأيامه التي تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره الذي يحببهم إليه، فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه إلى خلقه، ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم إليه، فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم، ثم طال العهد، وخفي نور النبوة، وصارت الشرائع والأوامر رسومًا تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها، فأعطوها صورها، وزينوها بما زينوها به، فجعلوا الرسوم والأوضاع سننًا لا ينبغي الإخلال بها، وأخلوا بالمقاصد التي لا ينبغي الإخلال بها، فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر وعلم البديع، فنقص بل عدم حظ القلوب منها وفات المقصود بها (١) اهـ .

---

(١) نقلاً من كتاب "وميض من الحرم" للشيخ سعود بن إبراهيم الشريم ص (٦: ٢٢) .

١ -فضل سورة العصر

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النِّسَاء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١]. [١].

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يقولها بين يدي كلامه وكان يعلم أصحابه أن يجعلوها بين يدي كلامهم في أمور دينهم سواء كان خطبة نكاح أو جمعة أو غيرها، قال العلامة الألباني في مقدمة رسالته «خطبة الحاجة»: قد تبين لنا من مجموع الأحاديث المتقدمة أن هذه الخطبة تفتتح بها جميع الخطب سواء كان خطبة نكاح أو جمعة أو غيرها فليست خاصة بالنكاح كما يظن، وقال أيضًا: هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه وكان السلف يفتتحون بها خطبهم في دروسهم وكتبهم.
رواها الترمذي رقم (١١٠٥) والنسائي (٣/ ١٠٥) وأحمد (٣٧٣٠) وعبد الرزاق (١٠٤٤٩) وأبو داود (٨/ ٢١) والحاكم (١٨٣) والطحاوي (١-٢) والطيالسي (٣٣٨) والبغوي (٣٣٦٨) والبيهقي (٣/ ٢١٢) والطبراني في الكبير (١٠٠٨٠) وصححها الألباني في رسالته «خطبة الحاجة»

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها[١]، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .

معاشر المؤمنين: خطبتنا معكم في هذه الجمعة تأملات في سورة قصيرة جزيلة عظيمة في معناها، قليلة في ألفاظها، هذه السورة هي سورة (العصر»، تلكم السورة التي يحفظها المسلمون، لكن قليل من يتدبرها ويعمل ما فيها من العمل، هذه السورة المباركة تحمل في طياتها سعادة البشرية، والخير والفلاح، والنجاح في الدنيا والآخرة .

هذه السورة المباركة نزلت في العهد المكي[٢] على قلب محمد ﷺ، ومن حرص أصحاب رسول الله ﷺ أن كان أحدهم يلتقي بالآخر فلا يفارق أحدهما الآخر حتى يقرأ عليه هذه السورة المباركة فيما رواه الطبراني من حديث أبي مدينة الدارمي – وكانت له صحبة – قال: « كان الرجلان من أصحاب النبي ﷺ إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾ [العصر ١-٢] ثم يسلم أحدهما على الآخر» .[٣]

والإمام المبجل أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المطلبي يقول فيما صح عنه: لو ما أنزل الله على عباده إلا هذه السورة لوسعتهم، أو قال: لو تدبروها لوسعتهم[٤]، وما ذلك إلا لعلمه بما تحمله هذه السورة من غزارة المعنى .

فيا أيها المسلمون: هذه السورة الكريمة يصدرها رب العالمين، الذي أنزل

---

(١) وهذه سُنَّة من سُنن النبي ﷺ كما جاء في صحيح البخاري من حديث مرة الهمداني أنه سمع عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: (إن أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها و﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾) صحيح البخاري رقم(٦٧٣٥) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب:الاقتداء بسُنن رسول الله ﷺ.

(٢) المكي: هو ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة وهذا هو المشهور وهو القول الراجح .

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٢/ ١١/ ٥٢٨١) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٦٤٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٧٩) .

القرآن الكريم، بأداة من أدوات القسم، وهو الواو، ولله أن يقسم بها شاء من خلقه، وما يقسم الله إلا بأمر عظيم، وله قدر عنده وشرف رفيع، فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾.

والمراد به على خلاف بين أهل التفسير، المراد به الدهر كله مرور الليالي والأيام، وما ذلك إلا لأهمية الوقت، وأنه واجب على المسلم أن يستغل أيامه وحياته كلها، ولا ينبغي أن يتركها تمر عليه سبهللا، ويجب على المسلم أن يتعلم أن وقته وعمره رأس ماله، وأنه ثماره في الدارين، فوجب عليه أن يتخذ له من الوقت سبيلًا إلى مرضاة الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - .

الوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراه أسهل ما عليك يضيع

من المسلمين من يضيعون أوقاتهم، وليت ذاك كان في مباح مجرد، لكنهم قد يضيعونه في حرام - عياذا بالله - في سهرات وفي نظر إلى ما يسخط الله -عَزَّوَجَلَّ- ثم يعد ذلك يريدون الاستفادة من الوقت، وكأنه يمتلك هذا الوقت مع أن أي لحظة إذا مرت بك يا عبد الله لن تعود إلى قيام الساعة، وأنك محاسب عن هذا الوقت والعمر، قال الله - جَلَّ وَعَلَا - في كتابه الكريم: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ۝١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ ۝١١٣ قَٰلَ إِن لَّبِثۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ لَّوۡ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١٤﴾ [المؤمنون ١١٢-١١٤].

تعالى الله وجل الله أن يخلق عباده هملًا أو يتركهم سدى، فالله خلق عباده لمقصد عظيم ولأمر رفيع، وهو عبادة الله جَلَّ وَعَلَا كما قال- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

وصح عن نبينا ﷺ أنه قال: «**لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ... ومن هذه الأربع: عن عمره فيما أفناه وشبابه فيما أبلاه**»[(١)] .

(١) حسن: رواه الترمذي (٢٣٤٠) وحسنه الألباني .

وقيل لبعض الصالحين: اجلس لنتحدث قليلًا فقال له: احبس الشمس .

والمعنى: إذا كنت قادرًا على إيقاف الشمس فأنا أنتظر معكم قليلًا، وأكون قد احتسبت هذا من عمري الذي أمتلكه لكن لما كان ليس بمقدور العبد فلا يجوز له أن يضيع لحظة من حياته .

وهذا إمام من الأئمة سفيان بن سعيد الثوري كان جالسًا مع أصحابه يتحدث ثم تذكر الوقت وما فيه من الأهمية فقال: أنا ههنا أتحدث معكم بما لا يفيد والنهار يعمل عمله، فقام يتوضأ ثم دخل في صلاته .

لعم هؤلاء الصالحين أن أوقاتهم إما عمار وإما دمار إما أن يكون عمرك نافعًا لك في الدارين، وإما أن تتضرر بهذا العمر يوم أن تنفقه بما لا يعود عليك بالنفع لا في الدنيا ولا في الآخرة .

فالله ربنا أقسم بهذا الوقت بل بأشرف الوقت وهو « العصر » ذلكم الزمن المحدد فيه الصلاة الوسطى، ومعنى الوسطى أي الفضلى، التي فسرها النبي ﷺ بأنها صلاة العصر يوم غزوة الخندق قال: « **شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر** »(١)، فكان تفيره مقدما على غيره من التفاسير .

ثم بعد هذا القسم العظيم يحكم الله - عَزَّوَجَلَّ - على بني آدم من أولهم إلى آخرهم، عربيهم وعجميهم، ذكورهم وإناثهم، بأنهم في خسارة في الدارين، فقال -جَلَّوَعَلَا-: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ ﴾ .

أكد هذا بمؤكدين اثنين والمراد بالإنسان أي جنس الإنسان فهذه الألف واللام التي في كلمة الإنسان تسمى عند علماء العربية، بلام الاستغراق، أو أل: الاستغراقية، أو الجنسية أي تعم جميع بني آدم .

ثم يستثني ربنا -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- فئة من الخلق اجتمعت فيهم أربعة أوصاف، فكانت أوصافهم هذه رافعة لهم من حضيض الخسارة في الدنيا والآخرة،

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٩١٧) ومسلم (٩٩٧) عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فقال ربنا – جَلَّوَعَلَا – ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، فهذا يعتبر استثناء بعد حكم عام شامل، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣ ﴾ أما ما يتعلق بأمر الإيمان، فالإيمان عند علمائنا هو: نطق باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

والإيمان هو: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله ﷺ، ومن الإيمان أن تؤمن بما جاء من عند الله على لسان رسول الله ﷺ، وأن تؤمن بكل ما جاء في الكتاب والسُّنَّة، سواء كان أمرًا علميًا أو كان أمرًا غيبيًا، فإن الله قد امتدح أولئك القوم بقوله سبحانه: ﴿ الٓمٓ ١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ ﴾ [البقرة: ١-٣]، أي بما غاب عن أذهانهم وعن حواسهم، فهم يؤمنون به، لأن الذي أخبر بذلك هو الله –سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ– ولا بد لهذا الإيمان من عمل، وإلا كان مجرد دعوى .

والــدعــاوي إن لم يقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

فلا يكفي أن يقول العبد: أنا مؤمن وهو مفرط بالعمل، فإن الله يقرن بين الإيمان والعمل، في آيات كثيرة من سور القرآن يقول جَلَّوَعَلَا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ ﴾ [الكهف: ١٠٧]، إلى غير ذلك من الآيات يقرن بين الإيمان والعمل الصالح .

ويروى عن الحسن البصري –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– أنه كان يقول: ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، وإنما الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل .

مؤمن من المؤمنين يقول: هو يؤمن بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، يؤمن بكل ما أخبر به الله –عَزَّوَجَلَّ– ورسوله ﷺ لكنه لا يؤدي الصلاة المفروضة، فأي إيمان يزعمه هذا الرجل ؟ عنده نقص في

إيمانه، يوم أن ترك شعيرة من الشعائر العظيمة، لقد حكم العلماء على تارك الصلاة بالكفر المخرج من الملة، عملا بقول النبي ﷺ «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»[1]، وحديث «**ليس بين الرجل والشرك أو الكفر إلا الصلاة فمن تركها فقد كفر**»[2].

رجل يزعم الإيمان ثم بعد ذلك يقع في كثير من الحرام، يقع في الزنا، واللواط، أو الربا، وكثير من المحرمات، ثم يقول بعد ذلك: أنا مؤمن، وعلى عمل صالح.

يا عباد الله: لابد أن نجمع بين الإيمان والعمل الصالح الذي عناه الله بقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ فليس أي عمل يكون نافعًا، إنما ينفعنا العمل الذي يكون صالحًا، ولا يكون العمل صالحًا إلا بخمسة شروط:

الأول: الإخلاص لله تعالى.

الثاني: المتابعة لسُنَّة رسول الله ﷺ.

الثالث المحبة والرغبة، إذا عبدت الله تعالى لابد أن تكون محبًا لهذا العمل، ومحبًا لله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – وراغبًا يوم أن تقوم بهذا العمل.

الرابع والخامس: الخوف والرجاء، فهما بمثابة الجناحين للطائر إن كسر أحد الجناحين ما استطاع الطائر طيرانًا فهكذا العبد لابد أن يكون بين الخوف والرجاء، يرجو ما عند الله، ويخشى من عذاب الله، ولقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا صلى الوتر يقنت قائلًا: «**اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، ونرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك بالكفار ملحق**»[3].

---

(١) صحيح: رواه أحمد (٢٩٨٥٩) والترمذي (٢٥٤٢) والنسائي (٤٥٩) والحاكم (١١) من حديث بريدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصححه الألباني.

(٢) رواه مسلم (١١٦).

(٣) صحيح: رواه ابن أبي شيبة (٢/ ٢١٣) وعبد الرزاق (٣/ ١١٠) وصححه الألباني في الإرواء (٢/ ١٧١).

فقد كان هؤلاء يدركون أنه لابد من إيمان ولابد من عمل، و لابد أن يكون العمل عملا صالحًا، وإلا كان مردودًا على صاحبه، نسأل الله السلامة والعافية.

صلى من أجل فلان أو من أجل أن يراه مديره في العمل، أو أراد أن يتزوج من آل فلان فصلى وصام كما قيل:

صام وصلى لأمر كان يقصده فلما قُضِيَ الأمر فلا صلى ولا صام

فهذا العمل باطل لا يقبله الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣]، ويقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في الحديث القدسي: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه**» (١)، ويقول الله للمرائين يوم القيامة: «**اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم في الدنيا، هل تجدون عندهم من جزاء**» (٢)، وهكذا من عمل عملاً مخالفًا لما جاء عن رسول الله ﷺ، لأن هذا الدين وهذا العمل له ميزانان اثنان:

ميزان باطني وهو: الإخلاص .

وميزان ظاهري وهو: اتباع سُنَّة محمد ﷺ .

فإذا كان العمل قد قصر من أحدهما كان مردودًا على صاحبه، يقول ﷺ: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» (٣)، و يقول ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» (٤)، والله عَزَّوَجَلَّ - يقول: ﴿ مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ

---

(١) رواه مسلم (١١٦).

(٢) صحيح: رواه أحمد رقم (٢٢٥٢٨) والبيهقي في «شعب الإيمان رقم (٦٢٦٣)»، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٥٥).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٢/ ٧٥٣) ومسلم (٣٢٤٣).

(٤) رواه مسلم (٣٢٤٢) فائدة: قال الإمام النووي: وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام وهو من جوامع كلم النبي ﷺ فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات.

فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ [النساء: ٨٠]، ويقول سبحانه: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

ولو قال قائل: أنا أطمع في الأجر كثيرًا فبدلًا من صلاة الجمعة ركعتين أجعلها أربع ركعات، أو ست ركعات، قلنا له: إنه آثم لأنه خالف سُنَّة رسول الله ﷺ، يقول: أنا صليت ستًا أكثر من ركعتين، نقول: نعم، قال: أيعذبني الله من أجل الصلاة، قلنا: لا، تعذب من أجل مخالفتك لسُنَّة رسول الله ﷺ لذا يقول سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ [الحجرات: ١]. فلا ترفع صوتك على صوت رسول الله ﷺ حيًا، و لا ترفع صوتك على سُنَّة رسول الله ميتاً، فالأمر في ذلك سيان.

وهؤلاء قوم أتعبوا أنفسهم ليلًا ونهارًا، فقدموا أعمالًا كثيرة لكنها غير صالحة، إما أن تكون مفتقرة إلى إخلاص، أو إلى متابعة لسُنَّة رسول الله ﷺ، فكانوا يوم القيامة من أشقى أهل الأرض.

يقول تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الغاشية:٢]، أي أنها نصبت من كثيرة العمل أي تعبت وبعد هذا قال سبحانه: ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ ﴾، بعد العمل، وبعد الكد، وبعد الجد في الأعمال ما قبلت أعمالهم يوم القيامة: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الغاشية ١:٧]، ثم بين الله طريقة الأعمال المقبولة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾ والمراد بالسعي: الأعمال التي قدمتها في الدنيا، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف:١٠٣]، فلابد أن تفهموا هذه الشروط الخمسة، ولابد أن نتسائل جميعًا عن أعمالنا كلها سواء كان ذلك من صلاة

أو بر أو معاملة حسَنة مع الجيران، على أي عمل قدمته لله - عَزَّوَجَلَّ- وجب عليك أن تتأمل في هذه الشروط الخمسة: الإخلاص، والاتباع، والمحبة لله، والخوف، والرجاء.

نضرب مثالًا آخر: لو أن رجلًا يطيع أباه ليلًا ونهارًا لكن هذه الطاعة ليست مبنية على أن الله هو الذي أمره، وإنما يطيع والده من أجل الميراث، أو من أجل المال، لا أن الله هو الذي أمر بذلك كما قال جَلَّوَعَلَا: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾ [الإسراء: ٢٣]، كان هذا من البر مرفوضًا، لأنه لم يكن على إخلاص فوجب على العبد أن يبر والديه لا ينبغي له أن يحسب مالًا أنفقه في حال إنفاقه على والديه في حال صحة أو مرض بأي أمر من الأمور، وجب عليه أن يعلم أن الله هو الذي أمر بذلك، وهكذا ما يتعلق بأمر الجار، إن أحسن إلى جاره لا ينبغي له أن يَمُّنَ، لأن الله هو الذي أمرك بذلك أن تحسن إلى الجار .

وهكذا ما يتعلق بالضيف، وهكذا ما يتعلق لازوجة والولد، أمور كثيرة تفتقر إلى إخلاص فهذان الأمران، الإيمان والعمل الصالح، وجب على المؤمن أن يتأمل فيهما فالله- جَلَّوَعَلَا- رفع الخسارة والهلاك عن المؤمن العامل عملًا صالحًا فكان مستثنى من أهل الخسارة .

ثم كانت الخصلة الثالثة في هؤلاء المؤمنين قال:﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ١ ﴾ بعد الإيمان وبعد العمل الصالح تواصوا بالحق والمراد بالحق: كل الحقوق من الخير، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله أن تدعو إخوانك المسلمين إلى هذا الحق، وإن كنت أنت تعرف الحق وجارك لا يعرفه فبين له هذا الحق، إن كان صاحبه على معصية وأنت على طاعة، وجب عليك أن تبين له طريق الطاعة، فكانت هذه أمانة عند أهل الإيمان والعمل الصالح، أن يدعو المسلمين إلى الحق .

كانت الخيرية لهذه الأمة يوم أن اتسموا بهذه الشعيرة العظيمة قال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وهذا أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمع بعض المسلمين في زمانه من إذا قيل له: هذا أمر بمعروف أو نهي عن منكر قال: دعوا الناس، كما هو حال كثير من المسلمين اليوم إذا رأيت سارقًا أو زانيًا أو فاجرًا فأردت أن تأمر بالمعروف وأن تنهى عن المنكر، قال: دع الناس وشأنهم، فسمع أبو بكر هذه المقولة واستدل لها قائلها بقول الله -تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [المائدة: ١٠٥].

فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما صح عنه في مسند الإمام أحمد قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ تَقْرَءُونَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ ﴾ إلى آخر الآيَة، وَإِنَّكُمْ تَضَعُونَهَا عَلَى غَيْرِ مَوْضِعِهَا وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ وَلَا يُغَيِّرُوهُ، أَوْشَكَ اللهُ أَنْ يَعُمَّهُمْ بِعِقَابِهِ**» (١).

فإذا رأيت منكرًا على ولدك أو على ابنتك أو على جارك أو على صديقك، فمن الرحمة ومن الإيمان والعمل الصالح أن تنصح أخاك المسلم رأيته على سبيل المثال يتناول السجائر ليشربها، فنقول له: اتق الله وتذكره بما يترتب على ذلك من الأمراض والخسائر من الإسراف والتبذير، ومن مؤاذاة الجليس أمور كثيرة يطول شرحها فتنصحه أن يتوب إلى الله - عَزَّوَجَلَّ - .

رأيت من يتأمل إلى النساء إن أقبلت المرأة نظر إلى صدرها وإن أدبرت

---

(١) صحيح: رواه أحمد (١٦).

نظر إلى ظهرها تقول له: اتق الله لا يجوز لك أن تنظر إلى ما حرم الله، فإن الله يقول: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [النور: ٣٠] .

وهكذا في كل حق عرفته من أمر الله وجب علينا أن يوصي بعضنا بعضًا بذلك، فوجب على المسلم أن يعلم أن هذه مسئولية ليست مسئولية العلماء أو الدعاة إلى الله أو طلاب العلم، فما من أحد منا إلا وهو يريد جنة عرضها السماوات والأرض، يقول ﷺ: «**الدال على الخير كفاعله**» (١)، ويقول ﷺ «**من دعا إلى هدى كان له مثل أجور من تبعه إلى يوم القيامة**» (٢) .

لو أنك نظرت إلى رجل لا يصلي ولا يخرج الزكاة المفروضة، فذهبت زائرًا أو مُسَلمًا واستأذنته أن تلقي بعض النصائح عليه فاستجاب لك، يا عبد الله لابد أن تعلم يقينًا أن أي سجدة أو تسبيحة أو ريال أخرجه في سبيل الله أنت مشارك له بالأجر .

رأيت رجلا عاقًا لوالديه فنصحته أن يبر والديه وأن يحسن إليهما، كنت مشارك في الأجر يقول سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣] .

رأيت من قد رفع أطباق الأجهزة التي خربت أخلاق المسلمين وأفسدت فطر المسلمين فنصحته وقُدتَه إلى الله – عَزَّوَجَلَّ – وبينت له خطر هذا الجهاز، فإن تركه كنت مشاركًا له في هذا، وكنت يوم القيامة في صحبة النبيين، فإن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر يكون قد أقام نفسه مقام رسول الله ﷺ يبلغ عن جبريل عن رب العالمين .

اللهم بارك لي ولكم بالقرآن العظيم أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم .

---

(١) رواه مسلم (٣٥٠٩).
(٢) رواه مسلم (٤٨٣١).

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد الأولين والآخرين، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين .

عبادَ الله: ومما أوصانا الله -عَزَّوَجَلَّ- به وجعل ذلك علامة لرفع الخسران عنا في الدنيا والآخرة، بعد الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق، أن يوصي بعضنا بعضًا بالصبر، فتصبر أخاك المسلم على طاعة الله وتصبره عن معصية الله، وتصبره على أقدار الله المؤلمة.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد [(١)]، ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: وجدنا خير عيشنا في الصبر [(٢)] .

والصبر قد ذكر في آيات كثيرة تجاوزت المائة، وما ذلك إلا لأهميته فأنت تحتاج إلى الصبر على مدار اليوم والليلة، إن أردت أن تقوم إلى الطاعة تحتاج إلى الصبر، وإن أردت أن تترك المعصية فتحتاج إلى الصبر، وإن نزل بك شيء من الأقدار المؤلمة أنت تحتاج إلى الصبر، فأنت تحتاجه مع أبيك وأمك، ومع أهلك وولدك، وتحتاجه مع المسلمين عمومًا .

وإن الذين فرطوا في هذا الباب ربما ابتلوا بكثير من الأمور التي - عياذًا بالله - أفضت بهم إلى أمراض مستعصية، إما جلطة في الدماغ، وإما بعض الأمراض التي لايوجد لها علاج - عياذًا بالله- وما ذلك إلا لأهمية هذا الأمر، لو أن العبد المسلم يتلقى أقدار الله بالرضى وبالتسليم كم من رجل حدث عن

(١) ضعيف: رواه البيهقي في الشعب رقم (٤٠) وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٥٣٥).
(٢) رواه البخاري معلقا (باب الصبر عن محارم الله)و أبو نعيم في الحلية (١/ ٥٠).

أمر حصل إما انحراق بيته أو ماله أو موت أعز الناس إليه، فإما أن يصاب بالجنون أو يصاب بأمور كثيرة جدًا، وهكذا بعض المسلمين فيما هو أنزل من هذا، ربما كان ركز على امرأة من أجل أن يتزج بها وفجأة غيره أخذها من طريقه، فبعد ذلك يظل معقدًا مدى الحياة والواجب أن يرضى وأن يسلم، وأن يعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن .

الصبر مثل اسمه مر مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

وقال آخر:

صبرت ومن يصبر يجد غب صبره ألذ وأحلى من جني النحل في الفم

فمن دعى إلى الطاعة كالصلاة مثلًا وهو في نوم أو في شغل له، فليعلم أنه يترتب على الصلاة أجور كثيرة، وقبل ذلك أوجبها الله، وأنه يترتب على بقائه الحرمان والخسران، ويترتب سخط الرحمن فلابد أن يتأمل في هذين القضيتين، وأن يصبر على طاعة الله وعن معصية الله .

رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فعليه أن يتأمل فيما يترتب على جريمته من اختلال في الأرحام، وهكذا في توريث من ليس بوارث، وعلى دخول في القوم من ليس منهم، وعلى انتهاك حرمات الله، وعلى أن هذه معصية يغضب الله -عَزَّوَجَلَّ- لها فعليه أن يصبر، وأن يحتسب الأجر لله -عَزَّوَجَلَّ- رجل نزل به الأقدار المؤلمة فعليه أن يتذكر أن هذا الأمر قضاه الله، قال -تعالى-: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧] .

أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا من عباده الصادقين، وأن يرفع درجاتنا في المهديين وأن يرينا الحق حقا فيرزقنا اتباعه، والباطل باطلًا فيرزقنا اجتنابه.

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ،ومن اليقين ما تهون به علينا مصيبات الدنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ،ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا (١).

* اللهم أصلح قلوبنا، وأصلح عيوننا، وأصلح ألسنتنا، واحفظ فروجنا.
* اللهم إنا نسألك صلاحًا عامًا شاملًا للبلاد والعباد
* اللهم احفظ أولادنا وبناتنا ونسائنا، واحفظ المسلمين أجمعين.
* اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، إنك سميع مجيب الدعوات.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٢) وحسنه الألباني.

٢- المــــوت

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين: روى الإمام الطبراني في «معجمه» من حديث سهل بن سعد، ومعاذ بن جبل،وعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بألفاظ متقاربة، أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أرسل جبريل إلى النبي ﷺ فقال: « يا محمد عش ما شئت فانك

ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به واحبب من شئت فانك مفارقه واعلم ان شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناؤه عن الناس» (١) .

يا عباد الله، يا أمة محمد ﷺ:

هذا الخطاب من ربكم -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- يحمله جبريل الذي يحكي الله -عَزَّوَجَلَّ- عنه ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥] .

هذا الرسول الكريم ينزل بهذه الجمل الخمس، وبهذه التوجيهات الحقائق العظمى، لمن يا ترى ؟ لعبد مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، هو سيد الأولين والآخرين، وهو حبيب رب العالمين، أول من ينشق عنه قبره، وأول من يقعقع باب الجنة، فيقول خازنها: من ؟ فيقول: محمد، فيقول: أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك) (٢) .

هذا النبي الكريم ﷺ: هو صاحب القرآن المعجزة العظمى، وهو صاحب الخلق العظيم، وهو صاحب الشفاعة العظمى، واللواء المعقود، والحوض المورود، هو صاحب الفخر في الدنيا والآخرة، إذ يقول ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**» (٣) .

وهذا جبريل ينزل إليه بهذه الحقائق قائلًا: «عش ما شئت فإنك ميت» وإن طالت بك الليالي والأيام، فإنك لا شك من أهل الموت، وهذه حقيقة يعرفها ﷺ ويعرفها غيرها غيره من الناس، ولكنها الأماني والغرور سيطرت على كثير من الناس فصاروا يجعلونا في عالم المنسيات، وتراه يكدح ليلًا ونهارًا وكأنه قد قدر على هذه الدنيا ولبسها وأمسكها إمساك اليد، ولن تفلت من بين يديه وهذا غرور يا عباد الله .

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤/ ٣٦٠) والحاكم (٧٩٢١) وحسنه الألباني انظر الصحيحة (٨٣١).
(٢) رواه مسلم (١٩٧) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) رواه مسلم (٨٧٢٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

مضى الدهر والأيـام والذنب وجاء رسول الموت والقلب غافل
نعيمك في الدنيا غـرور وحرة وعيشك في الدنيا محال وباطل

لذا يقضي الله على جميع بني الإنسان بالموت فيقول: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر:٣٠] ، ويقول سبحانه: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ، ويقول سبحانه: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٦] ، ويقول سبحانه: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَـٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الجمعة: ٨] .

يا عباد الله: وإن طال العمر فلا ينبغي أن تغتر بهذه الدنيا، وإن كثرت الأموال والضيعات بين يديك، فلا تظن أنك قادر عليها وإنما هو سراب، يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَـٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَـٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَـٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَـٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يونس: ٢٤].

هذا مَلِكٌ من ملوك الدولة العباسية، بلغ ملكه أطناب الدنيا من أقصاها إلى أقصاها، إنه أبو جعفر، ومن ذا الذي قرأ التاريخ فلم ير هذا الرجل العملاق؟! لقد ابتنى قصرًا عظيماً في بغداد وبنى حول القصر مدينة عظيمة وسمى القصر بقصر الخلد ، وسمى المدينة مدينة السلام، وكان بعض المنجمين قد نظر في النجوم، وهي نظرة كاذبة، أن من سكن هذا القصر لا يمكن أن يموت فابتسم

أبو جعفر، وما كان له أن يبتسم لأن هذا يدجل عليه ويكذب، ونبينا ﷺ يقول: «**من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد**» (١) ، فقال هذا الكاهن: أرى أن من سكن هذا القصر لا يموت فيأتي أبو العتاهية شاعر الزهد والحكمة فيقول لأبي جعفر:

عش ما بدا لك سالمًا ... في ظل شاهقة القصور
يجري عليك بما أردت ... مع الغدو في البكور
فإذا النفوس تغرغرت ... بزفير حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنًا ... ما كنت إلا في غرور

وفعلًا كان في غرور، فقد تهدم قصره، وحشرجت نفسه، وهو ليس راضيًا، فإن طالت بنا الأيام، وإن تقادمت بنا الأعمار فإن مصيرنا إلى تلك الحقيقة، إنها حقيقة الموت، التي لا يستطيع أحد أن يدفعها عن نفسه، لا يستطيع قوي بقوته، ولا ذو مال بماله، ولا ذو جاه بجاهه، بل يلج القصور فيقعقعها على أصحابها فيسكنهم في اللحود، وإن رغمت أنوف.

أين الملوك وأبناء الملوك ومن ... كانت لهم عزة في الملك قعساء
نالوا يسيرًا من اللذات وارتحلوا ... برغمهم فإذا النعماء بأساء

فهذا خطاب من الله، لهذا النبي الكريم ﷺ، ولأتباعه إلى يوم الدين، ولبني الإنسان عمومًا، عش ما شئت يا عبد الله، من الليالي والأيام، ولكن مصيرك إلى تلك اللحظة الحاسمة نزلت بكل إنسان .

---

(١) رواه أبو داود (٣٩٠٥) وابن ماجه (٣٧٢٦) وأحمد (٢٠٠٠) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومـن نـزلـت بساحته المنايا فـلا أرض تـقـيـه ولا سـماء
وأرض الله واسـعـة ولكن إذا نزل القضاء ضاق الفضاء

فقد كان ﷺ يعالج سكرات الموت ويقول: «إن للموت لسكرات»[١]، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩: ١٠٠]، ويقول سبحانه: ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: ١٩].

فيا عبد الله: اعلم أن لك ليلتين ويومين، فالليلة واليوم الأول كنت في هذه الدنيا وما هي إلا ومضة نظر فإذا بك في عالم آخر، فما أنت قائل لربك غدًا، فهل أعددت لمثل هذه المواقف ؟ هل أعددت لما بعد الموت ؟ وهو المستقبل الذي يجب أن تهتم به، يقول ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له من بعد موته**»[٢].

ويقول ﷺ: «**يتبع الميت ثلاثة: أهله، وماله، وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقى عمله**»[٣]، فهل أعددت لهذا العمل الذي سيكون رفيقًا لك في قبرك، يوم أن يتخلى عنك المال والأهل والولد، ويعودون، وربما كانوا ساخطين عليك لأنك لم تترك لهم من الأموال الكثيرة وربما أصدر بعضهم عبارت نابية تزعجك إن سمعتها، فهل هذا جزاء الإحسان، فأنت تؤثر على نفسك من لا يعذرك، وتترك المال لمن لا يشكرك، فماذا أنت قائل لربك ؟ فكن كيسًا فطنًا فهذا توجيه من الله - عَزَّوَجَلَّ - لنبينا ﷺ، وهو توجيه لنا بني الإنسان، أنه متى ما عشنا في هذه الدنيا فلا تفرح بها، وإنما هي لحظات

(١) رواه البخاري (٤١٨٤) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.
(٢) رواه مسلم (١٦٣١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) متفق عليه: رواه البخاري (٦١٤٩) ومسلم (٢٩٦٠) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

سرعان ما تزول، وإذا بنا في عالم آخر.

ثم يعقب جبريل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- توجيهًا ثانيا ونصيحة أخرى: «وأحبب من شئت فإنك مفارقه» وفي هذا يجب على الإنسان ألا يفرح بما آتاه الله - عز وجل - فرح الغرور، فمهما أعطيت من خيرات هذه الدنيا من صحة وعافية وسعة رزق، أو زوجة أو ولد، فلا ينبغي لك أن تكترث به أعظم من اكتراثك بدين الله وحبك لله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فإنك إن أحببت شيئًا فانيًا، فأنت مفارقه بخلاف ما إن كانت محبتك للقرآن، ومحبتك للدين، ومحبتك للطاعات، فهذه تبقى حسنات ينفعك الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بها في يوم كان مقداره خمسين ألف سَنة، ثم تنفعك في جنات النعيم كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ ﴾[يونس: ٩].

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه يغفر لكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله: اتقوا الله، ومواصلة لحديث نبينا ﷺ وهو يوجهنا، وعلى المؤمن أن ينتفع بمثل هذه المواعظ كما قيل: من كان له من نفسه واعظ لم يزل عليه من الله حافظ، فهذه المواعظ إن أنت عملت بها نفعك الله بها في الدنيا والآخرة فاسمع بارك الله فيك إلى بقية هذه النصائح العظيمة وذلك أن نبينا ﷺ يقول: «**أتاني جبريل فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك مجزي به**» [1].

فمهما عملت يا عبد الله من خير أو شر فأنت الذي تجازى به وفي هذا دليل على عظمة الإخلاص، وعلى أن الإنسان مؤاخذ بعمله، وفي هذا دليل على وجوب تصفية النية من كل شائبة، وعلى أن يكون العبد متوجهًا إلى الله في أعماله دقيقها وجليلها، ظاهرها وباطنها يقول تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)** ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

ويقول تعالى: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ (٤٧)** ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، فمن فعل الخير وجد الحسنات يوم القيامة، ومن عمل الشر - والعياذ بالله- وجد السيئات أمامه فلا يلومنَّ إلا نفسه كما يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «**يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيرًا**

---

(١) سبق تخريجه.

فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه»(١) .

من يعمل الحسنات الله يشكرها والـشر بالشر عند الله مثلان

ففي ذلك اليوم العظيم تجد سجل الحسنات، وتجد سجل السيئات، فما أنت قائل لربك عبد الله ؟ فصحح من ساعتك عبد الله وبإمكانك أن تصحح النية، وأن تصحح الخطرات الواردة على قلبك، ليكون قلبك صحيحًا سليما فمن صلح قلبه صلحت جوارحه، ومن فسد قلبه فسدت جوارحه، والله المستعان.

فعلى كل أحد أن يعلم فيما كلفه الله من عمل ليقوم به خير قيام، ليكون أمينًا على توحيد ربه وطاعته وتعظيمه، والعمل بسُنَّة رسول الله ﷺ، والقيام بأمانة الولد، وحقوق الجار، والوالدين، وبما كلف به من عمل إن كان موظفًا، فعليه أن يقوم به خير قيام، وليعلم أنه إن خان في عمله فإنه سيلقى شرًا في ذلك اليوم، فليراقب الله - سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ - ولتكن رقابته لله أعظم من رقابته لزميله أو مديره، وليعلم أن من خان في عمله وأخذ على ذلك رشوة أو ما شابهها فإنما هو يضر نفسه، ولا ينبغي له أن يحتج بالكبار إن سرق خمسين ألفًا، قال قد سرق غيري أكثر من ذلك فليس هذا بدليل فمن سرق فإنما يضر نفسه في الدنيا والآخرة، وهذا الذي أعطيته وجب عليك أن تحمد الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عليه ، وإن أنت حمدته فسوف يجعل الله القليل كثيرًا، وإن أنت طمعت في غيره فإنك لن تراه شيئا، يقول ﷺ: «**من فتح على نفسه باب مسألة لم يزل في فقر**»(٢)، فهكذا من نظر في حق الآخرين، أو من لم يكفه ما أعطاه الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- فإنما هو يتكثر بمثل ذلك، وإذا فعل ذلك فعاقبته إلى قلة، والله المستعان.

كذلك عباد الله يوجهنا ﷺ، إلى قيام الليل قال: «**واعلم أن شرف المؤمن**

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) رواه أحمد (٩٤١١) وابن حبان (٣٣٨٧) عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، صحيح الجامع (٣٠٢٥).

قيامه بالليل»، فأين الفرائض عباد الله ؟ نبينا ﷺ يلفت انتباهنا إلى قيام الليل قال: «واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل»، ولقيام الليل أثر في إصلاح الأفراد والأسر والمجتمعات يقول ﷺ: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى الله تعالى ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد»[1] . رواه أحمد بن حنبل في مسنده من حديث بلال بن رباح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ .

هذا توجيه من رسول الله ﷺ، فدأب الصالحين من قبلنا كانوا يحافظون على قيام الليل فنحن نطالب أنفسنا برأس المال، ناهيك عن الأرباح، فقد حصل التفريط فيها إلا من منَّ عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وقليل ما هم، ثم نختم هذه النصيحة الموجزة بقوله ﷺ «وعزه استغناؤه عن الناس» وفي ذلك دليل على أن يكون المؤمن غنيًا بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - فإذا كنت قد استغنيت بالله فما ظنك بغيره ؟ وماذا تريد من غيره ؟ فقد كتب بعض الصالحين ينصح أخًا له في الله قائلًا له:فإن كان الله معك فمن تخاف ؟ وإن كان عليك فمن ترجو ؟ وفي هذا دليل على الإخلاص والرضا والتسليم والوثوق برب العزة والجلال فإذا وثقت به فمعاشرتك للناس وجلوسك مع الناس إنما هو من باب الاستئناس وإلا فقلبك مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفي هذا دليل على أن يكون العبد متعلقًا بالله معتصما بأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سواء كنت في الشرق أو الغرب وأخوك من الناحية الأخرى فأنت معتصم بالله وهو كذلك فكلكم تعملون لله،

ماذا التقاطع في الإسلام بينكم وأنتم يا عباد الله إخوان

فإن حصلت الاستجابة والاعتصام بالكتاب والسُّنَّة فعل الناس كلهم ما يرضي الله سبحانه، فكانوا أحبة في الله متآخين، وإن لم تجتمع أجسادهم، فقد اجتمعت قلوبهم .

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٩) انظر صحيح الجامع .

ونبينا ﷺ يقول: «**الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**»[(١)] .

نسأل الله -عَزَّوَجَلَّ- أن يصلح قلوبنا وأوالنا، اللهم أصلح أحوال المسلمين، اللهم لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته، ولا غماً إلا فرجته، ولا دينا إلا قضيته .

(١) رواه البخاري (٣١٥٨) ومسلم (٢٦٣٨) عن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا.

٣ - واجب أولياء الأمور تجاه الحفاظ على العفاف

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المسلمين :

يأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عباده المؤمنين والمؤمنات لاسيما ولاة أمورهم أن يجنبوا أنفسهم ومن استرعاهم الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- من رعيتهم عن النار، فإن

أجسامهم لا تقوى على ذلك فيقول جَلَّ وَعَلَا بعد أن خاطب عباده المؤمنين والمؤمنات بألطف نداء وأعظم خطاب فقال – جَلَّ وَعَلَا – : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾ [التحريم: ٦] .

ذهب الكثير من المفسرين إلى أن المراد بذلك التأديب والتعليم، فقال علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ : إنهم ولاة الأمور فكان واجبًا على ولي الأمر أن يكون ذا غيرة شديدة وإلا كان العقاب أليمًا يقول ﷺ «ثلاثة لا يدخلون الجنة» ومن ذلك الديوث، قيل: وما هو ؟ قال: «الذي يقر الخبث في أهله»[(١)]، فلا يبالي في ابنته، ولا يبالي في أهله، فربما دخل الرجال على محارمه والأمر عنده عادي كما يقال، أو تحكم القبيلة أو الأعراف أو بأن ذلك من التمدن أو التحضر، نعوذ بالله إن كان تحضرًا أو تمدنًا فيه طعن للعفاف .

إذا كان ترك الدين يعني تقدمًا فيا نفس موتي قبل أن تتقدمي

فنحن مطالبون أن نكون من ذوي الغيرة فقد أمر الله نبيه وهو سيد الأولين والآخرين أن يأمر بالحجاب سادات نساء العلمين أمهات المؤمنين أمثال: حفصة وعائشة وأمثال فاطمة ابنته، وأمثال بقية الصحابيات الاتي يحملن القلوب الطاهرة في تلك الأجسام الشريفة يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ﴾ [الأحزاب: ٥٩] [(٢)] .

---

(١) رواه أحمد (٥٣٦٣) وغيره عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٥).
(٢) الجلباب هو: الرداء فوق الخمار، قاله ابن مسعود وعبيدة وقتادة والحسن البصري وغير واحد وهو بمنزلة الإزار اليوم، انظر تفسير ابن كثير عند هذه الآية .

هذا أمر من الله بالحجاب والستر لأمهات المؤمنين، وهكذا يأتي الخطاب القوي العظيم لسادات الأولياء لأولئك الأبرار صحب النبي ﷺ «أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما»[١] ، أولئك هم سادات الأولياء الذين ضربوا أروع الأمثلة في الصدق والكفاح يقول تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] .

هذا أمر للصحابة وللصحابيات وهم القوم الذين جازوا قصب السبق في كل خير، فما بالك فيمن بعدهم ممن يقول: إن قلبه نظيف، أو أن الحضارة والتمدن أفضت إلى هذا، أو أن ركاب الشرق أو الغرب سبق المسلمين في ميادين الصناعة وغيرها ؟ ، وليس معنى ذلك إلا التبرج والسفور، دون أن يكون بأيدي المسلمين تقدم صناعي أو حضاري، وإنما كلام يقال من قبل كثير من مرضى القلوب مرضى الشهوة والميوعة والعياذ بالله .

يا معاشر المسلمين:

لقد لعب الشيطان بعقول كثير من المسلمات، فهن بعد الموضات من مكان إلى آخر فكلما خرج جديد كن من أول المسارعات ولو لم يكن في ذلك من الحشمة إلا أنه جديد وموضة وأنه قد لبس في الشرق أو غيره، وليس العجب عند النساء وإنما العجب عند الرجال الذين يطلقون لنسائهم العنان فيما يردن فيرخون الحبل على غاربه تذهب المرأة حيث شاءت تدخل معارض - والعياذ بالله - فيها من الذين لا يصلون، ولا يرقبون لله حرمة، فيخرج لها الملابس، هذه ملابس أمريكية، وهذه فرنسية، وهذه شيطانية، وهلمّ جرًا، هذا فساد عريض يا أمة محمد، فأين الغيرة عند الرجال ؟.

هذه امرأة من الصالحات قريشية تطوف حول البيت الحرام وكان زوجها

---

(١) هذا أثر موقوف على ابن مسعود رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢١١) وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٧٨) رجاله موثقون.

في الظل قبل أن يكون الحرم على حالته في أيامنا هذه فكانت تطوف تظن أنه حرم الله، وأنه لا فتنة في الحرم، لأنه البيت الحرام من دخله كان آمنًا، وإذا برجل من الفساق يعترض هذه المرأة يدعوها إلى الرذيلة فتقول له: نحن في حرم الله، لم يذهب الرجل وسخر من كلامها وزاد عتوًا وطمعًا فيها، فذهبت إلى زوجها وقالت له: تعالى لتريني بعض المناسك، فلما رأى ذلكم الذئب أن الزوج يطوف مع زوجته ذهب بعيدًا فقالت القرشية: [١]

تعدو الذئاب على من لا أسود لها وتتقي مربض المستأسد الحامي [١]

فقال أبو جعفر المنصور خليفة المسلمين في زمانه: وجب على كل قرشية أن تتمثل بهذا .

فالمرأة فيها مطمع إذا كانت وحدها، وإذا كانت قد أسفرت عن حجابها خرجت والعياذ بالله متطيبة بأجمل زينة أين أبوها ؟، أين أخوها ؟، أين ولاة أمرها؟، إنهم لا يوجدون، فهم كأشباه الرجال ولا رجال! أهكذا بلغ الحال بالكثير من المسلمين يعطي الزوجة العنان، ويعطيها ما تريد من المال، ومن السماح لها أينما تريد تذهب؟ فربما كان في منطقة مجاورة يسمح لها أن تركب مع السائق أو مع صاحب الباص إلى منطقة أخرى بحجة شراء الملابس، أو أغراض البيت، وقد حصل أن بعضهم يكون مخزنًا و بنته تخرج مع صاحبتها فما بالك بفتاتين شابتين لم تتزوجا بعد، ومن معرض إلى آخر ناهيك عن التضحيك، ناهيك عن سفور مفاتنها كالقدمين وكالكفين، ناهيك عن الضحكات، وربما بادلها البائع نفس الضحكات، والشيطان لذلك بالمرصاد .

لاتأمنن على النساء أخًا ما في الرجال على النساء أمين

إن الأمين وإن تجرز مرة لابد أن بنظرة سيخون

(١) انظر: لسان العرب (٤/ ١٠٥) .

لقد وضع الإسلام سدًا منيعًا وحاجزًا قويًا في هذا الباب، يقول ﷺ «**ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**»[(١)] ، وهذا سيد التابعين سعيد بن المسيب يقول: لو ائتمنت على كنز من ذهب لوجدت نفسي أمينًا ، ولو ائتمنت على جارية سوداء لوجدت نفسي خائنًا [(٢)]، وهذا مصداق لحديث رسول الله ﷺ يوم أن قال: «**ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء**»[(٣)]، ويقول ﷺ: «**الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»[(٤)] .

ننتقل إلى مجال آخر:

من المسلمين من يوفقه الله للزواج أو ابنه أو ابنته، ثم ترتكب كثير من المعاصي والذنوب والآثام فما أن يعلن النكاح إلا وجاءت النساء متشبهات بما يشاهدنه في تلك القنوات، فتلك تلبس إلى الركبة، وتلك إلى أعلى من ذلك، وتلك تبدي مفاتنها تظن أن الأمر إنما هو بين النساء وقد حصل في كثير من الأعراس والأفراح من بعض الخائنات من يكون عندها كاميرا فيديوا هذا التليفون النقال، فتسلط الكاميرا فتصور مفاتن هذه النساء، ثم بعد ذلك تعطي لمن يرغب من الذئاب وعلى أية حال فلا يجوز بحال من الأحوال أن تعمل المرأة مثل هذا، ولا يجوز لولي أمرها أن يسمح لها أن تذهب إلى فرح أو عرس لتبدي مفاتنها، ثم ناهيك عن الرقصات التي لا يسمح بها الإسلام .

فيا أمة الإسلام ويا أمة العقيدة والتوحيد، إنا أمة أعزنا الله بالإسلام فإذا ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله، فلقد كان المسلمون فيما مضى يخرجون أجيالا هم أحسن منا وأتقى للرحمن منا كانوا مبتعدين عن هذه الآثام، فهل من قلب

---

(١) رواه الترمذي (٢١٦٥) وأحمد (٦/ ٤٤٦) وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ .
(٢) انظر ذم الهوى (١٦٥) .
(٣) متفق عليه: البخاري (٥٠٩٦) و مسلم (٩٧) ومعنى فتنة أي محنة وبلاء.
(٤) مسلم (٤٥٩).

غيور يفيق من رقدته ومن نومته ليتدارك ما فاته، فيصحح ويصلح ما بينه وما بين الرحمن، فيكون عبدًا غيورًا على عرضه، غيورًا على سمعته، غيورًا على عفافه (١) ، فإنه إذا طعن العفاف فلا يصلح ولا ينفع حينئذٍ الندم، يوم أن يندم الأب أو الأم حين لا ينفع الندم، وكان الأولى الرقابة من البداية

وينشأ ناشئ الفتيان فينا ... على ما كان عوده أبوه

وما نسك الفتى بحجا ولكن ... يعلمه التدين أقربوه

فيكون من بداية الأمر الرقابة على الأبناء على البنات استأذنت البنت لحضور فرح فلا يسمح لها الأب أو الأم إلا بعد أن يتأكدوا أنها بنت مستقيمة على أمر الله، وأنها لا تبدي مفاتنها، وهذه فتوى كبار العلماء أن الأعراس والأفراح إذا كانت مصحوبة بمنكرات كأغاني أو راقصات أو تبرج وسفور، أو كان الرجال ينظرون إلى النساء فلا يجوز حضور هذه الأفراح، وإن دُعيت إليها، فلا يجوز لك أن تحضر، ولا يجوز للمرأة كذلك إذا كان فيها من المنكرات فإن الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– يقول: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ ﴾ [المائدة: ٢] .

وكان الأولى على أهل الأفراح والأعراس أن يحمدوا على هذه النعمة، فلا ينبغي أن تصحب النعمة بالنقمة وبالمعاصي، فإن الله يغار لذلك، وعلى العبد أن يكون دائمًا ملتمسًا رضا الرحمن الرحيم، فلا يقدم رضا نفسه ولا رضا أهله ولا رضا جيرانه، ولا رضا الزائرين وإنما رضا الرحمن الرحيم .

إليك وإلَّا لا تشد الركائب ... ومنك وإلا فالمؤمل خائب

---

(١) قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال العلماء الغيره بفتح الغين وأصلها المنع والرجل غيور على أهله أى يمنعهم من التعلق بأجنبى بنظر أو حديث أو غيره والغيره صفة كمال فأخبر ﷺ بأن سعدًا غيور وأنه أغير منه وأن الله أغير منه ﷺ وأنه من أجل ذلك حرم الفواحش.

وفـيـك وإلا فـالـغـرام مضيع وعنك وإلا فالمحدث كذب

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم ، هذا ما قلته لكم ، وأستغفر الله لي ولكم ، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه يغفر لكم.

الخطبة الثانية :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

معاشر المسلمين:

إن ما يدندن حوله أعداء الإسلام في إذاعتهم المقروءة والمسموعة والمشاهدة فيما يتعلق بحقوق المرأة ويبدون اهتمامًا فيما يرى السامع والناظر وهذا أمر ليس بصحيح فإن المرأة المسلمة ضمن الإسلام لها حقوقها كلها من الوراثة، ومن التكريم، وضمن حقها إن تزوجت، فأوجب على الزوج أن يقوم بحقوقها، وأن تكون كالملكة في البيت معززة مكرمة هذا من أعظم الحقوق، وإن الغرب ينادي بحق المرأة، أن يكون لها حق الانتخاب وأن تخوض ميادين السياسة، وأن تزاحم الرجل في ميدان عمله، إنهم يريدون من المرأة أن تخرج من بيتها، أن تمد إليهم يدها، يريدون أن يتفكهوا بمفاتنها أن ينظروا إلى مفاتنها وربما قال هذا الكبير من المسؤولين ونساؤهم محجبات في البيوت وماذا يريدون ؟ يريدون أن تأخذ ورقة بجانب أخرى فتضعها في ملف أمامه أو أن تضع عليها دبوس فتلصق الورقتين لا أقل من ذلك ولا أكثر إنهم يحرصون كل الحرص أن تكون المرأة موجودة في ميادين أعمالهم ثم يصورون للنساء والرجال أنهم مهتمون بقضية المرأة وبتحرير المرأة وبحقوق المرأة ، وهكذا يكثرون من الحديث عن المرأة .

والله -عَزَّوَجَلَّ- يقول: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١].

فالله تبارك وتعالى ضمن حقوق المرأة كلها فلا تحتاج إلى الشرق ولا إلى الغرب، ولا تحتاج من يقنن وهكذا كفل الإسلام حق المرأة وحمى ذلك حماية عظيمة فلا ينبغي الانخداع بتلك الكلمات البراقة وبتلك الأساليب التي هي معاول هدم، ولكنهم يحاولون - والعياذ بالله - أن يثبتوا جدارتهم وكأنهم أعظم حرصا من رب العالمين ومن رسول الإسلام على المرأة، فوجب على النساء أن يعلمن أن الإسلام أعزهن وأكرمهن، ووجب عليهن أن يسألن الله السلامة والعافية وأن يكنَّ ذوات حياء وعفاف ووجب على الرجال أن يكون عندهم غيرة على نسائهم وأعراضهم .

أصون عرضي بمالي لا أبدده لا بارك الله بعد العرض بالمال

وكل كسر لعل الله جابره وما لكسر قناة الدين جبران

فيوم أن ينحر عفافك في أهلك أو في بيتك أو في بنتك أو في قريبتك، فأي سماء تظلك وأي أرض تقلك والله لا تريد الدراهم ولا الدنانير ولا الدولارات ولا غيرها يوم أن ينحر العفاف وأنت المتسبب في ذلك فأين الحياء يا أمة الإسلام ؟.

إذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستح فاصنع ما تشاء

فلا والله ما في العيش خير ولا في الدنيا إذا ذهب الحياء

هذه عائشة بنت الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا وهي زوجة نبينا ﷺ، تعرفون يا أمة الإسلام أن نبينا ﷺ دفن في حجرتها، وبعد ذلك يموت أبوها أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ويدفن في حجرتها فكانت إذا دخلت للزيارة وضعت حجابها وقالت:إنما هو زوجي وأبي، فلما مات عمر واستأذن أن يدفن بجانب صاحبيه قالت: فوالله

ما دخلت إلا وأنا مشدودة عليَّ ثيابي حياء من عمر [(١)].

لأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليس بقريب لها، وإنما هو من أصحاب النبي ﷺ وهو من سادات الأولياء على أنه مقبور ومدفون،ولكن هكذا ربى الإسلام المرأة تكون ذات حياء، وتأملوا قصة المرأتين اللتين أتتا إلى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القصص: ٢٥].

فلقد تعلمت الكثير من النساء قلة الحياء يوم أن خرجن من البيوت دون مراقبة من الآباء ، ودون مراقبة من الأولياء فحصل من ذلك ما يندى له الجبين، فكم حصل من إجهاض ! وكم حصل من أطفال غير شرعيين ! ذاك يوجد بين القات وذلك بجانب برميل قمامة، وآخر في كرتون وآخر تضعه أمه في باص، ثم تولي هاربة، فمن أين أتى هؤلاء ؟.

ألقاه في اليم مكتوفًا فقال له إيـــاك إيـــاك أن تبتل بالماء

فكان التفريط من قبل الآباء، ثم كانت النكسة عليهم، لأنهم فرطوا في بداية الأمر وهكذا عند الكثير من النساء فإننا إذا عوَّدنا أولادنا على الفضيلة ونحن أيضًا تعودنا ذلك واستقمنا على أمر الله وأخرجنا تلك القنوات التي تدعو إلى الفاحشة وإلى الرذيلة كان ذلك استقامة لأولادنا وبناتنا، فوجب على كل مسلم قبل أن يفجأه الموت أن يتأمل إن كان في بيته من تلك الأطباق التي تجلب له شرور الشرق والغرب ، وأن يدمرها قبل أن يأتيه ملك الموت فيقول: ﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

---

(١) رواه أحمد (٢٥٧٠١) وصححه الألباني.

وإلا كان الجزاء شديدًا والله، فادفعه في الدنيا قبل الآخرة ماذا تريد يا عبد الله من نظرة ساخنة تحرك الشهوة من مكامنها ؟ وأي رجل لا يفتن والله لو كان من أعلم العلماء وأبلغ البلغاء وأصلح الصلحاء، وقد تأمل إلى تلك الوجوه وإلى تلك المفاتن، لا شك أنه يتعير .

وأما المرأة فنقول لها: اتقي الله في أولاد المسلمين وشباب المسلمين، وإياك من التبرج والسفور .

فقد قال نبينا ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما قط: نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها**» (١) .

أسأل الله بمنه وكرمه أن يرزقنا العفاف في أنفسنا وفي بناتنا وفي أولادنا، وفي نساء المسلمين ورجال المسلمين وأولياء المسلمين، وقادة المسلمين، وحكام المسلمين.

اللهم طهر بيوتنا من آلات اللهو والطرب، اللهم طهر قلوبنا من النفاق، ومن الفتنة، اللهم طهر بيوتنا ومجتمعاتنا من آلات اللهو والطرب يا رب العالمين، اللهم آتنا في الدنيا حسَنة وفي الآخرة حسَنة وقنا عذاب النار، اللهم لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته ولا همًا إلا فرجته، ولا دينا إلا قضيته، ولا جاهلا إلا علمته، اللهم علم جهلاء المسلمين وجاهلات المسلمين، وفقهم في دينك، إنك أنت الله على كل شيء قدير .

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، اذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون .

(١) مسلم (٣٤).

٤-العين حق

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، ولا أمل ولا رجاء إلا في الله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وإله الأولين والآخرين عز جاهك يا الله وتقدست أسماؤك يا الله في السماء ملكك وفي الأرض سلطانك وفي الجنة رحمتك، وفي النار سطوتك، وعذابك، أنت ربنا وإلهنا وخالقنا سبحانك ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

تأمل في نبات الأرض وانظر　　إلى آثــار مــا صنــع المليك
عـيـون مـن لُجـين شاخصات　　بأحداق هي الذهب السبيك
على كتب الزبرجد شاهدات　　بــأن الله لـيـس لــه شريـك

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة وأحسن كل الإحسان فصلوات ربي وسلامه عليه دائماً سرمديًا أبدًا، عدد ما ذكره الذاكرون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون.

إذا ملوك الورى صفوا موائدهم　　على شهي من الأكـلات والأدم
صفقت مائدة للروح مطعمها　　هدى من الوحي أو عذاب من الكلم
كفاك عن كل قصر شاهق عمد　　بيت من الطين أو كهف من العلم
تبنى الفضائل أبراجًا مشيدة　　نصب الخيام التي من أروع الخيم

أوصيكم ونفسي بتقوى الله، فإنه ما فاز إلا أهل التقى وما خسر إلا المبطلون المجانبون لأمر الله ورسوله، فلذا يقول ربنا: ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة: ١٩٧] ، فإن خير ما يتواصى به المؤمنون أن يوصي بعضهم بعضًا بتقوى الله، تقوى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- في السر والعلانية.

فيا أيها المسلمون: لقاؤنا في هذه الخطبة عن داء من الأدواء ومرض من الأمراض، إنه داء الحسد مجمع الآفات، ومستنقع الشرور والفساد والرذائل، ذلكم الأمر الذي كان بعض صفات أمة من أحقر الأمم، وصفها الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- به فقال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ [النساء: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم ﴾ [البقرة: ١٠٩].

اتسمت اليهود بهذه الصفة، وهي صفة ذميمة داء الحسد ، هو الذي حمل أحد ابني آدم أن يقتل أخاه إنه الحسد ، الذي عناه الله بقوله تعالى : ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المائدة: ٢٧ -٣٠] .

هذا الداء جعل العار والإثم لاحقا بذلك الابن إلى يوم القيامة فما قتل قتيل ظلمًا إلا كان من الآثام على ابن آدم الأول لأنه أول من سن القتل .[١]

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٨٩٠) و مسلم (١٦٧٧).

كما أفصح بذلك سيد الأولين والآخرين ﷺ، وهذا الداء هو الذي حمل القرشيين من المشركين على رفض الرسالة العالمية رسالة محمد ﷺ، فحسدوه يقول جَلَّوَعَلَا حاكيا عن أولئك: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف:٣١]، ينزل على رجل له الإمكانيات والجاه والمال والمنصب،أما محمد هو من الفقراء، فرد الله عليهم بقوله:﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف: ٣٢] .

والحسد بمعنى: تمني زوال النعمة فمن تمنى إزالة نعمة الغير فهو حاسد وآثم لأنه غير راض بحكم الله فهو يتسخط على أقدار الله ويعترض على الله، وكأن الله ظلم العباد وهو عدل ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ [النحل: ٩٠] ، وقال جَلَّوَعَلَا: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩] . فالحسد محرم والحاسد آثم لأنه محارب لله .

يــا حــاسـدًا لي عــلى نعمتي ... أتــدري على من أسـأت الأدب

أســأت عــلى الله في حكمه ... لأنــك لم تــرتــض مــا وهــب

فــأخـــزاك ربي بـــأن زادني ... وســد عليك وجــوه الطلب

فكان الحاسد معترضًا على أمر الله، ومستدركًا على الله في فضله وفي خيره وهذه الصفة الذميمة ربما -عياذا بالله- تسول لصاحبها أ، يشوه ذلك المحسود بحق أو بباطل من أجل تنقصه، وإن كان أرفع منه منزلة وهذه سُنَّة الله في خلقه.

حسدوا الفتى إن لم ينالوا مثله فالناس أعـداء لـه وخصوم
كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسـدًا وبـغـيًـا إنـه لذميم

فيقوم بالتشويه وربما جره الحسد إلى أن يقتل والعياذ بالله ويتلطخ بالدماء الطاهرة، والله سبحانه يحرم ذلك في كتابه الكريم، ورتب على القاتل خمس عقوبات وربما جره هذا الأمر إلى أن يسحره أو يسلط عليه السحرة، وهذا كله من الآثام ومن كبائر الذنوب أن يعين ساحرًا من أجل إزالة أخيه المسلم اعتراضًا على الله، وبعض الناس ربما عدل إلى الأخف في نظره وهو عظيم عند رب الأرض والسماء، فيستخدم العين لإصابة حق أخيه المسلم، فما أن يرى شيئًا إلا استعظمه، ويطلق عبارات ربما من غير مبالاة فيؤثر على صاحبه داء عن طريق العين، والعين حق كما في الحديث، عبارة يطلقها فيدمر صاحبه والنفس أمارة بالسوء ولا يحق لمسلم أن ينكر أمر العين، فهي تصيب ولا محالة إلا أن يشاء الله عدم الإصابة، فإن كل شيء بالقضاء والقدر.

وكـل شيء بالقضاء والقدر وكـل مـقـدور فـما مـنـه مفر

وهناك آيات تثبت أحقية إصابة العين، وأحاديث من السُّنَّة المطهرة حيث يقول الله على لسان نبيه يعقوب وقد وجه أولاده أحد عشر ابنًا، وكانوا من أجمل الناس وعندهم من الخيول والزينة وجههم من بلده من أجل أن يدخلوا على يوسف ديار مصر، قال الله: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ ﴾ [يوسف: ٦٧] .

وكان لمصر أربعة أسوار كل سور فيه أربعة أبواب فيقول: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ ﴾ [يوسف: ٦٧] .

﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ

مِن شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [يوسف: ٦٨] .

ذكر ابن عباس وتلميذه عكرمة والضحاك بن مزاحم وكذلك القرطبي في تفسيره إجماع أهل التفسير أن يعقوب خشي على أولاده من العين [(١)] .

وهكذا يقول ربنا: ﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [القلم: ٥١] .

وهذا أمر مجمع عليه بين الناس، بل كان يستخدمه الناس قبل الإسلام، وهو متارف عليه عند كل الأمم والملل والنحل ما يتعلق بالإصابة بالعين، وهي كبيرة من كبائر الذنوب يقول ﷺ «**لا تحاسدوا ولا تهاجروا ولا تدابروا**»[(٢)] .

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ : ذكر الفقهاء أنه إذا تبين عائن من الناس وجب على إمام المسلمين حبسه حتى لا يؤذي المسلمين، لا ينزل الضرر بالمسلمين، ويقرر هذا نبينا ﷺ بقوله: «**العين حق ولو شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا**»[(٣)] .

بمعنى إذا طلب منكم الاغتسال فلابد أن تغتسلوا، من أجل أن يغسل به ذلك المصاب ولا غضاضة في ذلك، ويقول النبي ﷺ : «**العين تدخل الرجل القبر، والجمل القدر**» [(٤)] .

ويقول ﷺ: «**إن العين لتولع بالرجل بإذن الله حتى يصعد حالقًا ثم يتردى منه**»[(٥)] .

---

(١) راجع تفسير القرطبي.
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٠٦٥) ومسلم (٢٣) من حديث أنس بن مالك.
(٣) مسلم (٥٨٣١) من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.
(٤) أخرجه القضاعي في مسند الشهاب (١٠٥٧) وحسنه الألباني في الصحيحة (١٢٤٩) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا .
(٥) صحيح: أخرجه أحمد (٢١٣٤٠) وصححه الألباني في الصحيحة (٨٨٩).

أحاديث كثيرة في هذا الباب مفادها أحقية ذلك وهذا أمر لا ينكره أحد من المسلمين والإصابة بالعين من أكبر الذنوب والآثام، لذا كان لزامًا على المسلم، إذا رأى ما يعجبه أن يتقي الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- في نعمة أخيه المسلم، فإذا رأيت على صاحبك جاهًا أومنصبًا أو مالًا أو جمالًا أو أولادًا زينة من زينة الدنيا فقل: «**ما شاء الله اللهم زد وبارك**» أتدري إذا قلت ذلك ما هو الجزاء، لك مثله فإن النبي ﷺ يقول: «**دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة عند رأسه ملك موكل كلما دعا لأخيه بخير قال الملك الموكل به: آمين ولك بمثل**»[(١)] .

لكن إذا حسدته وقعت في الإثم وأصبت بالعين، وكان مسخوطًا عليك عند الله، ولا تصاب بنعمة أبدا، لأن الله يمقتك ويمقت فعلك،ولقد تغيظ النبي ﷺ على رجل أصاب أخاه بالعين تغيظ الرسول أيما تغيظ - أي عضب غضبًا كبيرًا - روى الإمام أحمد في المسند والنسائي في سُننه من حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف الصحابي الجليل اسمعوا لهذا الابن وهو يروي قصته لأبيه زمن النبي ﷺ قال: اغتسل أبي سهل بن حنيف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالخرار، وهي منطقة خارج المدينة، فنزع جبته أي ملابسه قال: وكان عليه جلد أبيض جميل، فقال عامر بن ربيعة لما رأى ذلك الجلد عبارة ما يظن منها السوء وكم من عبارات يطلقها الناس اليوم، فقال عامر بن ربيعة: ولا جلد مخبأة رأيت كاليوم بياضًا، والمراد بالمخبأة - العذراء التي لم تتزوج - فإذا بسهل بن حنيف يركض برجله ويشهق وتكاد روحه تخرج، يضطرب اضطرابا شديدًا فرفعوا الأمر إلى رسول الله ﷺ قال: هل تتهمون أحدًا، قالوا: سمعنا عامر بن ربيعة يقول: كذا كذا فأُتي بعامر فقال ﷺ: «**علام يقتل أحدكم أخاه، هلا قلت بارك الله إذا رأيت ما يعجبك**» فتغيظ رسول الله ﷺ لذلك، ثم اغتسل عامر بن ربيعة وتوضأ وغسل مغابنه وداخلة إزاره، ثم صب على سهل بن حنيف، فقام نشيطا وكأن

(١) مسلم (٤٩١٤).

لم يكن به من الأمر سوء.(١)

عبارة يسيره بل ربما ضر الرجل نفسه بعبارة يقولها أذكر رجلا سمينًا ازدحمت رجلاه في باب من الأبواب فقال عبارة يريد منها الإضحاك يقول لفخذيه: لا تزدحما فأصيبت فخذاه بالصنافير والدمامل والأمراض، عبارة يطلقها ويمر رجل أمام مزرعة دجاج فيتذكر الملبيين في جبل عرفات فيقول: لبيك اللهم لبيك، فيموت الدجاج كله.

عبارة يسيره يطلقها ما يبالي بتلك العبارة، ورجل يمر من جانب رجل كبير السن لابس النعال والشراب، فيقول له: هكذا مالك تحفر بمشيتك، وكأنك هيلوكس تغرز في الأتربة، فإذا بالرجل يشعر بمثل الشوكة في رجله، ثم بعد ذلك ينتهي بعمليات وما شوكة وصلت إلى رجله وإنما هي عين وأذكر زميلا كان في مركز صعدة في دماج ظل ستة أشهر مريضًا، وكان أخًا أجنبيًا ليبيا وكان جميل الخلقة الله أعلم من أصابه بعين فقال العلامة مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما لفلان لم يشف ؟ هيا لنتوضأ جميعًا فيتوضأ الشيخ ويتوضأ ستمائة طالب في المعهد ثم اغتسل به ذلكم الطالب، فقام نشيطا وكأن لم يكن به شيء .

فيا أيها المسلمون : يجب أن نتقي الله في أعيننا، ونتقي الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- في أنفسنا، ولا ينبغي لنا أن نستخدم ما يزيل العين إلا ما سيسمع بإذن الله في الخطبة الثانية، أسأل الله أن يبارك لي ولكم في القرآن العظيم، وأن ينفعنا وإياكم بالذكر الحكيم، هذا ما قلته لكم، وأستغفر الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه يغفر لكم.

---

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٧) ابن ماجه (٤/ ٢١٥) وصححه الألباني.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

أما بعد:

فبعض المسلمين يتفننون في رد العين تفننا بعيدًا عن الشرع وعن رسول الإسلام وعن التعاليم الشرعية، فبعض المسلمين إذا أنعم الله عليه نعمة من بيت أو سيارة أو حيوانات بعضهم حدائد على البيت، والآخر يضع نعالات من أجل أن ترد العين وبعضهم يجعل بعض المساحيق كالحلتيت والبسباس والملح يظن أن هذه ترد العين، وبعض المسلمين يقوم بعملية الرقى والتعاويذ والحروز والتمائم من أجل رد العين هذه كلها جاهلية نهى عنها الإسلام.

ولقد نهى النبي ﷺ عن كل رقية تخالف الشرع، فإذا كتب هي هذه الرقى استعانة بالجن أو حروف أعجمية وما شابه ذلك حرم هذه، بل لا يجوز كتابة القرآن وكتابة السُّنَّة ثم يكون ذلك حرزًا، وإنما العلاج في ذلك ما علمنا رسول الله، فإنه ما ترك من خير إلا دلنا عليه، ولا شرًا إلا حذرنا منه .

فمن قلد الآراء ضل عن الهدى ومن قلد المعصوم في الدين يهتدي

كان نبينا ﷺ يعوِّذ الحسن والحسين ابني علي بن أبي طالب وأمهما فاطمة رضي الله عنهم كان يعوذهم يقول: «**أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة**» [1] ، فالرقية الشرعية هي: العلاج النافع في هذا كله، فالاعتصام بالله والالتجاء إلى الله .

---

(١) البخاري (٣١٩١).

يا من ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به مما أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظما أنت جابره

فالرجوع إلى الله والاحتماء به، احفظ الله يحفظك، فإذا رجعت إلى الله كان العون وإذا طلبت ذلك من غير الله فإنما هو اعتداء وتردي وهروب وآثام والعياذ بالله .

والمستجير بعمرو عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

الالتجاء إلى الله، وطلب فك الكربات من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ولقد سحر النبي ﷺ وركزت عليه العيون فأصابوه بإذن من الله، فكان رسول الله ﷺ يتعوذ من ذلك بالإخلاص والفلق والناس، وتأمل سورة الفلق ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١] ، أي: أعتصم وأستجير به ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [الفلق: ٢] .

فيكون صدق الالتجاء إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالاستعاذة مع حضور القلب، مع الثقة بالله سبحانه، وأن تعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ثم بعد ذلك التحصينات الشرعية، أذكار النوم، والأكل، والتستر الدائم، فإن من الناس من يتستر عن الناس لكنه لا يتستر عن الجن، وربما تكشف والجن يصيبونه والعياذ بالله لذا يقول ﷺ «**ستر ما بين عورات بني آدم وأعين الجن أن يقول أحدكم إذا خلع ثوبه بسم الله**»[1] ، فالأولى أن يكون العبد مستورًا فإن كان لابد من خلع ملابسه فلابد أن يقول: «بسم الله» حتى تكون وقاء وساترًا بين أعين الجن وبين عورة بني آدم وهكذا يقول ﷺ كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**إذا أتى الرجل أهله فقال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب**

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧٠٦٦)من حديث أنس بن مالك، وصححه الألباني.

الشيطان ما رزقتنا فإنه إن قدر بينهما شيء لم يصبه شيطان أبدًا» [(١)] .

وتأمل في مريم بنت عمران يوم أن قالت أمها: ﴿ **وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ** ﴿٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٦] . قال سبحانه: ﴿ **فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ** ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٧] .

فلابد أن يكون الالتجاء إلى الله والاعتصام به والفرار إليه، فكم من رجل صار مجنونًا، وآخر مهسترًا، وأسر فرقت، كم من امرأة طلقت، وكم من بنت سحرت عن طريق السحر والشعوذة والكهانة وعن طريق العيون التي سلطها الكثير من المسلمين على إخوانهم، على أنك لو قلت له: لمَ لمْ تسحر الكفار ؟ الكفار في مأمن من سحره وكيده وعينه، لكنه استطاع لإخوانه المؤمنين على أمر حقير، بل امرأة سحرت من أجل أمر حقير، فسممت زوجها والعياذ بالله، يا أمة محمد ﷺ كونوا على يقين أن نبيكم لم يمت إلا وذكر لكم علماً في كل شيء كما قال أبو ذر: «ما مات رسول الله ﷺ ولا طائر يطير بين السماء والأرض إلا ذكر لنا منه علماً»[(٢)] ، ثم على العبد أن يكون قوي الصلة بالله واثقًا بالله متوكلًا على الله .

توكل على الرحمن في الأمر كله   فما خاب حقًا من عليه توكلا

وكن واثقًا بالله واصبر لحكمه   تفز بالذي ترجوه منه تفضلا

فليكن اعتصامك بالله وإياك أن تلجأ إلى العرافين والمشعوذين وإلى الكهنة وإنما عليك الالتجاء إلى الله و تأمل قول الله: ﴿ **وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ**

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٨٧٠) ومسلم (١٤٣٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٣٩٩) وحسنه شعيب الأرناؤوط.

بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ﴿٦﴾ [الجن: ٦] .

فالالتجاء إلى غير الله إنما هي أمراض وأوباء ومشاكل واختلاس للأموال ولكن عليكم الفرار إلى الله فهو الذي بيده كل شيء وأزمة الأمور بيده، وإذا ابتلاك بشيء فاصبر يا عبد الله إن أصبت بمصيبة أو بنكبة فاصبر عبد الله .

اصبر لكل مصيبة وتجلد   واعلم بأن المرء غير مخلد

فإذا أتتك مصيبة تسلو بها   فاذكر مصابك بالنبي محمد

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته ولا همًا إلا فرجته ولا دينًا إلا قضيته، اللهم أصلح عبادك المؤمنين، اللهم أصلح لنا الظاهر والباطن يارب العالمين، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وعقولنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عاداناولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا.

٥- خطبة حول الفاتحة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعيه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، لا رب لنا سواه، ولا نعبد إلا إياه ولا نثق إلا بما في خزائنه .

وأغضُّ طرفي عن سواك فم أرَ　　في الكون غـيرك من إلـه يُعبدُ
يا من له عنت الوجوه بأسرها　　ولـه جميع الكائنات توحِّدُ

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، بلغها حق البلاغ وحق الأداء .

إذا ملوك الورى صفوا موائدهم ... علـى شهي الأكــلات والأدم
صففت مائدة للروح مطعمها ... هدي من الوحي أو عذب من الكلم
كفاك عن كل قصر شاهق عمد ... بيت من الطين أو كهف من العلم
تبنى الفضائل أبراجًا مشيدة ... نصب الخيام التي من أروع الخيم

عباد الله أيها المؤمنون:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله جَلَّوَعَلَا، فإنه ما فاز إلا أهل التقى.

لا فخر إلا فخر أهــل التقى ... غــــدًا إذا ضــمــهــم المحشر
ليعلمن الــنــاس أن التقى ... والـــبر كــانــا خـير مــا يدخر

عباد الله: آيات من القرآن الكريم يتلوها المسلم في يومه وليلته عدة مرات، ولكن المعتبرين والمتدبرين لها قليل، على أن الله جَلَّوَعَلَا يأمرنا بتدبر القرآن عمومًا، فيقول -سُبْحَانَهُوَتَعَالَى- : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤].

ومعنى ﴿ أَمْ ﴾ أي: بل على هذه القلوب أقفال من الرين[1] بسبب المعاصي والتعلق بالدنيا والغفلة عن ذكر الله، ما جعل هذه القلوب غير متدبرة لكلام الله الواحد القهار، هذه الآيات الكريمة يقول يقول الله تعالى عنها: « **قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِى وَبَيْنَ عَبْدِى نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِى مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ** ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :حَمِدَنِى عَبْدِى وَإِذَا قَالَ:** ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ **قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَثْنَى عَلَىَّ عَبْدِى. وَإِذَا قَالَ :** ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ **قَالَ : مَجَّدَنِى عَبْدِى- وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَىَّ عَبْدِى- فَإِذَا قَالَ :** ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

(١) الرين: هو سواد القلب من الذنوب والمعاصي.

قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ. فَإِذَا قَالَ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ **قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ** »[1] .

هذه الآيات الكريمة هي التي أريد أن أتحدث عنها، ليفتح الله عليّ من خزائنه ولست موفيًا بالمقام، فإن هذه الآيات المباركة هي في سورة من أعظم سور القرآن الكريم وهي من سورة (الفاتحة) من أم القرآن من السورة التي يقول الله – عَزَّوَجَلَّ – عنها: ﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ** ۝٨٧ ﴾ [الحجر: ٨٧] .

التي أنزلها الله –سبحانه– من كنز تحت العرش على قلب نبينا محمد ﷺ .

جاء في صحيح البخاري من حديث أبي سعيد بن المعلى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كنت أصلي في المسجد فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه فقلت يا رسول الله إني كنت أصلي فقال: (ألم يقل الله ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٢٤] ، – بمعنى أنه كان مطالبا أن يخرج من الصلاة تلبيتة لنداء رسول الله ﷺ فلما أقبل ما عنفه رسول الله فهو الرحيم الشفيق ذو الرحمة والرأفة لهذه الأمة – ثم قال (لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد) . ثم أخذ بيدي فلما أراد أن يخرج قلت له ألم تقل (لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن) . قال : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»[2].

هذه هي السورة التي تقرؤونها يا عباد الله، ركنا من أركان الصلاة لقوله ﷺ «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**» وفي رواية: «بأُمِّ القرآن» فالعبد المؤمن يقرأ هذه السورة المباركة من بدايتها ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ إلى

(١) مسلم (٣٩٥) عن أبي هريرة.
(٢) البخاري (٤٢٤٠).

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ ثم بعد ذلك يطلب من الله ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ هذا يطلبه العبد من ربه – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – صباحًا ومساء يهتف بهذا الدعاء يا رب ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ ، ثم بعد ذلك يبين ويوضح هذا الصراط الذي يريده ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾

يشترط على الله – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ – والله هو الذي علمه إياه حتى أن علماء النحو واللغة العربية يعربون هذه الآية بعدها عظف بيان لأن عطف البيان يخصص ويوضح متبوعه، بخلاف النعت فإنه لا يخصص ولا يوضح فإذا قال العبد ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ فهو يبين هذا الصراط الذي يريده إننا جميعا عباد الله نهتف بهذا الكلام، لكن أعمالنا وأقوالنا وتعلقات قلوبنا وهممنا الكثيرة منصرفة عن هذا الذي نقوله، وربما كنا نقول ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ ﴾ ثم نطلب صراط الذين أنعم الله عليهم ثم بعد ذلك نستثني أن يكون هذا هو صراط اليهود والنصارى كما في آخر الآية ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ وهم اليهود، ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ وهم النصارى.

وهذا تفسير من رسول الله ﷺ ، وتفسيره مقدم على غيره إذا جاء سبيل الله بطل نهر معقل ، كما يقول الأدباء،فصراط الله رب العالمين ، تنوعت فيه عبارات المفسرين والأئمة المجتهدين، فبعضهم يقول: الإسلام، وبعضهم يقول: الدين كله وبعضهم يقول: الإيمان، وبعضهم يقول: صراط الله المستقيم هي طاعة الله وطاعة نبيه ﷺ، وكل هذه التفاسير متقاربة في المعنى وإن اختلفت أحرفها وألفاظها، إلا أن ابن قيم الجوزية يقول: صراط الله المستقيم: هو الطريق الواضح الذي رسمه الله لعباده ، لا اعوجاج فيه ولا انحناء ، كما قال الشاعر العربي:

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

استدل على أنه طريق قويم وبما قاله نبينا ﷺ، وقد كان بمحفل من أصحابه، ورسم خطًا مستقيمًا رسمه ﷺ على التراب وخطه بعود كان بيده، وقد ذكر البخاري هذا الحديث ووضع هذا الرسم وهكذا الإمام النووي في كتابه «رياض الصالحين» رسم هذا الخط المستقيم كما رسمه رسول الله ﷺ وتلقته الأجيال جيلًا بعد جيل، إلى أن وصل إلينا واضحًا جليًا في غاية الوضوح والكمال، فلما رسم هذا الخط قال ﷺ: هذا صراط الله المستقيم ثم رسم خطوطا عن جنبتي الصراط يمنة ويسرة ثم قال: هذه سبل الشيطان، ما من خط من هذه الخطوط إلا على رأسها شيطان يدعو إليها، ثم قرأ هذه الآية من سورة النحل: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٣] (١).

فيا عبد الله هل أنت مدرك ما تقول حين تسمع الإمام وتتلفظ أنت بأطيب الكلام ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾ أو تدري من هم ؟ تفسر هذه الآية آية من سورة النساء يقول المولى سبحانه: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: ٦٩].

يا عبد الله، يا أمة الله، يا أيها المسلم:

إنك صباحًا ومساءً تسأل من الله ذي الجلال والإكرام أن يجعلك على صراط مستقيم طريقة الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين، طريقة الأنبياء ابتداءً بآدم وانتهاءً بمحمد ﷺ وطريقة المرسلين ابتداءً بسيدنا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ وانتهاءً برسولنا محمد ﷺ إنك ترجو من ربك الصراط المستقيم لتكون على توحيده كما كان عليه الأنبياء لتكون على طاعة، كما كان عليه الأنبياء، فلقد دعا نوح قومه ألف سَنَة إلا خمسين عامًا، وقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مجادلًا أهل الباطل في ذات

(١) أخرجه ابن حبان (٦) والحاكم (٢٩٣٨) من حديث ابن مسعود، وحسنه شعيب الأرنؤوط.

الله، حتى غضب القوم عليه وقرروا إقرار رجل واحد على إحراقه وإزهاق روحه، ولكن الأمور بيد الله .

إذا يئست وكاد اليأس يقطعني   جاء الرجاء مسرعًا من جانب

إنهم قرروا إحراقه لأنه صاحب توحيد، وهم أصحاب شرك وإخلاد إلى الدنيا، فكانت كلمة الله هي العليا، قال الله: ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٩]. لقد سلمه الله، وهكذا موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذو الجدية في باب الدعوة إلى الله وصاحب العفة دعا أعتى طاغية على وجه الأرض في ذلك الزمان، ومع ذلك نجاه الله ونصره على عدوه، فأنت تسأل من ربك صباحًا ومساءً أن يكون هؤلاء هم القدوة، وأنك يا عبد الله تسأل من ربك أن يهديك الصراط المستقيم ،لتكون على عفاف كما كان سيدنا يوسف -عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ- على عفاف وطهر ونفس زاكية ، حينما دعى إلى البغي وغلى فاحشة الزنا ، فقال تعالى :﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف: ٢٣ -٢٤].

لقد أكرمه الله وصرف عنه السوء، وفضل دخول السجن من أن يرتكب الحرام وهكذا العبد دائما مراقبًا لله .

وإذا خلوت بريبة في ظلمة   والنفس داعـيـة إلى الطغيان

فاستحي من نظر الإله وقل لها   إن الـذي خلق الـظـلام يـراني

أَبى أن يستجيب للمغريات والشهوات والملذات، رأى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن هذه الدنيا إنما هي أيام وأنها إلى الزوال، فأكرمه رب العالمين، بزواج تلك المرأة،

وأن يكون عزيزًا على أهل مصر كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يوسف: ٩٠].

المراقبين الذين راقبوه في السراء والضراء، وهكذا يا أيها المسلم أي نبي دخل في التاريخ من أوسع أبوابه من باب النبوة، الشهادة الرسالة الصديقية، العمل الصالح إلى قيام الساعة فأنت تسأل من ربك هداية التوفيق والإلهام وهداية الدلالة والإرشاد في هذه الآية المباركة أن يجعلك تطرق طريقه وتسلك سبيله، فلابد أن تكون واعيًا لما تقرأه ولما تكرره على مسامع نفسك وما تسمعه من إمامك لتعطي الآية اهتماما لتكون من الذين عناهم الله: ﴿ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزمر: ١٨ -١٩].

ثم بعد ذلك تدعو الله ثانية أن لا يجعلك نسلك طريقة اليهود والنصارى في باب الاعتقادات، في باب العبادات، في باب الأخلاق والسلوك والقيم، لكن واقع الكثير من المسلمين هو خلاف هذا، وربما نظر إلى أعداء الله نظرة إعزاز وإكرام، ونسي هذا العبد المفرط المسلم المسكين أنه أعظم وأكرم عند الله من هذا اليهودي أو من ذلك النصراني ،وإن كان في هذا الزمان حصل نظرة إعجاب باليهود والنصارى، ونظرة ازدراء واحتقار للمسلمين، لكن هكذا الليالي والأيام فالأيام دول .

لكل شيء إذا ما تم نقصان   فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الحياة كما شاهتها دول   من سره زمن ساءته أزمان

إنما هي دول ولو نظرت في التاريخ الإسلامي لنظرت ما هو أشد من هذا فإن الإسلام ينتصر ويرتفع ارتفاعًا عظيما ثم يكون ابتلاء واختبار لأصحابه، فهذا من الابتلاء والاختبار، وإلا فالدنيا دار هوان ودار زوال .

أحـــلام نـــوم أو كظل زائـــل إن اللبيب بمثلها لا يخدع

فعليك عبد الله أن تعلم أن الله أكرمك بالإسلام وأكرمك في أن تكون من أمة محمد ﷺ فإياك أن تنخدع بالسراب الذي يحسبه الظمآن ماء، إياك أن تنخدع بالشعارات أو أنك إذا نظرت إلى المسلمين وعندهم شيء من التخلف في باب الحضارة الدنيوية مثلا حصل عندك انقباض وانطواء، فليس العيب في الإسلام إنما هو عيب المسلمين، وإلا فالإسلام هو الإسلام الذي تركنا عليه رسول الله ﷺ وأصحابه الغر الميامين، وهكذا الليالي والأيام إنما هي هي ولكن العيوب هي فينا يا عباد الله .

نعيب زماننا والعيب فينا وما لـزمـانـنـا عـيـب سـوانـا

ونهجو ذا الـزمـان بغير حق ولـو نطق الـزمـان لنا هجانا

فحصل عندنا شيء من التكالب على الدنيا ومن اقتراف الذنوب والمعاصي واستقبال ما جاءنا من بنات الهوى، ومن المنكرات من الفضائيات والأقمار، وما إلى ذلك فاستقبلنا ذلك فأُشْربته عقولنا وقلوبنا، وفتحنا له بيوتًا عياذًا بالله، فذهبنا مسرعين وراء ما يحكيه أعداء الملة الإسلامية من اليهود والنصارى ، فحصل عندنا شيء من الضعف وشيء من الوهن ، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «**يوشك الأمم أن تتداعى عليكم كما تتداعى على القصعة** (١) **أكلتها، قيل أو من قلة نحن يومئذ ؟ قال: لا بل أنتم أكثر ولكنكم غثاء كغثاء السيل**(٢)، **ولينزعن الله المهابة**(٣) **منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، قلنا: يا رسول الله وما**

(١) القصعة: وعاء يؤكل فيه وكان يتخذ من الخشب غالبا.
(٢) الغثاء: ما يحمله السيل من رغوة ومن فتات الأشياء التي على وجه الأرض، والسيل هو الماء الغزير المندفع بشدة .
(٣) الهيبة: من هاب الشيء يهابه إذا خافه وإذا وقره وعظمه.

الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت» [(١)] .

هذا هو داء المسلمين الذين أصيبوا به في هذا الزمان، فنسأل الله أن يفك ويرفع هذا الوهن الحاصل في صفوف المسلمين حتى تتبدل هذه النظرة، نظرة تفاؤل، وأن يعتقد المسلم عقيدة خير في دينه وصلاحه ومستقبله، وأنه أكرم من اليهود والنصارى، ومن أرفعهم عند الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ** ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥] .

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه يغفر لكم .

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩٩) وأحمد (٢٢٣٩٧) وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله: اتقوا الله تعالى واعلموا أننا في دار ابتلاء واختبار، وأننا في دار عمل وغدًا منقلبون من هذه الدار إلى دار الآخرة، فوجب على المسلم اللبيب أن يحتاط لنفسه وأن يأخذ الحذر يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ
﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ
﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ
﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ
وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ
إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ
إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ
ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ
ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ١٨: ٢٤].

يا عباد الله: إننا أمة القرآن وأمة الإسلام، شرفنا الله بهذا الدين وأعلى منزلتنا في هذه الدنيا وفي الآخرة حينما كنا متمسكين بشرع الله القويم، فنحن أعلى أمة على مروب العصور والدهور.

بشرى لنا معشر الإسلام أن لنا ... من العناية ركنًا غير منهدم

لما دعا الله داعينا لطاعته ... بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

ولكن عباد الله بسبب الذنوب والمعاصي وبسبب نسيان الموت والتكالب على الدنيا حصل ضعف لهذه القلوب، فقد آن لهذه القلوب المريضة أن تفيق من سباتها ورقدتها وأن تكون هذه القلوب متدبرة لكلام الله علام الغيوب، فوجب على هذه الأجسام التي تحمل هذه القلوب أن تنعش قلوبها فإنما أنت بقلب لا بجسمك .

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران

أقبل على الروح فاستكمل فضائلها ... فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

فإذا صلحت هذه القلوب، فوالله ولو كنا على فقر وعلى ضعف مادي أو في مجال الحضارة والصناعة والتقدم ما كان ذلك كله ليكسب المسلم في قلبه ضعفًا وركونًا وركودًا ونظرة عالية خاقة فيما عند الشرق أو الغرب ليغتر بما عندهم من الصناعة والحضارة، على أننا نقول: لا بد أن يكون المسلم قويًا في دينه، قويًا في عقيدته، قويًا في مادته وأن يكون له مشاركات في كل فنون الحياة في جانب الطب والهندسة، وهكذا كل الفنون وجب على المسلمين أن يكونوا أعلى وأرقى من كل الأمم، لكن إن لم يحصل هذا فاعلم أن رأس مالك هو الدين.

الدين رأس الأمر فاستمسك به ... فضياعه من أعظم الخسران

أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وبصفاته العلى أن يجعلنا هداة مهتدين، وأن يرينا الحق حقا فيرزقنا اتباعه والباطل باطلا فيرزقنا اجتنابه إنه على كل شيء قدير .

٦- تحريم الظلم

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المسلمين: روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما يرويه عن النبي ﷺ عن ربنا تبارك وتعالى أنه قال: « **يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي ، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ**

ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ»[١].

هذا الحديث يأهل الإيمان والإسلام هو من أعظم أصول الدين حديث عظيم فقد كان أحد رواته وهو أبو إدريس الخولاني: إذا قرأ هذا الحديث جثى على ركبتيه باكيًا وكان الإمام أحمد بن حنبل يقول: ليس لأهل الشام أشرف من هذا الحديث، وهذا الحديث من الأحاديث القدسية التي حدث بها ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- إلى نبينا محمد ﷺ، أعظم قضية في هذا الحديث أن الله جَلَّ وَعَلَا حرم الظلم على نفسه وجعله محرمًا بين عباده، والظلم يا عباد الله هو وضع الشيء في غير موضعه كما أن العكس في العدل، فهو وضع الشيء في موضعه فالله جَلَّ وَعَلَا نفى عن نفسه الظلم في هذا الحديث حيث يقول الله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وكما قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا

(١) مسلم (٢٥٧٧).

فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ [الكهف: ٤٩] .

وقال بعض الصالحين: لو أن الله – عَزَّوَجَلَّ – عذب أهل سماواته وأرضه كان ذلك بالعدل، ولم يكن ذلك من الظلم شيئًا .

يا عباد الله:

حرم الله الظلم على نفسه وجعله بين العباد محرمًا ، لأن الظلم فيه اعتداء على حق الله واعتداء على حقوق المخلوقين ، فالله –جَلَّوَعَلَا– يغار إن اعتديت على حرماته، فالله قد حد حدودًا وفرض فرائض ، فقال –جَلَّوَعَلَا– : ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٩] . وقال سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود: ١٠٢] .

فمن تعلق قلبه بغير الله، وقع في الظلم، وهذا هو الظلم الأكبر الذي لا يغفره الله يوم أن يتعلق قلبه بغير الله، فتدعو غيره أو تستغيث بغيره أو تركن إلى غيره، هذا يعتبر من الإشراك الذي عناه الله بقوله في كتابه الكريم ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨]، فإذا تعلق القلب بغير الله وقع العبد في الظلم الذي لا يغفره الله، أعني إذا مات العبد وهو ملتبس بهذا الأمر من الظلم، وكم من المسلمين اليوم يهتفون بغير اسم الله، فبعضهم من يدعوا ابن علوان مثلا، وبعضهم من يدعوا الخمسة، ومن يستنجد بغير الله عند الشدائد والكرب، والله –جَلَّوَعَلَا– يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦] .

وكما حصل حينما دخل التتر إلى بلاد بغداد كان بعضهم بدلًا من أن يدافع

عن نفسه وعرضه يستنجد بأهل القبور ويقول لهم بعض المشجعين:

يا هاربين من التتر

لوذوا بقبر أبي عمر

ينجيكم من الضرر

وماذا يفعل لهم قبر أبي عمر، بل لو استنجدوا برسول الله وهو مقبور في قبره ما نفعهم ذلك الاستنجاد بشيء ، وإنما يكون الاستنجاد بالله .

مـن يتق الله يحمد في عواقبه ... ويكفيه شر من عزوا ومن هانوا

من استجار بغير الله في فزع ... فـإن نـاصره عجز وخـذلان

فالزم يديك بحبل الله معتصماً ... فإنه الركن إن خانتك أركان

الله هو الذي يدعى في الكرب والشدائد، الله هو الذي يدعى عند الأزمات، الله الذي يرتجى منه إجابة الدعوة قال ربنا: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾[الأنبياء: ٨٧] .

فمن الذي نجاه وهو في بحر الظلمات؟، من الذي لبى نداءه ؟، إنه الله جَلَّ وَعَلَا، هذا من أعظم الظلم يوم أن تصرف العبادة لغير الله، ومن الظلم الذي حرمه الله الظلم بين العباد، فإن الظلم شديد الوخم الظلم الذي يكون بين العباد لا يتركه الله، والأول لا يغفره الله، والثاني لا يتركه الله، فمن ظلم العباد أن تسفك الدماء أو تغتصب الأرضي أو تنتهك الأعراض أو تأخذ الأموال أو الاعتداء بالظلم والسفه والطيش، هذا ظلم لا يتركه الله جَلَّ وَعَلَا، ينتقم الله لعباده من الظالمين، كما قال –جَلَّ وَعَلَا–: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٢] .

ويقف رسول الله ﷺ على جبل عرفات أمام أكثر من مائة ألف رجل مسلم صحابي وهو يقول في خطبته العصماء « **فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا**» . فأعادها مرارا ثم رفع رأسه فقال : (**اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت**) .

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته (**فليبلغ الشاهد الغائب، ....**) (١) ، ويقول ﷺ : «**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة**» (٢).

فإذا ظلمت مسلماً بريال أو بخمسين ريالًا لا تظن أن ذلك منسي، بل إن ذلك في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[الكهف: ٤٩].

وفي مجال العقارات وانتهاب أموال الضعفاء يقول ﷺ: «**من اقتطع قيد شبر من الأرض خسف به إلى سبع أرضين**»، ويقول: «**طوقه من سبع أرضين**» إنها عقوبتان: عقوبة الخسف وعقوبة الحمل، يحمله الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- يوم القيامة ترابا من سبع أرضين، ومن اعتدى على الحدود فغير المراسيم والمعالم التي تكون حدودًا بين أرض فلان وفلان وآل فلان وآل فلان ملعون، يلعنه الله ورسوله ﷺ «**لعن الله من غير منار الأرض**» (٣) ، هذه امرأة ظلمت اعتدت على صحابي جليل من العشرة المبشرين بالجنة سعيد بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واسمها أروى بنت أوس ، هذه المرأة ادعت أن هذا الصحابي الجليل أخذ أرضها وبيتها وبئرها، ورفعت القضية إلى مروان بن الحكم وهو من أمراء الدولة الأموية ادعت هذا ادعاءً .

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٧) مسلم (١٢١٨) من حديث أبي بكرة.
(٢) مسلم (٢٥٧٨) من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.
(٣) مسلم (١٩٧٨) من حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

والدعاوي إن لم تقيموا عليها بينات أبناؤها أدعياء

فأُحضرَ هذا الصحابي الجليل، فلما سمع الدعوى قال لمروان: أنا آخذ أرضها بَعد ما سمعت من الرسول ما سمعت؟ قال وما سمعت يا سعيد؟ قال: سمعته ﷺ يقول: «**من اقتطع شبرًا من الأرض طوقه من سبع أرضين**»(١)، فقال له مروان: انطلق راشدًا فوالله لا أسألك حجة بعدها، قال سعيد: الأرض لها وسأحتكم معها بين يدي الله ثم قال: اللهم إن كانت كاذبة فأعم بصرها واقتلها في أرضها، قال راوي القصة: فقد رأيتها عمياء كبيرة السن تتلمس الجدر، فبينما هي تمشي إذ وقعت في البئر فكانت قبرًا لها، وأحد المتكبرين قام أحد الوعاظ الناصحين ينصحه ويوجهه، فلم يكترث بذلك بل قام إليه فصفعه بجانب الجنود والحشود فقال له الرجل الصالح: أسأل الله أن يقطع هذه اليد، فقال الأمير: أقلني، قال: و الله لا أقيلك نحتكم إلى الله بين يديه فما مر عليه أسبوع إلا وقد قطعت يده وصودرت أمواله، إنه انتقام الله من الظالمين .

وهؤلاء وزراء وأمراء هارون الرشيد بلغوا من الثروة والأبهة والجمال، لقد كانوا يدهنون بيوتهم بزئبق الذهب والفضة، فإذا طلعت الشمس رؤيت بيوتهم لمعانًا وقد كان عندهم من الثروة ما ليس عند هارون الرشيد لكن أحدهم تلبَّس ببعض الظلم، وفي ليلة من الليالي أحب الناس إليهم هارون الرشيد سلطه الله عليهم .

يا راقد الليل مسرورًا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارًا

أخذت رجالاتهم فجلد كل واحد منهم ألف سوط، وأودعوا في السجن ونساؤهم صرن خادمات وكان بعض شيوخهم تحت سياط الجلد والضرب

(١) مسلم (١٦١٠) من حديث سعيد بن زيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

والإهانة زارهم أحد العلماء قال: أيها الوزير ما الذي أوصلكم إلى هذا ؟ قال له الوزير المضروب الممتهن: إنها دعوة مظلوم سرت في جناح الليل كنا عنها غافلين.

فيا أمة الإسلام ويا أمة العقيدة والتوحيد، اتقوا الظلم ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً .

ألا والله إن الظلم شؤم ولا زال المسيء هو الظلوم
إلى ديان يوم الدين نمضي وعند الله يجتمع الخصوم

ففي ذلك اليوم لا يكون بالدينار ولا بالدرهم وإنما الحسنات والسيئات، فأنقذ نفسك من اليوم يا عبد الله، فيا موظفا استلم راتبًا إياك وأخذ الرشوة، فإن الله ورسوله لعن على ذلك، ففي الحديث «لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما»[١]، ويا أيها القاضي إياك أن تذهب بأموالك رشا نزلفا إلى الحكام، فإن رسول الله حرم ذلك يوم أن قال: «إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[٢]،والله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يقول:﴿ **وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ١٨٨** ﴾[البقرة: ١٨٨] ، فالرسول ﷺ لعن صاحب الرشوة والرائش- أي الواسطة - ومن كان قد أخذها، فالثلاثة ملعونون، وفي حديث آخر يقول ﷺ «**هدايا العمال غلول**»[٣] ، ويقول: «**من مات وهو بريء من ثلاث: الكِبْرُ ، والدَّيْن ، والغلول دخل الجنة**» [٤] ، والمراد بالغلول الخيانة من الأموال العامة أموال الدولة المسلمة في أي مجال من المجالات، فلا

---

(١) أخرجه أحمد (٩٠١١) وابن حبان (٥٠٧٦) وحسنه الأرنؤوط.
(٢) أخرجه البخاري (١٤٠٧).
(٣) أخرجه أحمد (٢٣٦٤٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٢١).
(٤) أخرجه الترمذي (١٥٧٢) و صححه الألباني.

يجوز الخيانة فيها، فالله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى - حرم ذلك وجعلها أمانة يعطاها الإنسان ليتحملها، فكان خائنًا لها عياذًا بالله يقول -سبحانه-: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢] .

ولا يجوز لمحتج أنه إذا أخذ قليلًا فإن هناك من يأخذ كثيرًا هذه حجج واهية، بل إذا كان الناس كاذبين، فكن أنت صادقا، وإذا كانوا خائنين فكن أنت أمينًا، إذا كان الناس يستحلون ويسمحون لأنفسهم، فكن أنت ذا ضمير حي ولتكن أيها العبد مواطنا صادقا، وأنت أيها الموظف لابد أن تكون يدك بيضاء نظيفة، وبطنك كذلك، من أجل أن تكون قد أكلت الحلال وكان أولادك أولاد حلال يقول ﷺ «**أيما جسد نبت من حرام فالنار أولى به**» (١)، عياذًا بالله بعض الناس من أجل القات أو من أجل السجائر أو من أجل الكماليات تجده والعياذ بالله لا يبالي في أخذ المال من حرام أو من حلال لا يهمه ذلك فماذا نفعتنا أيام وليالي أكلنا وشربنا وسهرنا أين هي يا عباد الله إنها قد ولت .

تفنى اللذاذة ممن نال صفوها   من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء من معبتها   لا خير في لذة من بعدها النار

فكن يا عبد الله حازما لنفسك متقيًا لربك، فإن الحياة الدنيا قصيرة وأنت غدًا بين يدي الله، فماذا يكون جوابك وما هي حجتك: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧] .

ومن اتقى الله - عَزَّوَجَلَّ - في أن يدع الرشا والربا وكل مداخل السوء والهلكة هيأ الله له رزقا ما كان له بالحسبان يقول ربنا: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا

(١) أخرجه البيهقي في الشعب (٥٧٥٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٩).

﴿ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ ﴾ [الطلاق: ٢-٣] .

ويقول ﷺ: «**من ترك شيئا لله عوضه الله خيرًا منه**»[١] ، فإذا أنت ترفعت عن الرشا والدناءات، وهذا الخساسة خساسة الأموال، من أجل مخالفة مرورية مثلا فتأخذ من العبد المسكين من أجل أن تسمحه ما يكون بهذا المستوى سواء في المرور أو في المحاكم أو في المستشفيات في الضرائب أشياء كثيرة جدًا لا أستطيع لها حصرًا، فإذا أنت ترفعت فاعلم أن الله - عَزَّوَجَلَّ - يرزقك رزقًا حلالاً .

وقد قال بعض العلماء الراسخين في العلم: إن السارق يوم أن سرق المال لو اعتصم عن السرقة هيأ الله له رزقًا حلالاً لكنه استعجل ، ومن استعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه هذه قاعدة أصولية مطردة في أمور كثيرة أنت تستعجل فإذا بك تحرم بمثابة القاتل يعامل بنقيض قصده فمن قتل مورثه فإنه يحرم من الميراث كما قال ﷺ : «**ليس لقاتل ميراث**»[٢] ، يحرم من الميراث .

ويمنع الشخص من الميراث   واحدة من علل ثلاث

رق وقتل واختلاف دين   فافهم فليس الشك كاليقين

اللهم بارك لي ولكم بالقرآن العظيم وانفعنا بسُنَّة سيد الأولين والآخرين، هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم.

---

(١) شُعب الإيمان (٥٧٤٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٦٤٦)و صححه الألباني.

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

عباد الله:

اتقوا الله تعالى، واعلموا أن من سُنن نبينا محمد ﷺ المهجورة في هذا الزمان هو المجيء إلى صلاة الجمعة مبكرًا، فإنه ﷺ يقول في الحديث الصحيح: «**من جاء في الساعة الأولى يوم الجمعة فكأنما قرب بدنة، ومن جاء في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن جاء في الساعة الثالثة فكأنما قب كبشًا أقرن، ومن جاء في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن جاء في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة**»[١] ، فمن استعجل المجيء إلى صلاة الجمعة فإن أجره يكون أعظم وأضعاف أضعاف ما لو تأخر إلى الخطبة الثانية، أو جاء متأخرًا فالتبكير إلى الجمعة من سُنَّة النبي ﷺ التي هجرت في أيامنا فهذه ذكرى والذكرى تنفع المؤمنين، ومن سُنن النبي ﷺ أنك إذا دخلت المسجد يوم الجمعة أن تجلس حيث ينتهي بك المجلس، فالنبي ﷺ رأى رجلًا يتخطى الرقاب يوم الجمعة فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «**اجلس فقد آذيت وآنيت**»[٢] .

فإذ جئت متأخرًا فلا تتخطى الرقاب فإن هذا مما يحرم الأجر، فكن متأخرًا لكن إذا ازدحم المجلس ورأيت فرجة فلا بأس فإن الضرورة تقدر بقدرها، كذلك إذا دخلت يوم الجمعة فلا داعي لأن تسلم ولا داعي لأن تمد يديك إشارة فبعضهم ربما دخل فرأى صاحبه قريبا أو بعيدًا فأشار له بالسلام أشار له بيده، هذا أيضًا لا يجوز، بل اجلس في المكان الذي انتهيت إليه، فإذا انتهيت

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٨٤١) و مسلم (٨٥٠) من حديث أبي هريرة.
(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٧٠١٤).

من الصلاة صافحت هذا وعانقته، لأن النبي ﷺ قال: «من قال لأخيه أنصت والخطيب يخطب فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له»[١] ، وكونك تقول له: أنصت معنى ذلك أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وهو محرم حال الخطبتين، فما بالك برد السلام إلا أن يكون أمرًا اضطراريًا، ورأيت أعمى لا يدري إلى أين يصلي، ولا أين يجلس فهذه ضرورة كذلك إذا حصل لأحد موت أو شيء من الأمور الخطيرة فلا بأس أن تبادر بإنقاذه فإن الدين جاء لتحقيق المصلحة ولإزالة المفسدة، فدين الله سعادة كله كما قال ابن العثيمين:

والدين جاء لسعادة البشر ولانتفاء الشر عنهم والضرر

هذه بعض التنبيهات التي نلخصها يوم الجمعة، أسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين، اللهم خذ بنواصينا إلى كل خير، اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًا إلا فرجته، اللهم أصلحنا صلاحًا لا فساد بعده، اللهم آمنا في أوطاننا، واحفظ أئمتنا وولاة أمورنا، وأرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه والباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٨٩٢) ومسلم (٤٥٩) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٧- عاقبة الظلم

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مُضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّسَاء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين: يخبر تعالى عن مآل الظالمين وكيف يكون النكال والأخذ على أيدهم بشدة من قبله فيقول جَلَّوَعَلَا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [هود: ١٠٢]، فبين الله في هذه الآية

الكريمة شدة انتقامه من الظالمين وقد فسرت الآية بحديث نبينا ﷺ لرتدع الظالم وينزجر، ففي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته، ثم قـرأ:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ »[1]، فالله جَلَّ وَعَلَا يمهل الظالمين لكنه لا يهملهم، إنه إذا انتقم منهم كانت العقوبة شديدة، وكانت الوطأة قوية من الله هذا في الدنيا، وفي الآخرة عذاب آخر يقول -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

فالله -جَلَّ وَعَلَا- ينتقم من الظالمين، ينتقم للمظلومين، فعلى المظلومين أن يستبشروا وعلى الظالمين أن ينتهوا، ويحذروا، فإن الله -عَزَّ وَجَلَّ- هو المطالب بحقوق المظلومين فأين المفر والإله الطالب، أين المفر يا عبد الله والله هو الذي يطالب بحقوق عباده، لقد ذكر الله عن كثير من الأمم حينما سلكت هذا المسلك كان الانتقام والأخذ الشديد، هذا كما ذكره الله في القرآن الكريم، ذلكم الكتاب الذي من رد حرفا فإنه كفر بالله، فكله صدق وعدل فأخباره صادقة وأحكامه عادلة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

هذا أحد الظالمين يجادل نبيًا من أنبياء الله، ثم كان الأخذ الشديد على يد هذا الظالم يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾[البقرة: ٢٥٨].

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٤٠٩) ومسلم (٣٥٨٣).

هذا رجل استطال على الله وتفلسف على نبي الله، وظن أنه يحيد من قبضة الله فيسلم له إبراهيم جدلا بأنه فعلًا يحيي ويميت على أن هذا من خصائص الله، لكنه كان ملكًا ظالمًا إنه كان جبارًا غشومًا يحكم على العباد بالظلم، فيطلق هذا ويحكم على الآخر بالإعدام، فكان هذا في قانونه إنه إحياء وإماتة، فيلقمه إبراهيم حجة ما استطاع أن يتخلص منها ﴿ **قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾** ﴾ [البقرة: ٢٥٨] ، أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وأزال الله ملكه وهتك أستاره، وصار لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ضرًا ولا أن يجلب لنفسه نفعًا، يوم أن تنعم بأنعم الله لكنه لم يؤد شكرها والعياذ بالله .

هذا ظالم آخر ذلكم الفرعون الذي كان يقول لأهل مصر: ﴿ **مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى** ﴾ [القصص: ٣٨] ، هكذا يقول ذلك تجبرًا وتبخترًا الذي جمع جنده ثم أتى وراء هذا العبد المسكين يريد أن ينتصر على موسى كليم الرحمن، وظن بقوته ومملكته أن يكون هو الغالب وهو المنتصر، فكانت إرادة الله أن أغرقه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- يوم أن ظلم بني إسرائيل، قتل رجالهم وأبناءهم واستحيا نساءهم، أمهله الله ثم أخذه أخذ عزيز مقتدر، وهكذا الأمم ما بغت أمة من الأمم إلا كانت الوطأة شديدة، ولا طغى فرد من الأفراد إلا عاقبه الله، سواء كان هذا الظلم بينه وبين الله، أو كان هذا الظلم قد تسرب إلى أولياء الله، فإن الله يغار على أوليائه يقول سبحانه : «**من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب**»[١] ، يجمع الله قطيعًا من تلك الأمم في آية من كتابه الكريم لتكون عبرة وعظة للظالمين وبشرى وتسلية للمظلومين .

قال -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ **فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم**

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٧) من حيدث أبي هريرة .

مَّنْ أَغْرَقْنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [العنكبوت: ٤٠].

هذه عاقبة الظالمين أن ينتقم الله جَلَّ وَعَلَا منهم، ويريح البلاد من شرهم قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه الكريم متوعدًا الظالمين إلى يوم الدين فمهما طال كعبهم في هذه الدنيا: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الفتجر: ٦-١٤].

أما الذين قد مضوا فصب الله عليهم صوب عذابه، وأما الآخرون الذين لم يكونوا قد وجدوا عند تنزل هذه الآية المباركة فيهددهم الله بقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ ﴾ أي أنه يرصد للظالم أن يأخذه أخذ عزيز مقتدر.

تنام عيناك والمظلوم منتبه ... يدعو عليك وعين الله لم تنم

إلى ديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصوم

ستعلم في المعاد إذا التقينا ... غدًا عند المليك من الظلوم

فما أحوج العباد أن يراقبوا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وأن يقلعوا عن الظلم، وأن يعيدوا المظالم إلى أهلها، فما ظلم عبد عبدًا إلا كان الانتقام شديد من الله، لو تأملت في كتب التاريخ قصة رجلين ظالمين ظن هذان الظالمان أن يكونا بعيدين من قبضة الله، أما أحدهما فهو الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أخبر النبي ﷺ عنه يوم أن قال: «**يخرج من ثقيف - وثقيف بلدة في الطائف - كذاب ومبير**»(١)، أما الكذاب فهو المختار بن أبي عبيد الثقفي، وأما المبير فهو الحجاج

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٩٠٩) والترمذي (٣٩٤٤) وصححه الألباني.

بن يوسف الذي قال فيه عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ : لو استخبثت أمة فجاءت بكل خبيثها وجئنا بالحجاج لغلبنا به كل أمة.

يقال في كتب التاريخ: إنه قتل مائة ألف مسلم، ويقول الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا نسبه ولا نحبه، على أننا نقول: أمره إلى الله، هذا العبد كان أميرًا لبني أمية ما كان خليفة ولا ملكًا، وكان يرى أنه من خرج على بني أمية قد كفر بالله اجتهادا أو تأويلًا، فحارب أولياء الله، وتسبب في قتل ابن عمر، وأهان أنس بن مالك، وقتل سعيد بن جبير، هؤلاء العلماء البارزين، ومن التابعين الصالحين، ومن الصحابة الربانيين وكانت له مواقف كثيرة، كان والعياذ بالله لا يرى حرمة دم مسلم خالف بني أمية، وكان القتل سهلًا ميسرًا، إن اعترضه أحد بكلمة، أو وجه إليه نصيحة يغضب غضبًا شديدًا، فلا يكون الفراق إلا بقتل هذا الناصح والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يمهله، وبعد أن قتل سعيد بن جبير دعا عليه وقال: اللهم لا تسلطه على أحد بعدي، فاستمر شهرًا كاملا لا يكتحل بنوم ولا يستطيع أكلًا ولا شربًا ولا يستطيع مقربة النساء، وكان يقول في خلوته: مالي ولسعيد بن جبير وبعد هذا الشهر يموت العبد الذي فعل الأفاعيل بالمسلمين، فرؤيت له المنامات قيل له: ما فعل الله بك الحجاج وسطر التاريخ ما حوته يداه، فكان والعياذ بالله قدوة سيئة، فمن الذي يريد مقتديًا به خرج من هذه الدنيا صفر اليدين، وترك الدنيا بخيرها وشرها، ثم بعد ذلك في الدولة العباسية يأتي رجل يسمى بأبي مسلم الخرساني، وكان أيضًا نهاكًا لدماءٍ من أجل ملك بني العباس فيقيم دولة بني العباس ويخمد دولة بني أمية، إنه يعمل لغيره لا يعمل لنفسه فكان أبو جعفر المنصور يقول لأخيه أبي العباس السفاح: إن في سيف أبي مسلم لرهقًا، فكان يقتل بالظنة والقتل عنده سهل ميسر، فكان الجزاء من جنس العمل، قتله الله على يد من يعمل لصالحهم على يد أبي جعفر المنصور يطعنه بخنجره، ثم يأتي بأربعة من بطارقته ناوشوه

بسيوفهم، ثم يرمي بجثته التي لا تساوي شيئًا بين حرسه وعسكره فرفسوه بأرجلهم، ثم نثر عليهم الذهب والفضة، فلم ينشغلوا بأميرهم وإنما انشغلوا بالدنيا ويخرج أو مسلم الخرساني ذلكم الذي عاش في أرض خرسان تسعة أعوام من أجل إقامة ملك بني العباس، وهكذا يخرج من هذه الدنيا صفر اليدين وهذه حالة الظالمين،رجل يذكر قصته الشيخ عبد الحميد كشك: أن هذا الرجل كان من أهل الثراء ومن أهل اليسار يسكن في فيلا جميلة، وكان أبوه وأمه بجانبه، وكان شديد التحنن إلى أبويه، ثم يموت بعد ذلك أبوه فيتزوج بامرأة، فيأتي بها إلى هذه الفيلا ليعيش معها ومع أمه، فكانت زوجته سيئة العشرة لأمه، وكانت تسمعها العبارات المقذعة، وتتضايق منها فأصيبت أمه بشبه الجنون حزنًا على زوجها، ولما تلقاه من زوجة ابنها، فتقول هذه الزوجة السيئة لهذا الرجل: أنت مخير بين أمرين إما أنا وإما أمك، فيفكر ويقدر فهوى به الهوى والعياذ بالله ويختار زوجته على أمه، ونسي والعياذ بالله ما كان له من فضل من أمه، وهكذا أعماه الشيطان فيأخذ أمه إلى قمة البيت ثم يرميها على الشارع لتسقط على أم رأسها فتموت ثم ينصب سرادقًا ويعد مأدبة ومأتمًا ليأتي الناس يعزونه في أمه، وظن أنه يستطيع أن يثبت جدارته وشطارته، وأن يخفى على عدالة السماء ما كان قد فكر به ونفذه، ثم بعد فترة وجيزة يصاب بجنون كما أصيبت أمه، فيطلع إلى ذلك المكان ويسقط على أم رأسه هكذا تلقائيًا ينتقم الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– من هذا الابن العاق لأمه التي أرداها قتيلة فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يقول: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[لقمان: ١٤].

وهكذا حال من قتل أباه ثم بعد ذلك يقتله ابنه والجزاء من جنس العمل.

من يعمل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان

يا أمة محمد كل واحد أدرى بما معه وما عليه، وماذا سيلقى، ماذا عليه من حقوق الله وماذا عليه من حقوق المخلوقين، فها أنت في وقت الإمهال قبل

أن نفد على الواحد الديان، فتحلل من ذلك عبد الله، فإن هذه الدنيا دار ممر، وليست بدار إقامة إنما هي دار أعمال،

إن لله عــبـادا فـطـنـا طلقوا الــدنــيــا وخـــافــوا الفتنا

نـــظــروا فــيـهـا فـلـما علموا أنهـــا لـيـســت لحـــي وطـــنــا

جــعــلــوهــا لجـــة واتخــــذوا صــالـــح الأعـــمال فيها سفنا

اللهم بارك لي ولكم بالقرآن العظيم، وانفعنا بسُنَّة سيد الأولين والآخرين أقول ما تسمعون وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

عباد الله: يقول الله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] ، يبين الله في هذه الآية أنه لابد للظالم من انقلاب، ولابد له من زوال، ولقد بلغ الحرص بنبينا ﷺ كان إذا خرج مسافرًا يسافر للجهاد أو للحج والعمرة أو سفرًا مباحًا، كان يأتي بدعاء السفر ويلحق ذلك : «اللهم إني أعوذ بك من دعوة المظلوم»[١] فدعاء المظلوم من الدعاء المستجاب الذي يرفعه الله، ثم يقول لصاحبه: «**وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين**»[٢]، ويقول نبينا ﷺ لمعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حينما وجهه إلى اليمن، داعية وأميرًا مرشدًا أو قاضيًا يقول له: «**يا معاذ وإياك ودعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**»[٣] .

يا مسلم: إن دعا عليك المظلوم الضعيف الفقير فإياك أن تستهين بذلك، فإن الله يقبل دعاءه دعاء الضعيف ودعاء المضطر.

❁هذا أحد الناس الذين أصابهم الغنى، فنسوا الغنى القهار الواحد الأحد فترفعوا على أولياء الله، فجاء إليه فقير يطالبه بحق لديه، فرفع يده وصفع الفقير على وجهه، فما كان الفقير يستطيع أن ينتقم من هذا الظالم لكنه اتجه إلى الله وقال: «اللهم اقطع هذه اليد التي سطت على وجهي» فما كان من الله إلا أن

---

(١) مسلم (١٣٤٣).
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٣١٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١١٦).
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٤٢٥) ومسلم (١٩) من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

يسلط على تلك اليد مرضًا عضالاً داء السرطان فينتقل بهذا المرض من دولة إلى أخرى بحثًا عن العلاج فقال له بعض الناس: اذهب إلى ذلك الذي لطمته واستسمح منه، فذهب إليه قال: أريدك أن تتوب إلى الله، ولما أن تاب إلى الله عذره وسامحه، فأعاد الله الحياة من جديد إلى تلك الأعضاء .

هذا دليل عباد الله على أن دعوة المظلوم تؤثر في الظالم مهما كان هذا الظلم وإن كان عبدًا كافرًا، والظالم وإن كان مسلماً فإن الله ينتقم للمظلوم من الظالم فما من أحد من المسلمين إلا ويشكو حقا إما أرض أو عقار أو حقوق فنجد من يجحده وربما شكل له لجنة من المحامين ومن المدافعين ومن الشرعيين من أجل أن يتفرغوا له فيضطر هذا المسكين أن يترك هذا الحق.

نقول: إن انتصرت يا عبد الله وهب أنك انتصرت فهل ستأخذ هذه الدنيا معك يقول ﷺ: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»(١) ، على مستوى الحيوانات العجماوات تكون بينهم المحكمة الإلهية ، محكمة الله رب العالمين ، ينتقم للشاة المظلومة من الشاة الظالمة ، وهي ليست مكلفة ، فما بالك ببني الإنسان ، إن هذه الحقوق أنت مسئول عنها غدًا بين يدي الله ، فأعد لها جوابًا يا عبد الله من الناس من ربما ظلم واكتسب من الغش وبالقهر والقوة ، ثم بعد ذلك يموت ، ويترك هذا الذي اكتسبه ، يتركه كله للورثة ، للزوج لزوج امرأته من بعده أولاده ، الذين لا يحمدونه من بعده كما قيل في المثل:

ودود القبر في عينك ترعى وترعى عين غيرك في ديارك

تترك هذه الدنيا، يأتي من يأكل ويشرب ويسرح ويمرح وأنت تعذب في قبرك عبد الله، فلا بد من أن تحاسب نفسك يا مسلم .

من الناس من إذا باع قطعة من الأرض مثلًا يبيعها، ثم يدعي بعد ذلك

(١) مسلم (٢٥٨٢).

ادعاءات باطلة، ومن الناس من ربما كتب بصيرة مزورة، ثم يأتي ببصائر أخرى، ثم يأتي بشهادات أنه ما كتبها ويريد أن يجحد هذا الذي باع له أمور كثيرة عياذا بالله مظالم، يجب علينا معاشر المسلمين أن نتحلل منها اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، وإنما هي الحسنات والسيئات في ذلك، في ذلك اليوم العظيم يجمع الله الأولين والآخرين ويقول الله للمظلومين تقدموا فاقتصوا من الظالمين أما الظالمون فهم بمثابة الذر لحقارتهم ولهوانهم على الله تطأهم الخلائق بأقدامهم ، ومهما كان هذا الظالم فهو بشر وعاقبة البشر الفناء .

تفت فؤادك الأيام فتًا وتنحت جسمك الساعات نحتًا

وتدعوك المنايا دعاء صدق ألا يا صاح أنت أريد أنت

فأنت مهدد بالموت، ومهدد بالفناء، الدنيا كلها مهددة بالزوال بالاضمحلال فسل التاريخ يا عبد الله ليخبرك عن فرعون وقارون، وليخبرك عن صناديد الكفر على ممر العصور والدهور أين هؤلاء ؟.

مات الملوك وأبناء الملوك ومن كانت لهم عزة في الملك قسعاء

نالوا يسيرًا من اللذات وارتحلوا برغمهم فإذا النعماء بأساء

أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وصفاته العلي أن يحفظنا وإياكم من الظلم وأن يرزقنا العدل فيما آتانا، اللهم أرنا الحق حقا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه، اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين، وارفع درجاتنا في المهديين، اللهم اجعلنا من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، اللهم احفظنا فوق الأرض، وتحت الأرض ويوم العرض عليك يا الله، اللهم آتنا في الدنيا حسَنة وفي الآخرة حسَنة، وقنا عذاب النار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٨- لزوم السُّنَّة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّساء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين: روى الإمام أحمد بن حنبل الشيباني في مسنده، وأبو داود والترمذي في سننهما من حديث أبي نجيح العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «وَعَظَنَا رسول الله ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ لَهَا الأَعْيُنُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ

قُلْنَا أَوْ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَأَوْصِنَا قَالَ : «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[(١)] .

في هذا الحديث العظيم أيها المؤمنون يبين لنا رسول الله ﷺ أنه لا فلاح لنا ولا سعادة لنا في الدنيا والآخرة، إلا بتقوى الله وبالسمع والطاعة، واتباع الكتاب والسُّنَّة، وبنبذ ما ناوأ ذلك من الشرك والبدع والخروج من المحدثات، وهذا واضح بجلاء من قوله ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ**» وكل من أحدث من الأمر يكون فيه اعتداء على سُنَّةَ رسول الله، فالخير كله في اتباع رسول الله ﷺ واتباع أصحابه الكرام، والذين اتبعوهم بإحسان من زمن المهاجرين والأنصار، فذلك هو الدين الصحيح الذي نقله هؤلاء الأقوام جيلًا بعد جيل، قافلة متزنة لا ترى فيها تصدعًا ولا تشققا ﴿ **فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ** ﴾ [الملك: ٣] .

لن ترى فيها إلا زاهدا صادقا مجاهدًا محتسبًا يعظم أمر الله وأمر رسول الله، فكان الأمر على ما كان في زمنه ﷺ وفي زمن الخليفة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثم في زمن الفاروق ما يقارب اثنتي عشرة عامًا، ولما مات الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان الخليفة الثالث عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان رجلا ذا حياء وقره الله بالحياء، وكان رؤوفًا رحيما حليماً، وكان شجاعًا مقدامًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عن عثمان فهو من أصهار رسول الله ﷺ ويزكيه الرسول ﷺ، بتزكية قال فيها: «**ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد هذا اليوم**»[(٢)] ، وهو من أهل الجنة بالاتفاق، هذا الخليفة الراشد،

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٦) والترمذي (٢٦٧٦) وصححه الألباني.
(٢) أخرجه الطبراني في مسند الشاميين (١٢٧٤).

بدأت البدع في عصره تطل بقرنها وتظهر على وجه الساحة الإسلامية ابتداء بالخوارج أولئك القوم الذين يكفرون بمطلق المعصية، يكفرون المسلمين كفروا أصحاب رسول الله ﷺ واستباحوا دماءهم وقاتلوهم عياذًا بالله، وهم أول من سل السيف على هذه الأمة، وإن قلنا (الخوارج) لا نريد أن يتسرب إلى القلوب والأذهان أنهم كفار، فإنهم يحفظون القرآن ويقومون الليل ويصومون النهار، بل يقطعون الليل تسبيحًا وقرآنًا لكنهم غَلَوا، والنبي ﷺ يقول: «إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه»[1] ويدخل ﷺ مرة على زوجته عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقال: «من هذه ؟» قالت: هي فلانة يا رسول الله تذكر من عبادتها وصلاتها فقال ﷺ «مه ؟» وهي كلمة يراد منها الاستنكار والاستفهام: «عليكم من العمل ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا»[2] قال الحافظ ابن حجر: قال الزين بن المنير: ففي هذا الحديث علم من أعلام النبوة فلقد أدركنا وأدرك من كان قبلنا أنه ما تنطع أحد في الدين إلا انقطع وإلا هلك أو كما قال، وفي حديث آخر يكرر ﷺ العبارة ثلاثًا يقول: «**هلك المتنطعون ثلاثًا**»[3].

والمراد بذلك المتعمقون المتشددون فهؤلاء القوم صالوا بالسيوف وأخذوا على عثمان بعض النقاط التي قال عنها عبد الله بن عمر: والله لو فعل عمر أكثر منها ما استطاعوا أن ينقدوه، لأن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان عنده من القوة والشدة ما قد علم من سيرته رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كذلك لكنه كان ذا حياء يقول ﷺ: «**ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة**»[4].

فقام هؤلاء القوم الذين نقدوه مثل هذه لمَ يعطي بعض الولايات من آل بيته ولما كان من أمره كذا وطالبوه أن يتنازَل عن الخلافة فرفض ورفض عامة أصحاب رسول الله ويدخل عبد الله بن عمر فيقول: كيف تتنازل عن

(١) أخرجه النسائي (٥٠٣٤).
(٢) البخاري (٤٣).
(٣) مسلم (٢٦٧).
(٤) مسلم (٢٤٠١).

قميص قمصك الله إياه فلا تتنازل يا أمير المؤمنين أو كلما أبغض قوم أميرهم أو خليفتهم نازلوه، لن يكون من هذا شيء، فصمم هؤلاء الذين قد ذكرت شيئا من تراجمهم أنهم يقرؤون القرآن ويصومون النهار ويقومون الليل لكنهم ما عندهم فقه في دين الله أخذوا بآيات الوعيد وتركوا أحاديث الرجاء وآياته فكفروا بمطلق المعاصي وكان هؤلاء القوم قد أخذوا مثل هذا وتلبس بهم رجل يقال له عبد الله بن سبأ وهو الذي حرك الفتنة بين أصحاب رسول الله وهو يهودي من يهود صنعاء تظاهر بالإسلام من أجل أن يضرب الإسلام، وإن كان بعض المؤلفين ينفي هذه الشخصية فلا عبرة بهم، على أنه من الشيعة من يثبتها كما سيأتي في تراجم بعض الرافضة يثبت هذه الشخصية الموجودة إنه عبد الله بن سبأ الذي بدأ بالخلاف بين أصحاب رسول الله وبدأ والعياذ بالله بعد مقتل عثمان يثير الفتن بين علي وعائشة، فسبب بذلك مقتلتين عظيمتين: مقتلة الجمل ومعركة صفين، بقيادة هذا الرجل، لكن من تحت الكواليس كما يقال، فكانت فتنة عظيمة مبتدأة من قبل هؤلاء الخوارج الذين أنكروا الشفاعة وكفروا بمطلق المعصية وكان عندهم والعياذ بالله من الجرأة على محارم الله وعلى دماء المسلمين ما هو موجود في تاريخ المسلمين ثم كان بعد الخوارج طائفة تسمى بالمرجئة يسمي العلماء فعلها فسق وذلك أنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة هذه أخرى أيضًا، ثم بدعة ثالثة وهي القدرية التي أنكرت القدر، أنكرت قدرة الله، وقالت: إنه لا يعلم الأمر إلا أنف، أي أن الله لا يعلم الأمر إلا بعد وقوعه تعالى الله عن قولهم علوًا كبيرًا هذه ثلاث طوائف كلها شذت عن فرقة أهل الإسلام وعن الدين الصحيح الذي جاء به جبريل على قلب سيد الأولين والآخرين، وكانت الطائفة الرابعة الرافضة التي ذرت قرنها وأشعلت فتنتها بين أصحاب رسول الله ﷺ وكان المتزعم لها هو عبد الله بن سبأ أيضًا الذي زعم أن عليًا لم يمت، وأنه مقبور بين

السماء والأرض فإذا سمعوا برقًا أو رعدًا يقولون: سبحانك يا أبا الحسن، وجاء لهم بعدة قواعد يمشون عليها في معتقداتهم باسم التشيع لآل البيت أو لحب آل البيت، فكانت في ذلك والعياذ بالله فتنة عظيمة حصلت بين أصحاب رسول الله ﷺ فهؤلاء القوم ظهروا بحب آل البيت مكفرين بذلك أصحاب رسول الله ﷺ بما فيهم أبو بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ولهم قواعد انتهجوها، ومن أعظم ما كان عندهم أنهم غالوا في آل البيت، حتى أن بعضهم كالإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سمع قائلا يقول له: أنت أنت يا علي، فقال له: ماذا؟ أنت أنت الله؟

فقال: أعوذ بالله من يقول بقولكم هذا؟ قال كثير، قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لما رأيت الأمر أمرًا منكرًا أججت ناري ودعوت قنبرًا

وهو غلامه فخد الأخاديد وأشعل النيران فأحرقهم غضبًا لله، على أن ابن عباس لم يوافق عليًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من حيث الإحراق لكنه وافقه من حيث أنه لابد من يقتل هؤلاء لأنهم كفروا بالله، وكفروا برسول الله فكان عبد الله بن سبأ هو المحرض لهذه الفتنة فجاء لهم بعقيدة الرجعة وذلك أن عليًا لابد أن يعود وأن رسول الله لابد أن يعود كان يقول لهم: إذا كنا نؤمن برجعة عيسى فكيف لا نؤمن برجعة محمد وعلي وهكذا عبد الله بن سبأ وضع لهم خططًا يمشون عليها فمن ذلك أنه أثبت لهم أن هذا القرآن محرف، فالآن يتناقلون في كتبهم التي هي عبارة عن أصول ينطلقون منها كالقرآن الكريم عند المسلمين وصحيح البخاري ومسلم فهم عندهم كتاب الكليني لأحد علمائهم وعندهم كتب ينطلقون منها ولهم معاهد وجامعات بل ولهم دولة تدعمهم وتشيد بمذاهبهم هذا فمن معتقداتهم أنهم يعتقدون تحريف قرآننا لأنهم يمتلكون قرآنًا يسمى بقرآن فاطمة أنه يفوق قرآننا ثلاث مرات ويعتقدون والعياذ بالله كفر أصحاب رسول الله، ولهم دعاء من دعائهم في بعض إذاعاتهم، كإذاعة

طهران، اللهم العن صنمي قريش يعنون بذلك أبا بكر وعمر، وهكذا أيضًا يتهمون فراش رسول الله ﷺ أزواجه وفي مقدمتهم عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا على أن براءتها نزلت في القرآن ومن لم يؤمن بذلك فهو كافر بإجماع أهل السُّنَّة وبإجماع المسلمين .

يقول -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ- : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾ [النور: ١١] .

ويقول -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ١٩﴾ [النور: ١٩] .

فهناك إحدى عشرة آية من سورة النور تبرئ ساحة عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا وأرضاها فهي صديقة بنت صديق، وهي عروسة رسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة، لكن من مبادئ الرافضة أنهم يعتقدون في عائشة أنها لا زالت زانية، يقدحون في فراش رسوالله ويدعون محبة رسول الله ﷺ ، ولله در القحطاني حيث يقول:

إن الروافض شر من وطيء الحصى   من كل طائفة ومن إنسان

مدحوا النبي وخوَّنوا أصحابه   ورموهم بالزور والبهتان

ومن معتقدات هؤلاء والعياذ بالله أنهم يقولون إن الخلافة إنما هي لعليٍّ وبعضهم يقول: إن الرسالة إنما هي لعلي وأن جبريل خائن بالرسالة هذا من مبادئ الرافضة الإثنى عشرية الجعفرية الذين هم الآن يحاولون أن يبينوا للناس أنهم مع الدين وأنهم ينصرون الدين ويأتون ببعض العبارات، الموت لأمريكا الموت لإسرائيل ومن هذه الشعارات والعبارات البراقة، ووالله إنهم ما يريدون أمريكا ولا يريدون إسرائيل وإنما يريدون المسلمين، وهذا تأريخ

الرافضة موجود بين أيدينا وأيدي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فمتى كسر الرافضة اليهود والنصارى ومتى كان لهم جهاد معلوم إنهم خذلة المؤمنين هم الذين خذلوا عليًا وخذلوا الحسين بعد أن استقدموه من أرض مكة إلى كربلاء وقتلوه هناك، وهم الذين قتلوا الحسن وهم الذين رفضوا زيد بن علي حينما قالوا له: نبايعك على الخلافة على أن تسب أبا بكر وعمر قال: هل أسب وزيري جدي إنهما وزيرا جدي في الدنيا ووزيراه في الآخرة ، فأبو بكر وعمر كانا مع رسول الله ﷺ في كل موقعة وفي كل موقف وهما وزيراه أيضًا في الحياة البرزخية .

قال الله -تعالى-: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾ [النساء: ٦٩] .

فيقول لهم زيد بن علي: وهل يسب الرجل وزيري جده ثم قالوا له: لا نبايعك فقال: اذهبوا فأنتم الرافضة .

تاريخ الرافضة معروف منذ زمن بعيد ففي القرن السابع الهجري حينما دخل التتر القادمون من بلاد الصين وما جاورها على بلاد المسلمين ظلماً وانتقامًا من الله الواحد الأحد على ما كان حاصلا في بلاد المسلمين آنذاك فيأتي هؤلاء القوم التتر إلى بلاد الشام وإلى العراق، فمن الذي ضرب معهم العهود والمواثيق على أن يدخلوا بلاد المسلمين إنه وزير أمير المؤمنين في ذلك الوقت ابن العلقمي و نصير الدين الطوسي وابن يقطين هؤلاء الثلاثة من الروافض ذهبوا إلى هولاكو التتري وتفاوضوا معه على أن يدخل بلاد المسلمين شريطة أن لا يمس الروافض بسوء ثم ذهبوا إلى الخليفة وقالوا له: إن هولاكو ما جاء إلى بلادك من أجل مقاتلتك وإنما جاء من أجل أ، يزوجك ابنته فهيأ العسكر فلما دخل الخليفة معسكر هولاكو أمر به أن يداس بالأقدام فإذا بالتتريين يدوسون

خليفة المسلمين بالأقدام بجريمة ابن العلقمي ونصير الدين الطوسي وابن يقطين ثم قال لهم: ابحت لكم بغداد أربعين يومًا فحصلت مجزرة سار فيها مئات من ألوف المسلمين فكانت هذه الثورة الدموية التي ضد المسلمين يشيد بها الخميني ويقول: غفر الله لابن العلقمي وصاحبه فيبارك ما كان من أمرهم هذا ما هو حاصل في دين الروافض وفي منهج الروافض الذي هو حاصل في بلادنا وفي كثير من بلاد المسلمين ويستعملون التقية فإن كان له قوة عاثوا في الأرض فسادًا وإن ضعفوا أظهروا التقية وهي عبارة عن نفاق يخالفون ما يظهرون والعياذ بالله فكانت هذه جريمة نكراء ولو أعدتم التاريخ في أواخر الثمانينات وفي أزمنة مباركة وفي الأشهر الحرم حينما ظهرت فرقة من الإيرانيين هناك في بلد الله الآمن في حرم الله وهم يحملون الدباب فيها البترول وفيها الأسيد وهم يقولون: الموت لأمريكا الموت لإسرائيل، وإذا بهم يحرقون خيم الحجاج، ويقتلون كثيرًا من المسلمين كل هذا بتأييد من الخميني وأصدرت في ذلك كتب منها كتاب إلحاد الخميني في أرض الحرمين .

وما هو حاصل الآن في بلادنا بلاد اليمن في أرض صعدة حينما ينادي زعيمهم بدر الدين الحوثي الموت لإسرائيل الموت لأمريكا، والله ما أماتوا أمريكيًا واحدًا ولا إسرائيليًا، وإنما أرادوا أن يميتوا المسلمين وأن يميتوا اليمنيين، إنهم والعياذ بالله يعدون هذه العدة منذ ما يقارب عشرة أعوام، ولهم جرائد تنشر ولهم معاهد ومساجد ولهم إعلام فكان واجب على إعلامنا وعلى صحافتنا وعلى رجال الأمن أن يتأملوا في هذه العقيدة وفي هذه الطائفة التي لا تراقب في مؤمن إلا ولا ذمة وإن تظاهروا باسم حب آل البيت أو كتبوا في جرائدهم من أقوال الإمام علي بن أبي طالب والحسن والحسين وأصحاب الكساء وما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ومخالفون أيضًا لما كان من الرجل الذي تنسبون إليه زيد بن علي الذي تقولون إنكم أنتم من الزيدية وكان

الجدير أن يكونوا من الرافضة الجعفرية الإثنى عشرية التي تتبع الخميني وقد ألف في ذلك كتابا اسمه الحكومة الإسلامية وبين في كتابه أن لهم اثنى عشر إمامًا معصومًا يعلمون ذرات الأرض وما تحت الثرى وأن عصمتهم تفوق الأنبياء هذا كلام الخميني وكتابه يباع في الأسواق هذا هو دين الرافضة،

عباد الله : فوجب على المسلمين أن يصحوا من نومهم ومن سباتهم ويعرفوا عدوهم الحقيقي لأنه يسوؤنا جدًا أن تطالعنا بعض الصحف بكتابة على بعض المسلمين ومن أهل السُّنَّة ومن المدارس الخيرية التي تنشر الإسلام بصفاته ووضوحه وتنشر الخير بين المسلمين ودليل هذا أننا نقول هذا على منابرنا وفي مساجدنا في ربوع البلاد كلها أما هؤلاء فلا يستطيعون أن يتظاهروا بما عندهم من الشر والعياذ بالله لكنهم إن سنحت لهم الفرصة هجموا هجمتهم وانقضوا على المسلمين.

اللهم بارك لي ولكم بالقرآن العظيم، وأقول ما تسمعون ، وأستغفر الله لي ولكم .

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله: اتقوا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- واعلموا يا عباد الله أن ديننا محسود من قبل أعدائنا أعداء الإسلام من اليهود والنصارى، ومن جميع الطوائف التي أخبر بها رسول الله ﷺ، حيث قال: «**إن اليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاثة وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**، فقال الصحابة: من هي يا رسول الله؟ **قال: هي الجماعة، وفي رواية قال: هي ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»[1]، هذا تفسير من رسول الله ﷺ لأهل الحق الذين هم سائرون عليه إلى قيام الساعة، وكل يدعي هذا الادعاء ولكن ليس له ذلك.

وكل يدعي وصلًا بليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاك

فإذا تشابكت دموع في خدود ... علمت من بكى ممن تباكى

فمحط النظر يا عباد الله الاتباع للكتاب والسُّنَّة وعدم الخروج على الحاكم المسلم بحال من الأحوال لأن في الخروج إثارة للفتنن، وإن أهل السُّنَّة منذ زمن بعيد ما كانوا يخرجون على حكامهم وإن جاروا فما خرج أصحاب رسول الله ﷺ على يزيد بن معاوية مع أنه كان عنده من الفسق وما خرجوا على معاوية ولا على المختار بن أبي عبيد وما خرجوا على المأمون ولا على الواثق ولا على الدولة العبيدية على أنها كانت دولة رافضيًا إسماعيلية وما خرج المسلمون إلى

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) وصححه الألباني.

يومنا هذا على حاكم وإن كان الخروج من طبيعة الخوارج ومن طبيعة الرافضة الاثنى عشرية إنهم والعياذ بالله في كل عصر ومصر يحاولون أن يخرجوا على حكامهم لأن في الخروج والعياذ بالله فسادًا في الأرض وشرًا مستطيرًا فلو خرج رجل أو جماعة على حكومة مسلمة كان والعياذ بالله الشر بل لو خرجوا على حاكم كافر وما كان عندهم قدرة لكان شرًا مستطيرًا أيضًا، فلقد جاء الدواء من رسول الله ﷺ حينما شكوا له حكامًا جائرين قال: «**اصبروا وأعطوهم الذي لهم وسلوا الله الذي لكم**» (١).

يا عباد الله: إن الثورات والانقلابات والخروج على الحكام يسبب والعياذ بالله إثارة للفوضى، فلو كانت الفوضى حاصلة كما هو حاصل الآن في بلاد العراق لما استطاع رجل أن يؤذن، ولما استطعنا أن نجتمع هذا الجمع لخطبة الجمعة، ما أمنا على نسائنا على سيارتنا على محلاتنا على طرقنا ولا على شيء، فنحن نحمد الله -عَزَّوَجَلَّ- على الأمن والأمان يسافر المسافر من أرض الحرمين ومن دول الخليج ومما هو أقصى من ذلك، إن دل هذا فإنما يدل على أمان، فمن أراد أن يزعزع هذا الأمان والعياذ بالله، فإنما يكون قد جنى على نفسه وعلى نفسها جنت براقش، وهكذا عباد الله يجب عليكم أن تتأملوا فليس كل من ربى لحية أو خطب جمعة أو قال، هو من العلماء أو من الدعاة يشار إليه بالبنان بأنه من جماعة كذا وكذا أو بأنه من الإرهاب عياذا بالله، إن أمريكا كان يعجبها قلقلة الأوضاع في كثير من بلاد المسلمين وربما كانت تغذي الفكر الرافضي والعياذ بالله لكنها في مثل هذه الساعة الراهنة لا ترضى بمثل هذا حينما يكون الأمر يسوؤها باسم الإرهاب أو ما شابه ذلك وإننا يا عباد الله منذ زمن بعيد والله لا نرضى بمثل هذه الإثارة على أننا نقول: يجب على المسلمين أن يكونوا عقلاء فيعرفوا حق المسلم حق دمه والذمي والمعاهد والمستأمن لابد

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤٠٨) و مسلم (١٨٤٣) من حديث ابن مسعود.

أن يعرف له حق، فما بال قوم لا يعرفون مثل هذا فكان الواجب على الصحافة وعلى الإعلام وعلى أهل الأمن أن ينظروا في عدوهم الحقيقي وأن يكتبوا في بعض الصحف والمجلات نبذة عن عقيدة الرافضة أو الشيعة أو الخوارج من أهل الغلو أو المرجئة أو عن القدرية مثل هؤلاء الذين يخرجون على الحكام ويفسقون المسلمين يبدعون المسلمين وفي النهاية يقاتلون المسلمين إن الخوارج يا عباد الله مروا بصحابي بن صحابي إنه عبد الله بن خباب ومعه زوجته حامل فقتلوه وقتلوا زوجته وجنينها في بطنها، فلما قال لهم علي: من قاتله ؟ قالوا كلنا قتله، يتحدون بذلك علي بن أبي طالب ومروا بخنزير لأحد أهل الذمة فقتله رجل منهم، فقال بعضهم: هذا من الفساد في الأرض، وصدق النبي ﷺ إذ يقول: «يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»[(١)])

يا عباد الله: إسلامَكم إسلامَكم، وقرآنكم قرآنكم، وسُنَّة نبيكم ﷺ تمسكوا به وعضوا عليه بالنواجذ، واعلموا أن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن ، وإن مثل هذه الثورات ومثل هذه الاجعات الفاضحات ستزول بإذن الله الواحد الأحد، وسوف يتبين الأمر لكل ذي عينين باصرتين، ولو بعد زمن بعيد من الذي يهمه مصلحة الوطن وأمن الوطن ؟ والتفاني في سبيل أبنائه من أجل كرامة هذا الشعب الذي أثنى عليه النبي ﷺ حينما قال: «**أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة، وألين قلوبا، الإيمان يمان والحكمة يمانية**»[(٢)] .

والله إننا لنحرص على بلادنا وعلى سلامة الوطن من أيا د خارجية دخيلة تعبث فيه ، لا نقول هذا إرضاء للحكام ولا نرجو منهم والله شربة ماء إنما نقول هذا قربة إلى الله لأنه من ديننا ، ومن أصول دعوة أهل السُّنَّة والجماعة السمع والطاعة للحاكم المسلم ، ونحن نرى حكامنا مسلمين على أننا ننصح لهم أن

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣١٦٦) و مسلم (١٠٦٤).
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤١٢٧) مسلم (٥٢).

يتقوا الله - عَزَّوَجَلَّ- في رعاياهم وفي مصالح البلاد وفي عقيدة أبناء الشعب وفيما ولاهم الله من أموال هذا الشعب وممتلكاته، وما يتعلق بأمر الصحة وما إلى ذلك من حقوقه فنسأل من الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ - أن ينصر البلاد والعباد وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم من أراد بنا سوءًا والمسلمين فاشغله بنفسه، واجعل كيده في نحره، واجعل الدائرة تدور عليه، اللهم آمنًّا في أوطاننا، واحفظ ائمتنا وولاة أمورنا، اللهم آتنا في الدنيا حسَنة وفي الآخرة حسَنة وقنا عذاب النار .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

٩- تأملات في بعض آيات سورة النازعات

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين:

آية من كتاب الله -عَزَّوَجَلَّ- لطالما نحفظها ونرددها، ولكن قليل من يتأملها ويتدبرها، وإنها والله واعظة زاجرة آية ناهية يصلح الله أحوال من تدبرها،

ويصلح الله الدنيا والآخرة لمن عقلها، وما ذكره الله في آخر سورة النازعات، حيث يقول: ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ ﴾ [النازعات: ٣٤- ٣٩].

يحكي الله تبارك وتعالى عن عبدين اثنين أعني جنسين من الرجال والنساء اجتمعا في ذلك اليوم العظيم يوم يعرض الناس كلهم على ربهم لرؤية أعمالهم كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة:٦-٨].

ويصور الله ذلك الموقف بصورة رهيبة من صور يوم القيامة، ويكنى عن ذلك اليوم بأنه يوم الطامة الكبرى، وذلك لأنه يطم الأسماع والعقول ويجعل الولدان شيبا من هولها وتضع كل ذات حمل حملها، في ذلك اليوم ينسف الله الجبال ويدكك الله الأرض، وتحول الأرض غير الأرض والسماء، وما ذلك إلا لهول الموقف، فبعد ذلك يكون هذا الأمر يعاين الناس أعمالهم، يومئذ يتذكر الإنسان ما سعى، أي يتذكر سعيه وأعماله يراها واضحة جلية لا لبس فيها ولا اختلاط ولا تزوير ولا شيء من أمور الدنيا ، وإنما هو الصدق يا عباد الله، لذا يقول الله عن أحوال أهل النفاق: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ﴾ [المجادلة: ٦].

وقال سبحانه: ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [المجادلة: ١٨] ، وبين الله واقع الأمر فيقول سبحانه: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فتظهر الخافيات في ذلك اليوم فيجعل الله من جوارحك من يشهد عليك أركانك وأعضاؤك يا عبد الله، فماذا أنت قائل لربك ؟ يقول تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[يس: ٦٥].

ويقول: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [فصلت: ٢٠] ، وهكذا الأرض تشهد يقول سبحانه: ﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: ٨].

فالأرض تشهد بما صنع على ظهرها وهكذا تشهد جوارحك كلها
ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على الروح فاستكمل فضائلها فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

فهذا الجسم الذي عذبناه ونعمناه وربيناه، إنه والله لشاهد علينا غدًا، وهكذا القرآن له شهادة، والملائكة المقربون يشهدون، وهكذا تظهر الحسنات والسيئات فيحكي الله عن هذين الفريقين، فريق مفرط في جنب الله فأعطى نفسه هواها، وآخر حزم هذه النفس ورباها، فتأملوا عباد الله إلى أحوال هذين العبدين، وكل واحد قضى شوطًا من عمره يجتمعان في هذا اليوم العظيم ﴿ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النازعات: ٣٧-٣٨] ،أي آثرها على الآخرة التي يقول الله فيها: ﴿ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[الضحى: ٤] ،

لكنه من ضعف عقله وجهله وهواه قدم هذه العاجلة الفانية على تلك الآجلة الباقية، لذا يقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾ [القيامة: ٢١].

فهذا العبد فرط والله المستعان يذكره الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- في موطن من القرآن. يقول تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ [الفجر: ٢٣].

يتذكر الإنسان أنه ما كان في شيء وأن أمامه مخاطر عظيمة يروى عن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه كان يقول: الناس في نوم فإذا ماتوا انتهوا،أي إذا خرجوا من هذه الدنيا رأو أهوالا عظيمة، فكيف إذا جمعهم الله في ذلك اليوم العظيم إذن يا عبد الله كانت هذه المرحلة الأولى في عبد فرط وتجاوز الحدود فأين الشهوات والأكلات، أين الملذات ؟ أين هذه الحياة التي قضيتها، لقد ذهبت عنه أشياء ولم يبقى منها شيء .

إن أهنأ عيشة قضيتها ذهبت لذاتها والإثم حل

وهذا فريق آخر، إنه فريق أهل الإيمان، فريق أهل الخوف من الله الذين عبدوه في هذه الدنيا، فهنيئًا لهم في ذلك اليوم فلا بأس أن يأخذوا كتبهم بأيمانهم لكن لهم البشرى في عرصات القيامة ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤١]، وقد قيل إن ملكًا من الملوك جمع علماء بلدته ومملكته فقال: حدثوني في أي موضع تكون نفسي، أتكون في الجنة فأهنئها أم في النار فأعزيها ؟، فقالوا: هذا عالم غيبي والأمر الغيبي لا نعلمه إلا أن واحدًا من هؤلاء تلا عليه هذه الآيات من آخر النازعات التي تبين الموضع بجلاء وكل واحد حسيب نفسه والله رقيب على

كل واحد منا، ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾
وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَحِيمَ
هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ
ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ
مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ
ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النازعات: ٤٦].

فهو عمر قصير، فأما أن نستخدمه في طاعة الله، وإما في غير ذلك، والله المستعان، ولا شك أنك خارج من هذه الدنيا.

هذا جاهل من الجاهلين طرفة بن العبد يقول في معلقة له:

ولقد علمت لتأتيني منيتي — إن المنايا لا تطيش سهامها

إنه شاعر جاهلي قبل الإسلام يبين حقيقة هذه الدنيا حقيقة هذه الدنيا ويعرفها، وأنه مهما تعمر فيها فلابد من الموت، وهذا زهير بن أبي سلمى يقول:

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش — ثمانين حـولًا لا أبـا لك يسأم

هذه حقيقة الدنيا، لذا كان من الله وعد أن من خافه واتقاه وعبده وقدسه أن يسعده سعادة لا شقاء بعدها يقول تعالى في الحديث القدسي: «وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين، فمن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، ومن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة» (١) وهذه فرصة بين يديك، إنها لحياة قصيرة أن تخاف الله – عَزَّوَجَلَّ – فيما تأتي وما تذر، وكل شيء تعمله محط نظر من صلاة أو صيام وحج واعتمار وختم القرآن وصلة الأرحام ومحافظة على الجمع والجماعات،وأنت أدرى بذلك من غيرك، والله يعلم ذلك كله،

(١) أخرجه ابن حبان (٦٤٠) وانظر صحيح الجامع (٤٣٣٢).

فلماذا يا عباد الله لا نذكر أنفسنا بمثل هذا ونحن أحقر خلقًا من السماوات والأرض والجبال والملائكة المقربين التي هي طائعة لأمر الله فالجبال وما فيها من الارتفاع وما في عمقها أسفل البحار، وهكذا الكون كله ليخاف من ربه جَلَّ وَعَلَا، يقول تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [فصلت: ١١].

و في حق الملائكة يقول: ﴿ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ ﴾ [فصلت: ٣٨].

يقول نبينا ﷺ: «أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدًا لله»[(١)] لما بلغ بنبينا حتى بلغ سدرة المنتهى حتى سمع صرير أقلام القضاء والقدر ذكر من ذلك: «البيت المعمور وأنه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه إلى قيام الساعة»[(٢)] ، فالأملاك بطول عمرها وما خلق الله - عَزَّوَجَلَّ - لها من العظمة والكبرياء من كبريائه -تبارك وتعالى- إنها لتسبح الله جَلَّ وَعَلَا يقول نبينا ﷺ: «رأيت جبريل على صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، قد سد ما بين المشرق والمغرب»[(٣)] ويقول نبينا ﷺ: «**إن الله أذن أن أحدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى منكبه مسيرة سبعمائة عام**»[(٤)] يقول: «**سبحانك ما أعظمك فيقول الله: لا يعلم ذلك من يحلف بي كاذبًا**» ، ويقول ﷺ وهو يتحدث عن غرائب خلق الله وعظيم مخلوقاته عن ديك من الديكة والحديث ذكره الطبراني عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بسند صحيح ، قال نبينا ﷺ: «**أذن لي أن أتحدث عن ديك قد مرقت رجلاه الأرض السفلى وعنقه مطوية تحت العرش، فيقول هذا الديك:**

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٥٥٥) والترمذي (٢٣١٢) وصححه الألباني.
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٦٧٤) ومسلم (١٦٢).
(٣) أخرجه أحمد (٣٨٦٢) انظر صحيح الجامع (٣٤٦٤).
(٤) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧) وصححه الألباني.

سبحانك ما أعظمك» (١) .

يعلم تبارك وتعالى ونحن ماذا نكون وماذا عسى أن نكون أمام هذه المخلوقات الطائعة لله، وهكذا أيضًا الرسل الذين لهم وسامات عاليه ومقامات رفيعة ليخافوا الله هذا نبينا ﷺ يقول: ﴿ **قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ** ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥].

نبينا ﷺ يخاف أن يعصي ربه – سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– وهكذا النبيون في ذلك اليوم العظيم الذين زكاهم الله تعالى في ذلك اليوم داوهم جميعًا اللهم سلم سلم، وإن الخليقة إذا أرادت أن تبحث من يشفع لها عند الله تتنصل منها الأنبياء عدا نبينا ﷺ قائلين كلهم: إن ربنا قد غضب اليوم غضًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، هذه أحوال النبي ﷺ فماذا عسى أن نكون عباد الله، وهكذا الصالحون بعضهم وهو سفيان الثوري كان لا يستطيع أن ينام في بعض الليالي لما وجد في قلبه خشية الله يقول: إنه ليتذكر عذاب النار فيطير النوم من جفنه وكان بعضهم يردد:

فـإن تنج منها تنج مـن ذي عظيمة ... وإلا فإني لا أخالك ناجيا

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم، استغفروا الله يغفر لكم .

(١) أخرجه الحاكم (٧٨١٣) انظر صحيح الجامع (١٧١٤).

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد الأولين والآخرين، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

عباد الله: اتقوا الله، واعلموا أنكم في دار الأعمال والإمهال، والفرصة بيننا يا عباد الله، فالسعيد من اتعظ بغيره، ألا وإن أمير المؤمنين عليًا كان يقول: «**ألا إن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة ترحلت مقبلة، فمنذ أن خلق الله الدنيا وهي في إدبار، ومنذ أن خلق الله الآخرة وهي في إقبال، ألا وإن لكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل** » .

يا عباد الله: ما أحوجنا إلى أن نعظم الله في قلوبنا لنعظم شعائره وأوامره، وأن يكون في قلوبنا خوف من الله تعالى، إن من كان في قلبه خوف من الله لهو والله أفضل من أن يكون في قلبه أمن فقط، فإن كثيرًا من الناس ربما كانوا من المسلمين قد أعطوا لأنفسهم الشعاع، الأخضر فلا مراقبة ولا محاسبة، وقد قال رجل للحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إني أجالس أقوامًا يخوفونني بالله فهل أجالسهم؟، فقال له أبو سعيد: والله لأن تجالس أقوامًا يخوفونك حتى تدرك الأمان، خير لك من أن تجالس أقوامًا يؤمنونك حتى تكون في خوف، فالمؤمن يا عباد الله لابد أن يجمع بين الخوف والرجاء فلا ينبغي له أن يكون يائسًا من رحمة الله، بل لابد أن يرجوه، ولابد أن يخافه خوفًا يمنعه عن المعصية، ورجاء يدرأ به اليأس والقنوط ، فإن الله يقول: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣] ، إلا في حالتين اثنتين لابد أن تغلب جانب الخوف، وكذلك الرجاء،

فمن أسرف على نفسه بالذنوب والمعاصي والموبقات فلابد أن يخاف الله كثيرًا .

فإن الله يقول: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤] . ففي هذه الحيثية يجب على من أسرف على نفسه بالمعصية أن يكثر الخوف من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وهكذا أيضًا إن شعر بدنو أجله وبخروجه من هذه الدنيا لابد أن يغلب جانب الرجاء على جانب الخوف يقول نبينا ﷺ : «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله**» (١) ، ويقول الله -عَزَّ وَجَلَّ- في الحديث القدسي: « **أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِى بِى وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِى، إِنْ ذَكَرَنِى فِى نَفْسِه ذَكَرْتُهُ فِى نَفْسِى ، وَإِنْ ذَكَرَنِى فِى مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِى مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّى شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَىَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِى يَمْشِى أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً** »(٢).

لكن هذا في آخر المطاف، أما وأنت على هذه الحال فلا تغلب جانب الخوف لا سيما إن كنت قد أسرفت على نفسك بالمعصية ولا ينبغي للمخلوق أن يتكبر على الله فإنك مخلوق ضعيف تحتاج إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ، يقول تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [فاطر: ١٥-١٦]، فلا ينبغي لصاحب الثراء ولا لصاحب المنصب والجاه أن يغتر بذلك كله، فإنما هو أمر زائل.

لا يأمن الدهر ذو بغي ولا ملكا … جنوده ضاق عنه السهل والجبل

وهكذا قال بعضهم:

لا سابغات ولا جـأواء باسلة … تقي المنون لدى استيفاء أجيال

فلا ينبغي لشخص أن يغتر بهذه الدنيا، فإنه عما قيب يفارقها ، يقول

(١) مسلم (٢٨٧٧).
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٩٦٠) و مسلم (٢٦٧٥).

-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

ويقول سبحانه : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٦] ، ويقول تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَاۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [القصص: ٦٠] .

فمن كان في ذمته أو في بطنه مظالم لعباد الله فليتحلل منها اليوم قبل الغد فإنه في وقت إمهال فمن السهل أن يعيدها لكن إذا جمعه الله مع خصومه ماذا يقول له في ذلك اليوم ؟، وهذه حجة قد أقيمت على كواهلنا وأعظم أمانة وأبرزها أمانة هذا الدين الذي كلفنا الله به، بل نحن برزنا له يوم تبرأت السماوات والأرض والجبال إشفاقًا ليس عصيانًا ، فبرز لهذه الأمانة هذا الإنسان فما فعلنا بهذه الأمانة أمانة القرآن والسُّنَّة التي يقول الله فيها: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزخرف: ٤٤] ، ويقول ﷺ: «إنكم مسئوولون عني فماذا أنتم قائلون»(١) لربنا غدًا في هذه الأمانة التي يجب علينا أن نهتم بها أكثر من أمانة الأموال والأولاد.

الدين رأس الأمر فاستمسك به فضياعه من أعظم الخسران

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم أصلح الرعاة والرعية وأصلح ولاة أمر المسلمين، وقضاة المسلمين وعلماء المسلمين، ودعاة المسلمين صلاحًا لا فساد بعده، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) مسلم (١٢١٨).

١٠ - الهموم والغموم

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين:

إن من موجبات الذنوب والمعاصي وقتراف السيئات ما يكون عائدًا على القلوب فيسبب فيها من الهموم والغموم ما يضيق صاحبها ذرعًا فيشعر

بضيق الصدر ويشعر بالكآبة وعدم الارتياح وما ذلك إلا نتيجة لما اقترفه يداه يقول جَلَّوَعَلَا: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١]، ويقول جَلَّوَعَلَا : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقديما قالوا على نفسها جنت براقش فالهموم والغموم التي يشكو منها الكثير من المسلمين والمسلمات والله ليست إلا ناتجة عن هذا ونادرًا عن أمور قد قضى الله فيها من المقدرات التي قدرها الله جَلَّوَعَلَا لكن أغلبها وأساسها بما يكون ناتجا عن هذا يوم أن يعرض العبد عن ذكر الله يقول سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ [طه: ١٢٤]، ضيق الصدر إنما نتج عن الإعراض والبعد عن الله نتج هذا يوم أن غفل القلب عن ذكر الله فهجم الشيطان على هذا القلب فتولد فيه الهموم والغموم وتولك في الصدر الضيق والجرح فكثير من المسلمين من يبحث عن أطباء نفسانيين والله إن علاجه لفي القرآن والسُّنَّة فإن الأرواح إنما علاجها بيد الله ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥].

فهذه الروح وهي النفس إنما تعالج بأمر الله فلا يعلم حقيقتها إلا الله، فالأنس والراحة والسكون والطمأنينة والانشراح، فليس للعباد أنفسهم أن يهبها بعضهم لبعض، وإنما الله هو الذي يمتلكها، ومن أعظم الذنوب التي تعجل عقوبة سريعة على القلوب فتصاب هذه القلوب بالهموم والأحزان، وتصاب هذه القلوب بالأمراض والأدواء وهي كثيرة، لا شك لكن من أهمها ما جاء في سنن البيهقي من حديث أبي هريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «ليس شيء أسرع ثوابا من صلة الرحم، وليس شيء أسرع عقوبة على العبد من البغي وقطيعة الرحم واليمين الفاجرة تجعل الديار بلاقع»(١) فهذه ذنوب هي

(١) رواه البيهقي (٤٨٤٢) وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١٨٣٦)

قطيعة الرحم والبغي والتعالي على الخلق وهكذا ما يكون من اليمين الفاجرة التي يحلفها عبد مسلم ليقطع بها حق امرئ مسلم وليس شيء أعجل عقوبة من البغي وقطيعة الرحم واليمين الفاجرة تجعل الديار بلاقع أي أنها تؤثر على صاحبها فربما انتزع يده من بين يديه وانتزعت أملاكه وهو لا يستطيع أن يدافع عنها وظن بيمينه الفاجرة أنه سينجو وهذه تسمى اليمين الغموس والنبي ﷺ يقول: «**من حلف يمينًا ليقطع بها مال امرئ مسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان**»[(١)] .

هذه ثلاث عقوبات تقابلها ثلاث جنايات فما جنى العبد على نفسه إلا وأثرت على قلبه مباشرة قطيعة الرحم وقد جاءت الأحاديث في فضل صلة الرحم لو لم يكن منها إلا حديث: «**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**» [(٢)] ، صلة الأرحام من محاسن هذا الدين وقطيعة الأرحام حذر الله منها ورسوله فهي من كبائر الذنوب والمعاصي حذر منها ﷺ بقوله: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور» فما زال يكرر شهادة الزور حتى قال بعض الحاضرين من أصحابه رضي الله عنه: ليته سكت [(٣)]، من كثرة تكراره ﷺ ومن المعاصي التي تسبب العقوبات السريعة من أخذ أموال الناس أخذها عن طريق الاقتراض، والدين لكنه تمرد وتهرب، وقد نوى في قلبه أن لا يعيدها إليهم يقول ﷺ : «**من أخذا أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله**»[(٤)] وذلك قبل أن يقترضها ينوي في قلبه إن نوى الإرجاع وإن نوى حسن الظن، فإن الله يعينه على قضاء دينه وإن أخذها والعياذ بالله وقد نوى في قلبه أن لا يعيدها فإنه والعياذ بالله لا يعان على قضاء دينه ويسبب له ذلك إتلافًا

(١) البخاري (٢٢٨٥) عن عبد الله بن مسعود.
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٦٤) و مسلم (٢٥٥٧) عن أنس بن مالك.
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٥١١) مسلم (٨٧) عن أبي بكرة.
(٤) البخاري (٢٢٥٧).

فبعض الناس، يظن أن هذا من الذكاء والشطارة وإن هذا من الرجولة يأخذ أموال المسلمين ثم يتناقض في قضاء الديون بل هناك من قام بعمل شركة من أجل مساهمة في أموال فدفع بعض المسلمين أموالًا طائلة، فلما توفرت الأموال في رصيد بنكي باسمه إذا به يأخذ الرصيد ويغادر من هذه البلاد، هكذا ضحك على المسلمين ويظن أنه ناج من الله، والله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يقول: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧] .

ومن المؤثرات على القلب أكل الربا والإكثار منه، ما أحد أكثر من الربا إلا كان عاقبة أمره إلى قلة فمن أكثر من الأموال الربوية التي يعرفها الكثير من المسلمين اليوم فإن عاقبة أمره يكون إلى قلة ، وإن زين له الشيطان أن أمواله تنمو وأنه يشعر براحة وسعادة ، والله إن الهم والحزن لا يفارق قلبه، ولا يهنأ في نومه ولا في أكله وشربه ، وذلك أنه يأكل من الحرام.

والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥] ، ويقول سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨] .

من المعاصي التي تسبب إحراقًا للقلب التي تسبب داءً عضالا للقلب فتصاب القلوب بالأمراض، ما يكون ناتجًا عن الحسد وما يكون ناتجًا عن عدم الرضا بقضاء الله، فلا يكون هذا العبد قنوعًا فالقناعة حصن حصين لمن أراد أن يستريح ولمن أراد أن يهدأ قلبه وإذا الإنسان فتح على نفسه أصيب والعياذ بالله بداء الحسد فلم يقنع بشيء والقناعة كنز لا يفنى كما يقال، ونبينا

ﷺ يأخذ بيد أبي هريرة فيقول: «اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس»(١) فمن رضي بقضاء الله وقدره جعل الله له غناه في قلبه يوم أن تقصر عن عينك إلا من أهلك يوم أن تقصر الطمع إلا عن ذكر الله يوم أن لا تمتد عينك إلى غيرك فإن الله عَزَّوَجَلَّ يعطيك القناعة، وليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس، وعليك أن تعلم عبد الله أن الله قسم الناس إلى طبقات وربما كان اليهود والكفار أكثر أموالًا من المسلمين بل هذا هو الحال فهل معنى هذا أنه يحبهم ؟ كلا .

يقول سبحانه: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [هود: ١٦] ، وقال سبحانه: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الشورى:٢٠]، ويقول سبحانه: ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٣٢] .

فيقسم الله - عَزَّوَجَلَّ - الناس إلى طبقات فمنهم الغني ومنهم الفقير، وفي حقيقة الأمر كلهم مفتقرون إلى الله، فالغني يحتاج إلى ربه، وكذا الفقير يحتاج إلى ربه﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٥] ،فكل الخلق يحتاجون إلى ربهم الرئيس والمرؤوس الملك والوزير والحقير والشريف، فكلهم يحتاجون إلى ربهم سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ - فليس من أعطاه الله غنى دليل على محبته له وليس من أفقه كان ذلك دليلًا على سخطه عليه، فإن الفقراء يوم القيامة يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، وأهل الغنى

---
(١) أخرجه أحمد (٨٠١٨) والترمذي (٢٣٠٥) وحسنه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

محبوسون يحاسبهم الله على هذه الأموال وعلى هذه الممتلكات (لن تزولا قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع ومن هذه الأربع عن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه»(١) فليس في ذلك دليلاً على محبته سبحانه للرؤساء والملوك والأغنياء، وليس في ذلك دليلاً على أنه يبغض الفقراء ولكن الله -عَزَّوَجَلَّ- اقتضت حكمته هكذا ﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الشورى: ٢٧] ، فمن أراد أن يستريح فعليه أن يرضى بما قسم الله - عَزَّوَجَلَّ- له من غنى أو فقر أو صحة أو مرض أو أبيض أو أسود طويلاً أو قصيرًا، وجب عليه أن يرضى بما قسم الله له، فمن رضي بذلك أعطاه الله .

نشراحا في قلبه وطمأنينة وكفاه الله - عَزَّوَجَلَّ - المؤنة وأرضاه الله - عَزَّوَجَلَّ - في أهله وذويه، فمن الأغنياء من هو مصاب بداء القلق وبداء الهم والحزن وكم من الفقراء من هو مستريح وربما كان ينام على الرصيف لا يجد ما يلتحف به ويأكل كسر الخيز اليابسة لكنه يجد من الطمأنينة ما يفتقر إليه ذلكم الغني لكن أعظم سبب للهموم والغموم يوم أن يكون العبد بعيدًا عن ربه -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- ومن أراد العلاج علاج الهموم والأحزان فالناس متفننون في العلاجات فمنهم من يعالج الهم والحزن إما أن يشرب السجائر، ومنهم من يتعدى إلى غير ذلك، فمنهم من ربما شرب الخمر يكون عنده رفقة سيئة يقولون له: خذ كأسًا من الخمر تنسى همومك ووالله لا يزداد إلا حزنا إلى حزنه.

وكــأس شربــت عــلى لــذة ... وأخــرى تــداويــت منها بها

لا يكون من هذا إلا غماً إلى غم وحزنًا إلى حزن وبعضهم يعالج الهموم والقلق بالتفكه في أعراض النساء بأن يتابعهن هنا وهناك في القنوات الفضائية يريد من وراء ذلك أن يدفع عنه القلق والهم والحزن كلا والله، يقول الإمام

(١) أخرجه الترمذي (٢٤١٧) من حديث أبي برزة الأسلمي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وصححه الألباني رَحِمَهُٱللَّهُ.

ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عند قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْۗ ﴾[الرعد: ١١]، يقول: لا يكون التغيير إلا بالتغيير، تغير الذنوب يغير لك الكروب يوم أن تغير النية السيئة بالنية الحسَنة يكون التغيير من الله–عَزَّوَجَلَّ– فأعظم باب لراحة القلب التوبة يا عباد الله التوبة من الذنوب والمعاصي والمخالفات هي كفيلة بإزالة الهم والحزن يوم أن تتوب إلى الله.

يا صاحب الهم إن الهم مُنفرج أبـشر بخير فـإن الكاشف الله

الله هو الذي يكشف الهموم والغموم والأحزان، والله ليست الذنوب والمعاصي والأغاني والجرائم ولا القنوات ولا السجائر ولا الألعاب، وإنما هذه تزيد الهموم همومًا وتزيد النار اشتعالاً والعياذ بالله ومن أعظم الأسباب، التوكل على الله –جَلَّوَعَلَا– فعليك أن تعلم أن رزقك مقسوم وأن أجلك معدود وعمرك محدود، بل أنفاسك محدودة فعليك أن تستريح وأن ماشاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، فباب التوكل من أجمع أبواب الإيمان ومن أعظم مقامات التوحيد يوم أن تتوكل على الله–عَزَّوَجَلَّ– ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [التوبة: ٥١]، فممَ تخاف؟، إن كنت تخاف من الفقر، فالغنى بيد الله، وإن كنت تخاف من القتل فالأنفس بيد الله، فالسارق لا يسرق إلا بإذن الله والقاتل لا يقتل إلا بإذن الله، إذن مم تخاف فبدلا من أن ترضي الخلق أرض واحـدًا أحد.

فيتك تحلو والحـيـاة مريرة وليتك ترضى والأنـام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبـين العالمين خـراب

إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق الـتراب تراب

هذا أحد الصالحين حاتم الأصم – وهو إمام قدوة من أقران الإمام أحمد – قال له رجل: على أي شيء بنيت أمرك في التوكل ؟ قال: علمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأنت نفسي، وهذا العلم إنما نتج من علم بالله علم بالكتاب والسُّنَّة فعلام الإنسان يتعب نفسه ويذهب هناك ويكثر من التلفت هنا وهناك والله قد ضمن حياته وعلم الله أنفاسه وأيامه وساعاته التي سيعيشها فعلام القلق وعلام التضجر والتسخط فعلى الإنسان أن يرضى بما قسم له وهذا إنما نتج في باب التوكل يوم أن يقبل العبد على ربه –جَلَّ وَعَلَا– فإنه يستسلم لأقدار الله ، ويعلم أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن يقول –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ–: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٧].

الصلاة على النبي ﷺ ، فإن الصلاة على رسول الله توجب انشراحًا للصدر طمأنينة للقلب وتفريجًا للهموم والغموم يقول نبينا ﷺ لأبي بنِ كعب لما قال له أُبي: إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي قال أُبي أجعل لك صلاتي كلها، فقال ﷺ «إذن تكفى همك ويغفر ذنبك» (١) ، فيكفي العبد الهم يوم أن يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ، كذلك أيضًا الدعاء والتضرع إلى الله، لا سيما هذا الدعاء المأثور الذي رواه الإمام أحمد في مسنده ، من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**مَا قَالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ : اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ، وَابْنُ عَبْدِكَ ، وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي ، وَنُورَ صَدْرِي ، وَجِلَاءَ حُزْنِي ،**

(١) أخرجه الحاكم (٣٥٧٨) وصححه الألباني في صحيح الترغيب (١٦٧).

وَذَهَابَ هَمِّي ، إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّهُ ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِه فَرَحًا » ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ ، **قَالَ** : « **أَجَلْ يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ** » (١) .

فهذه من أعظم الوسائل التي تسبب للقلب انشراحًا وسكونًا وأعظم من ذلك كله أن يقبل العبد على ربه جَلَّ وَعَلَا فيرضي به ربًا ليرضى به عبدا وأستغفر الله لي ولكم .

---

(١) أخرجه أحمد (٣٧١٢) وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٩).

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم نسليما كثيرًا.

عباد الله: اتقوا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- واعلموا أن أبناءكم مقبلون على عطلة صيفية وهذه العطلة تعطل فيها المدارس والمعاهد والجامعات في جميع المناطق فلا علم ولا مراجعة فبعض المسلمين من يهمل أولاده فيذهبون يتخبطون تخبطًا عشوائيًا فبعضهم يتسكع في الشوارع وبعضهم يكثر من الرحلات وبعضهم من يدخل إلى مقاهي الإنترنت وغيرها، فيضيعون الأوقات الطويلة هناك، اعلموا عباد الله أنكم مسؤولون عن أولادكم فإذا قصرتم فاعلموا أنكم مؤاخذون بذلك لقوله ﷺ: «**كلكم راع ومسؤول عن رعيته فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته**». قال فسمعت هؤلاء من رسول الله ﷺ، وأحسب النبي ﷺ قال: «**والرجل في مال أبيه راع وهو مسؤول عن رعيته فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»[1]، ويقول: «**من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة**»[2] رواه البخاري من حديث معقل بن يسار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فتأمل إلى هذين الحديثين الأول إلزام: «**كلكم راع**» والثاني فيه حرمان من الجنة يوم أن تقصر في واجبك نحو ابنك فبعضهم إذا كان يأخذ المقاضي من بر ولحم يظن أن المسألة انتهت هاهنا لا يا عبد الله.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٢٧٨) ومسلم (٢٨٢٩).
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٧٣٣) و مسلم (١٤٣).

ما مـات والله جـوع عـالم أبـدًا   سل التواريخ عنه والدواوينا

فالله يرزق الكلب والخنزير وجميع المخلوقات ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦] ، فالله هو الرزاق ذوالقوة المتين، بل ربما كان رزقك بسبب ولدك فلا تظن الظنون بهذا المال الذي تنفقه على إبنك وابنتك لكن الأمر أعظم من ذلك يوم أن تقبل على ابنك بالتربية الإيمانية القرآنية يوم أن تحفظ ابناءك القرآن وتعلمهم شيئًا من سنن المصطفى ﷺ فإذا أهملت في واجبك نحو ابنك فاعلم أنك سوف تجني العقوق، لأن هذه تربيتك وهذه نتيجة تمردك ، والجزاء من جنس العمل وقد قيل إن رجلًا ضربه ابنه وكان كبير السن ، فشكاه إلى أحد العلماء، قال: هل علمته القرآن ؟ ، قال: لا، قال: فما ؟، قال: جعلته يرعى لي الأثوار قال: لعله حسبك ثورًا فضربك، فهذه هي النتيجة يوم أن يفرط الأباء في تربية الأبناء نحن في زمان تكالب فيه أعداء الإسلام على المسلمين بل صار من المسلمين من ينظر إلى الغرب نظرة إجلال وإعظام.

يا عباد الله: يجب علينا أن نحفظ ديننا وأناءنا بشرع الله –سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ– فإن هذا الدين فيه نجاحنا وفيه عزتنا وفيه كرمتنا في هذه الدنيا والآخرة وهذه الدنيا إنما هي أيام وهي مراحل يقضيها العبد ستين أو سبعين عامًا وأقلهم من جاوز ذلك ثم يفد إلى ربه فبأي شيء يفد إلى ربه وقد لطخ يده بالإهمال في واجب المسؤولية والإهمال في واجب التربية التي كلفه الله – سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ– بها فعلينا واجبات من أعظم هذه وأهمها واجبنا نحو أبنائنا ونحو زوجاتنا وبناتنا وأمهتنا فإن الله –سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ – سائلنا عن هذا كله وإن وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة حريصة على هدم الفضيلة كلها فإن أعداء الإسلام ينادون بما يسمى بتحرير المرأة وبحقوق المرأة وكأنهم أرحم بالمرأة من ربها وبعضهم

من ينادي بحقوق الإنسان ، فديننا العظيم قد كفل لنا هذا كله، فعلينا أن نعلم أيها المسلمون أن هذا من أهم الواجبات علينا يوم أن نلقى ربنا -جَلَّ وَعَلَا- فهو سائلنا عن أبنائنا ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود: ٦] ، كذلك يا عباد الله إذا خرجت المرأة من بيتها ، أو البنت وجب على العبد لا سيما في مثل هذه الأيام وجب عليه أن يرافقها وإن كان عنده سيارة أن يوصلها فإننا نسمع ونشاهد أن بعض الناس قد تأثروا ببعض الأفلام أو القصص الغرامية وظن أن المسألة عشوائية هذه العشوائية إنما هي في بلاد الكفار كلهم فما عندهم عفة ولا فضيلة ولكن بعضهم عندهم ذلك هذا عنترة يقول .

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأوها

أما أن تذهب الفتاة إلى هنا وهناك دون رقابة أو اهتمام من الأب أو الأم فتظل من معرض إلى آخر وتتكلم مع الخياط والتاجر وصاحب الأزياء إن هذا يا عباد الله لينذى له الجبين فإذا ماتت الغيرة من قلوبنا فعلى الدنيا السلام، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى ، والعفاف والغنى ، اللهم لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته ، اللهم آتنا في الدنيا حسَنة ، وفي الآخرة حسَنة ، وقنا عذاب النار .

١١ - اللسان

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين: إن الله جَلَّ وَعَلَا يأمرنا بالقول السديد ذلك أن أقوالنا مسجلة علينا لا يخفى على الله شيء منها إلا أن الله جَلَّ وَعَلَا جعل من الملائكة كاتبين لها وكفى بشهادة الله شهادة ولكن ابن آدم يوم القيامة لا يرضى إلا بشاهد من

نفسه فكيف بشهادة الله وبشهادة ملائكة الله الذين خصصهم الله لذلك إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عظم القول إن كان خيرًا فأمر عظيم وأجره كثير وإن كان شرا فضرره عظيم

إن اللسان صغير جرمه وله جرم كبير كما قد قيل في المثل

والمراد بالمثل: اللسان صغير جرمه كبير، فهو حجمه صغير لكن أمره وشأنه عظيم عند رب العالمين لذا جعل الله للعبد لسانًا واحدًا وجعل له عينين وأذنين ليكون من ذلك اعتبار واتعاظ، وليكون كلامه أقل من نظراته وسمعه، فخطر هذا اللسان ربما أوجب لصاحبه نكسة رأس في الدنيا أو سبب له قرحة في المعدة أو جلطة في الدماغ وربما أدخله السجن وألحقه والعياذ بالله كثيرًا من الآفات الدنيوية، ناهيك عن عذاب القبر ناهيك عن العذاب الأخروي كما ستسمعون شيئا من ذلك إن شاء الله وتأملوا بجلاء قول ربنا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق: ١٨] .

ففي قوله -تعالى- ﴿ مِن قَوْلٍ ﴾ نكرة في سياق النفي تفيد العموم كما يقول الأصوليون حتى على مستوى الأنين والتوجع عند المرضى، فإنه يحسب ذلك على ابن آدم .

ويقول سبحانه: ﴿ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الجاثية: ٢٩] ، وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾[الإسراء: ٣٦]، ومعنى لا تقف أي لا تتبع و لا تقل ما لا تعلمه فربما ألقيت بنفسك إلى الهلكة وقال -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[الانفطار: ١٢] ، فهناك ملائكة خصصهم الله -عَزَّوَجَلَّ- لكتابة أعمال بني آدم من الخير والشر من الحسنات والسيئات فهي ملائكة تسير معنا

قتيل حيث قلنا وتبيت حيث بتنا وترافقنا حيث ما كنا لذلك قال بعضهم: ألا تستحي من الملائكة التي تستحي من الله، هذه الملائكة الذين خلقهم الله - عَزَّوَجَلَّ - وجعل لهم وظائف عظيمة فمن ضمن هذه الوظائف أن يقوموا بكتابة الحسنات والسيئات فإذا ما أنكر العبد يوم القيامة جيء بهؤلاء الشهود بل هناك شهود آخرون يشهدون على ابن آدم أتدرون ما هم يا عباد الله ؟.

هذه الأعضاء التي نحملها في الذين ونحافظ عليها من الحر والبرد ومن الجوع والعطش ومن العري، التي خدمناها أيما خدمة، إنهما تفضحان في ذلك اليوم، يقول سبحانه: ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[يس: ٦٥] ، ويقول: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[فصلت: ٢٠] .

فجسدك يا ابن آدم أتستطيع أن تكلم جسدك يشهد عليك الوجه ويشهد عليك الجنب ويشهد عليك الذكر وتشهد عليك العين وتشهد عليك الأذن تشهد الأعضاء كلها فإذا ما خلي بينك وبين الكلام بعد أن كتم على فيك هنالك تخاطب هذه الأعضاء تقول: بعدًا لكُن وسحقًا من أجلكن كنت أناضل.

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته ... أتطلب الربح مما فيه خسران

أقبل على الروح فاستكمل ... فأنت بالروح لا بالجسم إنسان

وتبسم النبي ﷺ مرة أمام أصحابه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ فَقَالَ « **هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ**». قَالَ قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ « **مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِى مِنَ الظُّلْمِ قَالَ يَقُولُ بَلَى. قَالَ فَيَقُولُ : فَإِنِّى لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِى إِلاَّ شَاهِدًا مِنِّى قَالَ فَيَقُولُ : كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا - قَالَ -: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ انْطِقِى. قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ - قَالَ -: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ**

وَبَيْنَ الْكَلامِ - قَالَ - فَيَقُولُ : بُعْدًا لكُنَّ وَسُحْقًا. فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ» (١) ، هذه شهادةَ وكذا شهادة الأرض ، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾[الزلزلة: ٨] ، فهذه الأرض تشهد بما فعل على ظهرها، فهي شهادات كثيرة شهادة رب العالمين ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [العاديات: ١١] .

شهادة الملائكة، شهادة الأرض:

شهادة الملائكة هذه شهادات كثيرة على الأقوال، وعلى الأعمال، بل على النيات ما كان العبد قد نواه في قلبه فإن الله - عَزَّوَجَلَّ- يعلم ذلك كله إذا وفد العبد على ربه في يوم مقداره خمسين ألف سَنَة، لذا يا عباد الله وجب علينا أن نراقب الله سبحانه لا سيما فيما يتعلق بحصاد الألسان، وما يكون ناتجا من هذا اللسان الذي نتكلم به صباحًا ومساءً فربما جرَّ اللسان أحدنا إلى جهنم وبئس القرار لذا يقول النبي ﷺ: «**وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يتبين فيها، فيزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب**» (٢) .

وهذا معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأتي إلى النبي ﷺ فيقول: أَخْبِرْني بعَمَلٍ يُدْخلُني الْجَنَّةَ قَالَ بَخ لَقَدْ : « **سَأَلْتَ عَنْ عَظِيم وَهُوَ يَسيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ عَلَيْه تُقيمُ الصَّلاَةَ الْمَكْتُوبَةَ وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَلْقَى اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لا تُشْرِكُ به شَيْئًا أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَى رَأس الأَمْر وَعَمُوده وَذُرْوَة سَنَامه أَمَّا رَأْسُ الأَمْر فَالإسْلاَمُ فَمَنْ أَسْلَمَ سَلِمَ وَأَمَّا عَمُودُهُ فَالصَّلاَةُ وَأَمَّا ذُرْوَةُ سَنَامِهِ فَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوَلَا**

(١) مسلم (٢٩٦٩) من حديث أنس.
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦١١٢) مسلم (٢٩٨٨).

أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ الصَّوْمُ جُنَّةٌ وَالصَّدَقَةُ وَقِيَامُ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يُكَفِّرُ الْخَطَايَا ، وَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْلَكِ ذَلِكَ لَكَ كُلِّهِ قَالَ فَأَقْبَلَ نَفَرٌ قَالَ فَخَشِيتُ أَنْ يَشْغَلُوا عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ شُعْبَةُ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا قَالَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَوْلُكَ أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْلَكِ ذَلِكَ لَكَ كُلِّهِ قَالَ فَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّا لَنُؤَاخَذُ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ قَالَ: « **ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ مُعَاذُ** - أي فقدتك وهي عبارة تطلقها العرب لا تريد معناها - **وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ**» [(١)] .

ويأتي عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو صحابي جليل إلى النبي ﷺ فيقول: ما النجاة يا رسول الله ؟ قال: «**أمسك عليك هذا وأشار إلى لسانه - وليسعك بيتك وابك على خطيئتك**»[(٢)] وهذا رجل من بني إسرائيل كان ينصح أخًا له في الله، فقال له المذنب مرة: دعني وشأني أبعثت علي رقيبًا ؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، هذه عبارة قالها يريد بها النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكنه احتكر مغفرة الله وحصرها وأباها على خلق من خلق الله على هذا المخلوق الضعيف العاصي عَله أن يتوب في يوم من الدهر، قال: والله لا يغفر الله لك، فأوحى الله إلى نبي ذلك الزمان أن يقول: «**من ذا الذي يتألى عليّ - أي من ذا الذي يحلف عليّ - لقد غفرت له وأحبطت عملك**» [(٣)] .

قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنما قال كلمة أفسدت عليه دنياه وآخرته، هي عبارة صغيرة أطلقها وما فكر فيها فأوردته مهاوي الردى عياذًا بالله، لذا كان القول الحسن الطيب له ارتباط بالله وبصلاح القلب لذا يقول ﷺ: «**من كان يؤمن**

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١) والترمذي (٢/ ١٠٣).
(٢) أخرجه أحمد (٧١٣٧٢) والترمذي (٢٤٠٦) وقال الألباني: صحيح لغيره.
(٣) مسلم (٢٦٢١).

بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت» [(١)]، لذا يقول علماؤنا: إذا أراد العبد أن يتكلم بالكلمة فلابد أن يتأمل فيها فإن كان فيها الخير تكلم بها، وإن كان فيها الشر وجب عليه أن يمسك عنها، فإنها حينئذ تكون هذه الكلمة هي التي تحبسك بعد أن كنت أنت الذي تحبسها، وهل جاءت الشرور والآثام إلا بسبب حصائد هذا اللسان فكم أوردت أناسًا الموارد يقول عبد الله بن عباس: هذا اللسان أوردني الموارد لهذا اهتم العلماء بما يتعلق بأمر اللسان فألف ابن أبي الدنيا كتابًا سماه الصمت وما كان للصمت من المنزلة الرفيعة عند الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- .

لذا يقول الإمام الشافعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-:

يموت الفتى من عثرة بلسانه   وليس يموت الفتى من عثرة
فعثرته من فيه تُلقي برأسه   وعثرته بالرِّجل تبرأ على مهل

فربما انكسرت قدم أحدنا والله لكان ذلك خيرًا له وأهون، لأن في ذلك علاج أما إذا قال كلمة من سخط الله ربما ما تاب إلى الله وربما تغافل عنها والعياذ بالله، فكانت هذه الكلمة والعياذ بالله سيئة يوم القيامة يلقى بها ربه تبارك وتعالى، لذا يا عباد الله ترى كثيرًا من المسلمين يتساهلون بأمر اللسان فبعضهم تجده طعانًا ولعانًا باللسان فبعض المسلمين يتساهلون بأمر اللسان فبعضهم تجده طعانا ولعانا سابا ومغتابا وبعضهم يشهد شهادة الزور، وبعضهم يكثر من قول الفجور ويكثر من الخنا، ويكثر من الكلام السيء بهذا اللسان ظانًا أنها كلمة كما يقال: كلمة وأخذتها الرياح، والله إن الرياح لن تأخذها وإنها لمسجلة عليك هذا أحد الشعراء يقال له محمد بن هانئ دخل على رجل من الأمراء ادعى الربوبية في القرن الرابع الهجري يقال له الحاكم

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٦٧٢) مسلم (٧٧).

بأمر الله، الذي حكم بلاد مصر ردحًا من الزمان، وكان قرمطيًا إسماعيليًا بهريًا كان من البهرة السليمانية الذين قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية: هم أكفر من اليهود والنصارى، هذا الرجل ادعى الربوبية ادعى النبوة أولًا، ثم ادعى الربوبية، فكان إذا ذكر يوم الجمعة قام الناس إجلالًا لاسمه دخل عليه هذا الشاعر الذي استعمل شعره مجاملة ومدحًا أو قدحًا في سخط الله لا في مرضاة الله دخل عليه قائلًا:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار … فاحكم فأنت الواحد القهار

فابتلي هذا الرجل، ابتلاه الله جَلَّوَعَلَا بمرض الطاعون، فذهب جسده كله حتى كان كالفرخ على سريره، فكان يعوي كالكلب، فجاءه الأمير مرة فقال: ما بك يا محمد ابن هانئ قال:

أبعين مفتقر إليك نظرتني … وأهنتني وقذفتني من حالق

لست الملوم أنا الملوم لأنني … علقت آمالي بغير الخالق

من الناس من لا يبالي بكلامه، تراه يتكلم بملء فيه، يظن والعياذ بالله أن هذا الكلام من لغو الكلام، وأن لغو الكلام لا شيء فيه، ونسي قول النبي ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»[١] .

كذلك أيضًا الذين ابتلوا بحب الطرب وبحب الأغاني والغزل، تقول لهم اتقوا الله - عَزَّوَجَلَّ - واعلموا أنكم مسؤلون عن هذا بين يديه سبحانه، فإن العبد إن استمع إلى آلات اللهو والطرب صار يكررها، بل والعياذ بالله تشغله عن الدين وعن الصلاح والاستقامة فبدلًا من أن يذكر الله - عَزَّوَجَلَّ- يذكر الأغاني والمغنيين :

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٨)مسلم (٦٤).

أيها اللاهي على أعلى وجل ... اتق الله الذي عَزَّوَجَلَّ ... واستمع قولًا به ضرب المثل ... اعتزل ذكر الأغاني والغزل ... وقل الفصل وجانب من هزل.

كذلك الذين يتاجرون بكلامهم بالشهادة ربما يشهد زورًا من أجل قليل من الدريهمات خمسين ألفًا أو مائة ألف، فإذا به يفرح شهادة عظيمة هو مسؤول عن هذه الشهادة، وشهادة الزور إنما هي كلام، وقد جاء من حديث أبي بكر في الصحيحين قال النبي ﷺ «ألا أخبركم بأكبر الكبائر ؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور، وكان متكئًا فجلس، ثم قال: ألا وشهادة الزور» فقال الصحابة: فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت،[١] وشهادة الزور من أكبر الكبائر كما نص على ذلك الإمام الذهبي في كتابه الكبائر.

فيظن هذا العبد أنه بهذا المال سوف يربح، إنها خسارة عظيمة والله إنها لخسارة وهذا من سفه القول ومن سفه العقل أيضًا، يوم أن يبيع العبد دينه من أجل دنيا غيره ومن أجل سلامة غيره والإسلام حد لنا حدًا فاصلًا، فقال: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»[٢]، فإن كان مظلومًا نصرناه بالحق، ومن كان ظالمًا يجب علينا أن ننصره، وليس معنى أن ننصره أن نشهد معه زورًا، وأن نكون له رجالا أكفاء، وإنما نحجزه عن الظلم وهذه عادات الجاهلية، يوم أن تتعصب للظالم أو الفاجر، كما كان حال الجاهلين يقول قائلهم:

ألا لايجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

عادات جاهلية جاء الإسلام بـ «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» الظالم ينصر بحجزه عن الظلم أبًا أو أخًا أو عمًا أو قريبًا، وجب عليك أن تنصره بالحق لا بالباطل تحجزه عن الظلم تمنعه عن الظلم ومن كان مظلومًا أيضًا تنصره بالحق

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٦١٣) ومسلم (٧١٨١).
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٣١٢) و مسلم (٢٥٨٤).

وتقومه بالحق لا أن تقومه بالباطل فنقول: يا عباد الله وجب علينا أن نتقي الله في ألسنتنا في أي مكان كنا، فإن هناك من الملائكة من لا نراهم وهم يسجلون، رقيب ملك اليمين ، وعتيد ملك الشمال يسجلون هذا ما نطق به القرآن، والقرآن حق كله، وأنت مؤمن بالقرآن، نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله وباليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره، فإذا كنت من أهل الإيمان ومن أهل التقى والورع، فعليك أن توقن بهذا لتمسك هذا اللسان .

إن كان يعجبك السكوت فإنه   كان يعجب قبلك الأخيارا

ولإن ندمت على سكوتك مرة   فلقد ندمت على الكلام مرارا

إن السكوت سلامة ولربما   زرع الكلام عداوة وضرارا

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله: اتقوا الله واعلموا أن الله سائلكم عن كل ما قلتموه وعن كل بلغتموه، وهناك من الذنوب ما يتفاوت بعضها على بعض، فحصائد الألسن عظيم أمرها، فكيف إذا كان الكلام كذبًا وزورًا، وكيف إذا كان الكلام غيبة ونميمة، فقد نفر الله -عَزَّوَجَلَّ- عن الغيبة أشد التنفير وجعلها بأقبح معرض فقال جَلَّوَعَلَا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾ [الحجرات: ١٢].

والمراد بالغيبة، ذكرك أخاك بما يكره، هذا تفسير النبي ﷺ صح الحديث عنه في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة «**ذكرك أخاك بما يكره**» (١)، فإن كان في أخيك ما تقول فإن هذا يعتبر غيبة، وإن كان ليس فيه فهو يعتبر إفكًا وبهتانًا وإثمه أشد من ذلك، وعليك أن تعلم أن من اغتاب عندك رجلًا فإنه ينقل عنك الغيبة إلى غيرك لا شك في ذلك ولا مرية ومن نمَّ إليك قول فلان فإنه ينم أقوالك إليه، فهذا يعتبر شغال بين، ونقول لمن كانت هذه مهنته أن يتقي الله -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ-، وأنه محاسب على ذلك بين يدي الله فإن الله يقول في كتابه الكريم: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨].

---

(١) أخرجه مسلم (٧١٨١).

وهكذا وجب على العلماء والخطباء والدعاة إلى الله أن يتقوا الله - عَزَّوَجَلَّ- في ألسنتهم وأن يعلموا يقينًا أن كلامهم هذا معروض تعلى الله - سبحانه وتعالي، ثم عليهم أن يحذروا من زلات اللسان وإن حصل شيء من زلات اللسان وجب على السامع أيضًا أن يحمله على خير محمل، ووجب أيضًا على الجواسيس الذين ينقلون أقوال العلماء والخطباء وما إلى ذلك أن ينقلوها بحق من غير زيادة ولا نقصان لماذا ؟، حتى لا يكون وشاية بين الخطباء والعلماء وبين ولاة الأمر فربما زلت كلمة من العالم أو من الخطيب لكن وجب على من كانت هذه مهنته أن ينقلها كما هي ووجب على السامع أيضًا أن يحملها على محمل حسن فإن المؤمن عذار والمنافق والعياذ بالله عثار، فالمنافق يبحث عن الكلمة السيئة فيركب عليها ما شاء ويحمل عليها ما شاء وينقل عليها ما شاء، بخلاف المؤمن فإنه يعفو ويصفح فما منا من أحد إلا وله أخطاؤه هذه إن كان صاحب حسنات كثيرة فأخطاؤه تغمر في بحر حسناته .

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جــاءت محاسنه بألف شفيع

كذلك أيضًا علينا أن نعلم يقينا يا عباد الله أن هذه الألسن إنما تنقل وتعبر عن القلوب فاللسان هو عبارة عن مترجم عما في القلب فإن كان في القلب خير خرج من هذا اللسان خير وإن كان في هذا القلب شر خرج من هذا اللسان شر، لذلك يقول بعضهم: القلوب كالقدور والألسن مغارفها.

وقال بعضهم: كل إناء بما فيه ينضح، فمن كان في قلبه الخير والقرآن والأحاديث والتقوى والإسلام وحب النصح للآخرين خرج الخير من هذا القلب، وإن كان في القلب النفاق فإن الأعضاء تكفر اللسان أي تنزلها منزلة الكافر بالنعمة، وتقول له: اتق الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا

وإن اعوججت اعوججنا[١] لا يظن أحد أن الأمر سهل فكم من رجل نقال للأخبار فرق بين الأب وأولاده، وفرق بين الزوجة وزوجها، وفرق بين الجار وجاره، وفرق بين شخص وآخر فرق بين الأمة، وما قصة ابن أبي عنا ببعيد، وما قصة عبد الله بن سبأ الذي دخل في الإسلام ففرق بين بين علي وعائشة وبين علي و معاوية بن أبي سفيان، وأجلب الويلات، وهو الذي سبب معركة الجمل ومعركة صفين، عبد الله بن سبأ اليهودي الذي دخل الإسلام متزندقا يحمل الكفر والخبث في قلبه، وتظاهر بالدين والشعائر الدينية والفضيلة، وهو يحمل الحقد الدفين على الإسلام، وهكذا عبد الله بن أبي بعد حادثة بدرحينما رأوا الغنائم الكثيرة أسلموا رياءً ونفاقًا من أجل أن يضربوا الإسلام من داخله، فماذا كان من ابن أبي ؟، فالمطلوب يا عباد الله وجب علينا أن نتقي الله في ألسنتنا، وأن تكون هذه قاعدة من نقل إليك كلاما فاحذره، فإنه نقال عنك فمن نمَّ إليك أقوالًا فإنه ينم عنك، لا سيما إذا كان بينك وبين أخيك أو بينك وبين جارك، اكسر الحواجز بينك وبين جارك اذهب إليه وقل له: الأمر على كذا وكذا، وهكذا أيضًا إذا كان بينك وبين أولادك، وإن كان ولدك بعيدًا فلا تجعل آخر واسطة يدخل بينك وبين ابنك، لا سيما بين الورثة ربما جاء من يزيد النار اشتعالا، فبدلا ما يخمد النار يأخذ دبة من البترول أو من المحروقات الأخرى فيزيدها اشتعالا فاحذره فإنه مترقب للسانك .

فعليك أن تتفكر قبل أن تأخذ نومتك في زلات اللسان فإن وجدت أنك قد أخطأت فعليك أن تبادر، فإن المسافة بين ملك الشمال وملك اليمين ست ساعات، يقول ملك الشمال لملك اليمين: انتظر ست ساعات فإن تاب وأقلع وإلا فاكتبها في سجل السيئات،[٢] فلا تكن عبدًا متوانيًا وإياك أن تكون مسوفًا، بل عليك أن تكون دائما أوَّابا رجَّاعًا تقيًا ورعًا عفيفًا لا سيما فيما يتعلق باللسان

(١) أخرجه الترمذي (٧١٨١) وأحمد (١١٩٢٧) حسنه الألباني.
(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٧٨٧) والبيهقي في الشعب (٧٠٤٩).

ومن أكثر القول من غير فائدة أو من الأقوال التي والعياذ بالله فيها صفة القول كان ذلك دليلًا على حمقه لا يدري ما يخرج من رأسه حاله كحالالمجانين الذين يطلقون الألفاظ لا يدرون معناها.

نسأل الله - عَزَّوَجَلَّ - أن يرينا الحق حقًا فيرزقنا اتباعه، اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته .

١٢ - بيان الحقوق المشتركة بين الزوجين

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين:

اتقوا الله جَلَّ وَعَلَا بفعل المأمور وبترك المحذور فإنه ما فاز إلا أهل التقى وكانت لهم العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة.

معاشر المؤمنين:

إنه مما لا شك فيه ولا ارتياب، أن أساس الأسرة هي مجموعة من الأفراد، فيكون من ذلك الأسر، ثم يتكون من ذلك القرى والمدن، ثم بعد ذلك العالم والشعوب بأسرها، ولقد اهتم الإسلام اهتمامًا بالغًا ببناء الأسرة، فهذا من الأهمية بمكان فما كان الدين إلا عامًا شاملًا لكل جوانب الحياة، فليس بحاجة إلى استدراك أو تكميل، فالدين كله متكامل شامل عام لكل نواحي الحياة، قال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

وقوله: ﴿لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ يفهم من ذلك العموم والشمول وهذا نبينا يقرر هذا الأمر قائلا: «**إنه ما بعث الله نبيًا إلا دل أمته على خير ما يعلمه لهم وحذرهم من شر ما يعلمه لهم**»(١)، وهو القائل عن نفسه: «**إنما أنا لكم بمنزلة الوالد**»(٢)، بل هو ﷺ أشفق بالأمة من والدها ومولودها فهو الرؤوف الرحيم الذي عناه الله بقوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨]، هذا حرص محمد بن عبد الله من أجل أن يكون المسلم أخو المسلم، ومن أجل أن يسود العدل والرحمة والشفقة، وأن يكون أساس الناس على الخير في كل الأمور.

فيا معاشر المؤمنين: تأملوا إلى هذه القاعدة الأساسية التي قعدها محمد بن عبد الله حينما أنطقه الله قائلا: «**المؤمن أخو المؤمن**»(٣)، وفي حديث آخر: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد**»(٤)، وفي حديث آخر يقول

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٤) من حديث عبد الله بن عمرو.
(٢) أخرجه أبو داود (٨) وحسنه الألباني.
(٣) أخرجه مسلم (١٤١٤) من حديث عقبة بن عامر.
(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٦٦٥) ومسلم (٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير.

ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا»(١) فإذا تأملت رأيت بناء ذا أساس قوي، فاعلم أن لذلك اهتمامًا وهكذا شأن الأسر، فلا بد أن تكون على أساس من الصلاح وأن يكون هذا في بداية العلاقة التي تكون بين الأسرتين، الذكور والإناث فيبين هذا الأمر قوله ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن لم تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**»(٢) ، وفي حديث آخر «**وفساد عريض**» فهذا هو الأساس الدين والخلق.

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه　　　فلا تترك التقوى اتكالا على النسب

لقد رفع الإسلام سلمان فارس　　　وقد وضع الشرك الحسيب أبا لهب

فميزان التفاضل على هذا الأساس الدين والأخلاق، ليس ذلك ما يكون من الشهرة والقوة وإنما هو هذا الأساس أن يكون على دين وخلق، وهكذا فيما يتعلق بالمرأة، فليس الأساس الجمال ولا الأحساب والأنساب فقط وليس في ذلك المال وإنما هو الصلاح والدين، هذه أسس وضعها نبينا ﷺ حينما قال: «**تُنكح المرأة لأربع: لدينها ولجمالها ولحسبها ولمالها، ثم قال: فاظفر بذات الدين تربت يداك**» (٣) أي التصقت بهذه المرأة كما تلتصق اليد بالتراب، هذه قاعدة عظيمة أن يكون المرء حريصًا على قرين صالح من بداية الطريق والمشوار.

فمن حقوق الأبناء على الآباء أن يختار الآباء نساء صالحات من بداية الطريق لقوله ﷺ: «**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**» (٤) **التي إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في مالها ونفسها**»(٥).

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٣١٤) ومسلم (٢٥٨٥) من حديث أبي موسى.
(٢) أخرجه الترمذي (١٠٨٤) وحسنه الألباني.
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٨٠٢) ومسلم (١٤٦٦) من حديث أبي هريرة.
(٤) أخرجه مسلم (١٤٢٧) .
(٥) أخرجه الطيالسي (٢٣٢٥).

هذه قواعد للأزواج وقواعد للزوجات، فينبغي للأزواج أن يختاروا من النساء الصالحات وينبغي للزوجات أن يخترن من الرجال الصالحين الأكفاء، لما تقدم من الأدلة، وأن يكون الحرص على الدين والخلق، أ، يكون الحرص على الصلاح، فإن هذا مشوار طويل، إنه مشور عمر يقضيه العبد مع امرأته وتقضيه المرأة مع زوجها، فلا بد أن يكون هذا هو الأساس من بداية الطريق، ثم بعد ذلك لابد أن تكون الأسرة على أساس من المودة والمحبة وأن لا يكون ذلك أشبه ما يكون بالتمثيل، أو ما ينظر على أجهزة الخراب والدمار تمثيلية تشاهد، ثم بعد ذلك يكون الفراق، الإسلام حرص كل الحرص على دوام الأسرة وبقائها، وكان من أبغض ما يكون الطلاق خراب للأسر وخراب للأفراد والذرية يقول –جَلَّ وَعَلَا– :

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١] .

فلابد أن تكون الأسرة على هذا الأساس مودة ورحمة بين الزوجين، وأن يكون كل واحد من الآخر قد أخلص في المحبة والمودة، ولا يكون ذلك تمثيلاً وإنما يكون انطباعًا وأمرًا جبليًا ، كما قيل:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا

لابد أن يكون بهذا الاعتبار أن يكون الإخلاص في هذا الود وفي هذه المحبة وإلا باءت بالفشل، ولابد أن تكون الزوجة حريصة على هذا وأن يكون الزوج حريصًا على ذلك أيضًا هذه من الحقوق المشتركة .

ومن أعظم الحقوق:

❋التعاون على طاعة الله من قبل الزوجين يتعاونان على طاعة الله ، كما قال

-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وإن كان عند بعض الأزواج بعض الإساءة قبل الزواج، فلابد أن ينتهي هذا كله وأن يكون الحرص من الطرفين على القلاح والنجاح في حديث بينه رسول الله ﷺ يدلل على أمر التعاون فيقول: «**رحم الله رجلًا قام من الليل يصلي، فأيقظ امرأته فأبت، فنضح عليها الماء فقامت، ورحم الله امرأة أيقظت زوجها من الليل للصلاة، فأبي أن يقوم فنضحت على وجهه الماء فقام ليصلي**»(١) ، تعاون على البر والتقوى هذه هي الحقوق المشتركة بين الزوجين، ولابد أن هذا، وتأملوا في هذه الحياة الزوجية السعيدة التي بناؤها على أساس من الصلاح ليس على تمثيل أو هش، وإنما أساس قوي هذه خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها كانت من أجمل نساء زمانها، وكان عندها من المال والثراء، فاختارت محمدًا ﷺ ليكون هو المسوِّق لتجارتها، ولما جاء الخير وقد عاش الرسول معها قرابة عشرين عامًا، فلما جاء الخير والدين كانت أول من آمنت به من النساء حتى إن جبريل ينزل فيقول: «**يا محمد إن السلام يقرؤك السلام ويقول لك أقرئ خديجة السلام ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيها ولا نصب**» (٢) ، لا فيها هموم ولا أحزان هذه المرأة الصالحة بداية أمر النبوة كان نبينا هناك في غار حراء المسمى الآن بجبل النور يعرفه من ذهب إلى أرض مكة، يتعبد الله الليالي ذوات العدد فيأتي جبريل فيقول: «اقرأ يا محمد فيقول: ما أنا بقارئ ثم قال في الثالثة: اقرأ باسم ربك الذي خلق» أمر مهول ما يعرفه رسول الله فيرجع إلى زوجته خديجة يرتجف فؤاده ويرتجف جسمه كاملًا فيقول: زملوني أي غطوني ولفوني بالفراش،ثم يقول لخديجة: «**والله لقد**

(١) أخرجه أبو داود (١٣٠٨) والنسائي (١٦١٠) وصححه الألباني.
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٦٠٩) ومسلم (٢٤٢٣) .

خشيت على نفسي يا خديجة» خشي على نفسه من الهلاك، فتقول له خديجة المرأة التي ثبتت زوجها عند المصائب: كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، ثم عددت من مناقبه، فقالت: إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق، (١)وذكرت له من الفضائل ما يثبته ﷺ على الخير، ومن الحقوق المشتركة:

*الشعور بالمسؤولية بين الزوجين لقوله ﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» فالرجل مسؤول عن زوجته والمرأة كذلك مسؤولة عن زوجها مسؤولة عن أمواله، ومسؤولة عن أولاده، ومسؤولة عن حقوقه كلها.

ومن الحقوق المشتركة:

*العناية بالمظهر بين الزوجين: تعتني المرأة بمظهرها لئلا يرتمي الزوج إلى غيرها وكذلك يعتني الزوج بمظهره حتى لا يكون أمام امرأته على رائحة كريهة كما هو حال الكثير وربما تمنى الزوج أن يكون عرس أو زفاف في بلدته من أجل أن تتطيب امرأته من أجل إذا خرجت هيأت نفسها للغير، لكنه محروم من ذلك فهذا أمر وضع الإسلام له حدًا فقال جَلَّوَعَلَا: ﴿ **وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ** ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ، فالرجل يتزين لزوجته بالحلال، والمرأة تتزين لزوجها بالحلال، فلا يكون الزينة لغير الزوج إذا خرجت المرأة لا يجوز لها أن تتطيب بطيب يشم رائحته، وإنما هذا للزوج في البيت .

ومن الحقوق المشتركة:

*عدم إفشاء السر بين الزوجين: هذا حق عظيم إذا سر الرجل امرأته وسرت المرأة لزوجها وجب على الإثنين أن يحفظ كل واحد سر الآخر، حتى تدوم العشرة وتبقى الأسرة على خير ووئام، وقديماً قال العربي:

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠) .

إذا ما المرء أخطأه ثلاث فبعه ولو بكف من رماد
سلامة صدره والصدق منه وكتمان السرائر في الفؤاد

وهناك بعض الحقوق التي تخص الزوج :

من حقوق المرأة على زوجها:

* وجب على الزوج أن يعطي مهر امرأته كاملًا، وأن لا يأخذ شيئًا من هذا، فكثير من الأزواج يظلمون أو يقهرون، لا سيما إن كانت المرأة من أسرة ضعيفة فإنهم يستذلونها، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿ **وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ فَإِن طِبۡنَ لَكُمۡ عَن شَيۡءٖ مِّنۡهُ نَفۡسٗا فَكُلُوهُ هَنِيٓـٔٗا مَّرِيٓـٔٗا** ﴿٤﴾ ﴾ [النساء: ٤] ، إذا سمحت المرأة للزوج فلا حرج أن يأخذ شيئًا من مهرها، أما أن يأخذه بالقوة فلا يجوز، ومن حقها كذلك:

*أن ينفق عليها بالمعروف، وأن يوفر لها الطعام والشراب والكساء، وأن لا يعتدي على أموالها إن كان لها بعض من الإرث أو مثلًا معاش تتقاضاه، فليس له أن يأخذ من ذلك شيئًا إلا عن طيب من نفسها وإن فرط الزوج في التكسب كان آثمًا، قوله ﷺ «**كفى بالمرء إثمًا أن يضيع من يعول**» (١) ومن حقوقها كذلك

* أن يعاشرها بالمعروف لقوله - سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ** ﴾ [النساء: ١٩] ، وقوله ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**»(٢)، فالعشرة بالمعروف أن يكون الرجل على سجايا حميدة داخل بيته، وأن لا يكون متعنترًا مثلا في بيته لكنه إن لقي الأصحاب والزملاء هش وبشَّ في وجوههم فإن من أعظم الحقوق أن يكون الرجل مُدخلًا للسرور على أهل بيته وعلى أولاده، هذا لا يذهب ما يكون عند الرجل من القوة فإن بعض الناس يظن أنه

(١) أخرجه الحاكم (٨٥٢٦) .
(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) وابن حبان (٤١٧) انظر صحيح الجامع (٣٣١٤).

إن داعب أهله ذهبت هيبته من بيته، كلا والله فلقد كان النبي ﷺ يمازح أهله، ويستمع إلى كلامهم هذا من التعاليم الشرعية التي وصانا بها الإسلام، ومن أعظم الحقوق وأجل الحقوق التي أوجبها الله ورسوله ﷺ.

*الاستيصاء بالنساء خيرًا، ويحاول الرجل بقدر الاستطاعة أن يجنب زوجه وأهل بيته النار لقوله سبحانه: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا﴾[التحريم: ٦]، هذا أمر من الأهمية بمكان أن يعمل الزوج على وقاية أهله من النار من هذه الدنيا، فإننا يا معاشر المسلمين نحرص جميعًا على شراء الطعام والشراب وعلى بناء البيوت وعلى إدخال كل جديد ولذيذ إلى البيوت، لكن من الذي يعمل لمستقبل أولاده بعد الخروج من هذه الدنيا، وذلك أن يجنب أهله الحرم ما استطاع إلى ذلك سبيلًا، يؤكلهم الحلال، يحافظ عليهم من الحرام، ولا يرضى أن يكون مكسبه من حرام من ربا أو من رشوات أو اختلاس أو غش، يغش بذلك المسلمين، ثم يأتي بذلك المال يطعمه أهله، فإن ربنا حرم ذلك ونبينا ﷺ يقول: «**لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما**»[1].

وكذلك الربا: «**لعن الله الربا وآكل الربا وكاتبه ....**»[2] كلهم على لسان رسول الله فلابد أن تجنب أهلك الحرام فإنه «**ما من جسد نبت من حرام إلا كان النار أولى به**»[3]، فلنجنب نساءنا الحرام وليكن عند الأزواج غيرة على نسائهم، فمن الناس مثلا إذا جاء بعض الزملاء ربما أمر أهله أن تدخل على زملائه فتصب لهم القهوة أو الشاي، أو تبقى أمامهم للتفرج على التلفاز أو تأخذ معهم أطراف الحديث وهم أجانب عنها، لا يغار على زوجته يظن أن هذا تقدم ومدنية -عياذًا بالله- .

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) أخرجه مسلم (١٥٩٧) .
(٣) سبق تخريجه .

إذا كان ترك الدين يعني تقدمًا فيا نفس موتي قبل أن تتقدمي

ومن الأزواج من ربما صرح لأهله أن تخرج حيثما شاءت ،تخرج إلى المعارض من غير رقابة ومتابعة، لابد أن يكون المؤمن عاملًا على إنجاح زوجته في هذه الدنيا، لا أن يزج بها في خضم الرذيلة ومن الناس من ربما أدخل أطباق الهوى فجعلها على بيته وجعل أولاده وبناته ونساءه يتفرجن ما لذ وطاب من الحرام، ويقول هو أمرؤ محافظ وقد أدخل لهم أجهزة الدمار، من المسلمين من يدخل الأشرطة الماجنة والصور الفاتنة إلى بيته والعياذ بالله من غير غيرة والنبي ﷺ يقول: «**لا يدخل الجنة ديوث**»[1] ، والمراد بالديوث هو الذي لا يغار على أهله كحال الخنزير، فإنه ما من حيوان إلا يغار على أهله عدا الخنزير، فإنه لا يغار على عرضه يسمح لأنثاه أن تعاشر أي خنزير شاءت، وهكذا بعض الناس وللأسف الشديد من المسلمين من غير رقابة إن مرض ابنه يسمح لزوجته أن تأخذه إلى المستشفى دون أن يكون معها محرم، وبعضهم يسمح لها أن تدخل على الطبيب ليكشف عليها، ويقول: هذا الطبيب معاهد ولا يمكن أن يتلطخ بشيء من السوء من الذي قال هذا، هذا الطبيب رجل وله شهوة، وهكذا بعضهم ربما يبقى في سيارته فتنزل امرأته إلى الطبيب وآخر فلى سيارته فتنزل امرأته إلى المخيط فيأخذ مقاسها، أو إلى محل لبيع الأزياء فيخرج لها الثياب هذه أمريكية وهذه ملابس فرنسية، وعرض عليها الثياب الداخلية يعرضها لهذه المرأة فكم حصلت من أمور، كم حصل من إجهاض، وكم حصل من مآسي، وكم حصل من أطفال غير شرعيين من الذي بدد هذا ؟ الأزواج وولاة الأمور، ثم بعد ذلك يلومون البنات يلومون النساء ذوات العقول الخفيفة .

ألقاه في اليم مكتوفًا وقال له إيــاك إيــاك أن تبتل بـالمـاء

(١) أخرجه الطيالسي (٦٤٢) .

فأنت الذي عرضت، وأنت الذي قصرت وفرطت، ثم كان هذا الأمر الجلل، فَلُمْ نفسك أيها المسلم، لم لا تذهب مع امرأتك إلى الطبيب ؟ إن كان لابد من طبيب وإلا فالأصل طبيبة، لكن إذا كان الأمر لابد من طبيب، فاذهب أنت إليه تستطيع أن تبين أعراض المرض وما الذي يصيره وما الذي يكون؟، وهكذا إذا أرادت شيئًا من اللباس، فكن أنت قائدها، فالذي يمنع أن تذهب مع نسائك مع بناتك لا سيما في الأسواق فإنه مفراخ الشيطان لا سيما الأسواق النسائية الأسواق المختلطة، وهكذا أيضًا في كثير من المرافق المشتركة سواء كانت حكومية أو خاصة يجب علينا أن يكون عندنا من الغيرة فإن هذه من الحقوق التي كلفنا الله - عَزَّوَجَلَّ- بها وإلا كان الويل للأزواج فإنهم مفرطون، أما المرأة فناقصة عقل ودين ، يقول شوقي:

نظرة فابتسامة فسلام　　　فكلام فموعد فلقاء

اتقوا الله في قلوب العذارى فالعذارى قلوبهن هواء.

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم، وأستغفر الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة على رسول وعلى آله وصحبه ومن والاه:

معاشر المؤمنين: وبعد أن بينا ما يلزم الزوج تجاه زوجته من الحقوق الشرعية نردف ما يجب على المرأة من الحقوق لزوجها:

فإن على المرأة حق عظيم للزوج فإن الزوج هو صاحب القوامة، وهو صاحب الأمر والنهي، يقول سبحانه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤﴾ [النساء: ٣٤]، فإن الرجل يعطف ويرعى زوجته بالمعروف، أما المرأة فيجب عليها وجوبًا أن تطيع زوجها في طاعة الله، فإن أمرها بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

جاء في مُسند أحمد من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال جاء بعض الأنصار إلى رسول الله يشتكون جملا هاج على أهله فرفعوا أمره إلى رسول الله ﷺ، لأن الرسول ﷺ رحمة للعالمين، فدخل الرسول مع أولئك الأنصار الحائط الذي فيه الجمل، فإذا بالجمل يقبل على رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله نخشى عليك صولته، فإنه قد صار مثل الكَلْب قال: «**لا بأس عليّ منه إن شاء الله**» فلما جاء الجمل وقف بين يدي رسول الله ﷺ فسجد سجود إعظام وإجلال لرسول الله ﷺ، فقال الصحابة: يا رسول الله هذا الجمل يسجد لك نحن أحق

بذلك منه، فقال ﷺ: «**لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها**»(١) ، **لو كان به قرحة تحبس بالدم والصديد فاستبلت المرأة ذلك فلحسته ما أدت حقه**» ، هذا من عظم حق الزوج، ولتعلم المرأة أن الزوج باب إلى الجنة، إن حافظت على هذا الباب يقول ﷺ **إذا صلت المرأة خمسها أي الفروض وصامت شهرها وعبدت ربها، قيل لها: ادخلي من أي أبواب الجنة شئت**» (٢) ، وجاءت امرأة إلى رسول الله فقال لها الرسول: «**أيم أنت أم بكر ؟**» ، قالت: بل أيم قال لها: «**كيف أنت مع زوجك؟**» ، فقالت: لا آلوا عليه أي لا أنقص من حقوقه، فقال لها: «**انظري أين أنت منه فإنما هو جنتك ونارك**»(٣) .

فمن أعظم الحقوق على الزوجة لزوجها:

*طاعته فيما يجب من الخير، وأن لا تتساهل المرأة إذا أمرها، مثلا أن لا تخرج فلا يحل لها أن تخرج إذا أمرها بأمر فيه خير فلا يجوز لها معصية ذلك، وكم من فتاوى وكم من اتصال من كثير من المسلمين فيما يتعلق بالطلاق المعلق، أمر زوجته أن لا تخرج فعصت زوجته أمره فخرجت، ثم بعد ذلك يسأل أهل العلم هل هذا طلاق، نعم إنه طلاق بفتوى ائمة المذاهب الأربعة، وكم حصلت من مآسي فنقول للمرأة المسلمة: اتقي الله - عَزَّوَجَلَّ- في زوجك ولو كان عندك من الشهادات سواء ماجستير أو دكتوراة أو أعلى من ذلك، ولو كان زوجك جاهلا فلا يجوز لك أن تترفعي أو تعصي أمره، فهو الآمر والناهي، إن أمرك بالخير أما إن أمرك بالشر فلا سمع ولا طاعة له ومن حقوق الزوج على امرأته:

*أن تقوم بأولاده، وأن تقوم ببيته أحسن وأتم قيام، وهذه وظيفة عظيمة،

(١) أخرجه أحمد (١٢٦٣٥) وصححه الألباني .
(٢) أخرجه أحمد (١٦٦١) وانظر صحيح الجامع (٦٦٠).
(٣) أخرجه أحمد (١٩٠٢٥) والطبراني في الكبير (٤٤٨).

لا كما يقال من قبل دعاة العمالة الذين يخدمون أعداء الإسلام الذين ينشدون بقضية المرأة وبتحرير المرأة وبخروجها، فإذا تعطلت البيوت ضاع الأولاد والبنات، وهذا أسمى ما يكون عند الماسونيين عند اليهود والنصارى فإنهم يطالبون بخروج المرأة من أجل أن تختلط بالرجال فتصبح البيوت مهدمة، وقد تهدمت البيوت في كثير من المجتمعات الأوروبية فصاروا في نهاية المطاف ينادون المرأة أن ترجع إلى البيت، وقد جلست مع بعض أساتذة الجامعات يقول: إن كثيرًا من الطلاب لا يرغبون بالزواج من المتعلمات فإن المتعلمات يأبين البقاء في البيت لأنهن يكثرن القراءة عن قضية المرأة، ويرغب الواحد منهم أن يتزوج امرأة بدوية من أجل أن يلزمها البيت، لأنه يريد أن تكون في البيت، إلا لما لابد منه ولسنا نقول: إنها تعامل كما يعاملها أهل الجاهلية لا، فيجوز للمرأة أن تخرج إلى المزرعة وأن تعين زوجها على الخير، أما أن تخرج ليكون الرجل مثلا موظفا في كذا وهي موظفة في كذا، في معامل تختلط بالرجال، هذا حرام سواء رضي لنا الناس أو سخطوا علينا، فإن إرضاء الله مقدم على إرضائهم، هذا أمر ندد به العلماء وأشادوا به وبخطورته، فلا يجوز للمرأة أن تختلط بالرجال الأجانب، فإن هذا أمر يندى له الجبين والله، ولكن فيما لابد منه لا مانع أن تكون في مستشفى نسوي في عيادة نسوية، أو في مدرسة نسائية فيها بنات لا حرج في ذلك على أن يكون الزوج مطلعًا على ذلك ، وهو الذي يذهب بها ويأتي بها أو ابنها أو أخوها ، فالمرأة هم يقولون: نصف المجتمع، لكن نحن نقول: المجتمع كله ، فإن هذه المرأة كما قيل:

الأم مــدرسـة إذا أعـددتهـا أعـددت شعبا طيب الأعـراق

المرأة هي مدرسة لزوجها فقد قالوا قديماً: الرجل هو ابن المرأة الصغير، وكذلك صغارها أيضًا يحتاجون إلى من يقوم عليهم وحينما خرجت المرأة في كثير من الدول احتاجوا إلى شغالة في البيت فتهدمت البيوت، والله تأتي المرأة

على أعصابها من العمل والرجل على أعصابه فلا هو يهيئ لها شيئا ولا هي تهيئ له شيئًا، وكلهم على نار وقد كان نسبة الطلاق في بعض دول الخليج قرابة ٧٠٪ يكون الساعة الثانية أي قبل العصر عند الخروج من الدوام، فكل واحد يأتي على أعصابه وعنده من هموم العمل فلا ينبئ ذلك إلا يفك تلك الأسر.

هذه أسماء بنت أبي بكر أخت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، تزوجها الزبير بن العوام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حواري رسول الله ﷺ وأحد المبشرين بالجنة فكانت المرأة تقول: تزوجت الزبير فوالله ليس له مال ولا عقار وإنما له ناضح [١] ، وفرس فكانت تقوم بخدمة فرسه وبخدمة ناضحه، قالت وأذهب أستقي الماء من مسافة ثلثي فرسخ[٢] ، يعني قرابة ساعتين تأتي بالماء على رأسها قالت: حتى أعطاني أبي خادمًا يخدمني [٣]، ويقول أنس بن مالك كان أصحاب رسول الله إذا زوج أحدهم ابنته أمر أن تطيع زوجها وأن تقوم بخدمته، وهكذا درج الناس وتربينا على هذا أن المرأة تقوم بخدمة زوجها هذا من أعظم الحقوق، يقول نبينا ﷺ: «**استوصوا بالنساء خيرًا فإنهن عوان**»[٤]، ويقول: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت**» ،وهذا أمر يا عباد الله يجب علينا أن نتفطن له، ويجب على المرأة أيضًا أن تحترم زوجها وأن لا تكلمه إلا فيما لابد منه .

لقد قالت ابنة سعيد ابن المسيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إن كانت إحدانا لتكلم زوجها كما تتكلمون مع ملوككم، بمعنى أنها لا تتكلم إلا في غاية الأدب مع زوجها، وأن لا تكثر عليه من الطلبات، فإن الكثير من المسلمات ربما طلبت الطلاق من زوجها، إن ذهب بها تزور صديقاتها فرأت عندها بعض الموضات أو

(١) الناضح: البعير يجلبون عليه الماء .
(٢) الفرسخ: ثلاثة أميال والميل ستة آلاف ذراع .
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٩٢٦) ومسلم (٢١٨٢) .
(٤) أخرجه الترمذي (١١٦٣) وحسنه الألباني.

بعض الموديلات، فجاءت إلى الزوج الفقير فأرهقت كاهله، فلا يكون الحل إلا الطلاق، يجب على المرأة أن ترضخ لفقر زوجها وأن تعلم أن هذه الدنيا الفانية، متاع الغرور، وأن الله إن بارك أعطى، وإذا حمدت المرأة ما عند زوجها من القليل يجعل الله القليل كثيرًا، ويبارك الله في الحلال ويعوض الله هذه المرأة في الدنيا قبل الآخرة

أسأل الله بمنه وكرمع، وبأسمائه الحسنى وصفاته العُلى، أن يجعلنا هداة مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين .

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته .

اللهم أصلح أزواج المسلمين، اللهم أصلح بنات المسلمين، وزوجات المسلمين وأمهات المسلمين وأسر المسلمين، وباعة المسلمين، وأطباء المسلمين، وتجار المسلمين، وسائقي المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١٣ - نظام الوراثة في الإسلام

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين:

اقتضت حكمة الله -جَلَّ وَعَلَا- أن من عاش من بني آدم فلابد له من موت وفناء، إنه قضاء وقدر.

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يومًا على آلـة حدباء محمول

فقد حكم الله علينا جميعًا بالفناء والإبادة فقال الله: ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٦] .

وقال: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [آل عمران: ١٨٥] .

لكل شيء إذا ما تـم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الحياة كما شاهدتها دول مـن سره زمـن ساءتـه أزمـان

هذه حقيقة يجب علينا أن نتأملها، وأن نكون مدركين لها، وليس الحديث عن المصرع الأخير ومثوى المؤمن الانتقال من هذه الدار إلى دار الجزاء، وإنما أردت ذلك توطئة وتمهيدًا ليكون الكلام على أمر آخر وهو ما يتعلق بنظام الميراث في الإسلام، هذا أمر من الأهمية بمكان ففيه قوام الأسر والمجتمعات، وفيه إزالة الضغائن والأحقاد أردت أن أبين أن العبد إن انتقل من الدنيا يكون قد ورث العبد منهم ميراثًا وخلف ثروة هائلة لطالما جمعها فلا بد أن يكون تاركًا لها كما قال الله : ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٩٤] ، فهذا المتروك الذي يتركه العبد يوم أن يفد إلى الله وحيدًا فريدًا كما قيل:

تجـرد مـن الـدنـيـا فـإنـك إنما خرجت إلى الدنيا وأنـت مجرد

وهكذا يعود العبد مجردًا اللهم إلا قطعة من القماش الأبيض، وربما كان صدقة من المحسنين، كما قد حصل لكثير من الناس الذين كانوا يمتلكون الثراء والملك، ولكنهم لم ينتفعوا به آخر المطاف فلابد أن يكون ترك شيئًا، فهذا المتروك كيف يكون تقسيمه وكيف يكون الأمر فيه ؟ هل للعباد أن يدخلوا في

ذلك بالأهواء، أو أن يكون ذلك راجعًا إلى الأمزجة، أو على حسب ما يريده الناس، كل هذا لا واحد يصلح لذلك، فلقد بين الله جَلَّوَعَلَا وفصل في ذلك أيما تفصيل يوم أن بعث محمدًا سيد الأولين والآخرين، بعثه بشريعة غراء وبمنهاج مفصل قال الله: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾ [الإسراء:١٢]، فصله الله وبينه أعظم بيان وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩] ، قبل أن يكون هذا التفصيل والبيان كان الناس قبل الإسلام يعيشون في وباء وشقاء في كل المستويات ومن ذلك فيما يتعلق بتوزيع الثروة والمال، فكان القوي هو الذي يأخذ التركة، وتحرم المرأة والأطفال، فلا يعطون من الميراث شيئًا، وإن كانوا مستحقين، لذلك يعيش الأطفال فقراء أيتام، وتعيش المرأة أرملة مستعبدة من قبل الأقوياء، فإنهم كانوا يقرؤون في قواميسهم الجاهلية أن من كان قويًا عزيزًا كان له استحقاق في المال، من أقرى الضيف ونازل الأبطال هو الذي يحوز المال على حد قولهم:

لا يندبون أخاهم حين يطلبهم   في النائبات إلى ما قال برهانًا

فمن كان من الأقوياء أخذ المال وترك الآخرين يعيش في فقر وضعف ومهانة وذلة، فجاء الإسلام وقضى على هذه الجاهلية الجهلاء وبين الله أن ذلك من الضلالة بمكان، فقال سبحانه: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤] .

كانوا يعيشون في ضلالات كثيرة، ومن تلك الضلالات والجهالات عدم إعطاء أهل الحقوق حقوقهم، وقد يعذرون للقرون المتفاضلة بين زمن المسيح عيسى بن مريم وبعثة محمد ﷺ، لكن ما هو عذر المسلمين وهم يعيشون بعد البعثة النبوية ، وقد تجاسر الكثير أو تجاهل الكثير يدخلون في ذلك ظالمين

لأرحامهم فيما يتعلق بالميراث والله جَلَّوَعَلَا أرحم بعباده من أنفسهم وهو أرحم بالأبناء من الآباء وبالآباء من الأبناء يقول الله: ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ﴾ [النساء: ١١] .

فالله هو الذي يعلم أنت لا تعلم أيها المسلم، فالله بين وفصل في ذلك تفصيلًا وجعله نظامًا تولى قسمته من السماء السابعة .

علم الفرائض علم لا نظير له　　يكفيك أن قد تولى قسمه الله

وبين الحظ تبيانًا لوارثه　　فقال سبحانه يوصيكم الله

وفي الكلالة فتوى الله منزلة　　فبان تشريف ما أفتى به الله

كانت الشريعة كلها وحيًا يوحى من قبل الأمين جبريل ، إلى أمين أهل الدنيا محمد ﷺ في كثير من التشريعات ، إلا ما يتعلق بالحقوق، فبين الله ذلك كله وجعله في ثلاث آيات من القرآن الكريم، اشتملت على كل الفرائض فبين الله ميراث الأبوين وميراث الزوجة أو الزوجات ، وميراث البنت أو البنات وميراث الأخت والإخوة والصغار والكبار، وأشار إلى ما يتعلق بالعصبات كل ذلك في كتاب الله، لا يجوز لمسلم أن يرد أمرًا قضاه الله، ولذلك كانت المحاكم والقضاة ، فما كان القضاة يديرون القضاء والأحكام في محاكمهم إلا بهذا البيان ، الذي عناه الله بقوله -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ- : ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١١﴾ [النساء: ١١]، ثم بين الله ميراث الزوجة أو الزوجات، فقال: ﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ۝١٢﴾ [النساء: ١٢].

فهذه هي آيات المواريث اجتمع فيها كل الأنصبة وما يتعلق بتوريث الآباء والأبناء والبنات والأخوات، هذا أمر قضاه الله خلاف ما كان عليه أهل الجاهلية.

روى الإمام الترمذي في جامعه وأبو داود في سُننه، من حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: جاءت امرأة سعد بن الربيع إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إن سعد بن الربيع قُتل معك يوم أحد شهيدًا، وخلف ابنتين، وإن عمهما أخذا ميراثهما، ولا ينكحان إلا بمال، بمعنى أن المرأة يكون لها حظوة إن كان لها شيء من المال فقالت: ولا ينكحان إلا بمال، فقال الرسول لتلك المرأة: «**اذهبي حتى يقضي الله في أمرك شيئًا**» فذهبت المرأة، فإذا الآية الكريمة ينزلها الله تعالى: ﴿۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ

بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾«النساء: ١١»

فيستدعي الرسول امرأة سعد بن الربيع وعم البنتين، فيقول الرسول لذلك العم: «أعط امرأة سعد بن الربيع الثمن، وأعط البنتين الثلثين، وخذ ما بقي من المال» [(١)] ، فجعل العم عصبة لقوله: «**ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأولى رجل ذكر**» [(٢)] ، وقد كان هذا العم أخذا كل المال بناء على ما كان عليه الناس قبل الإسلام .

فيا أمة العقيدة والتوحيد:

هذا النظام العظيم يتولى الله قسمته، وإن كثيرًا من دول الكفر بعد أن عانقوا الكفر أكثر من سبعين عامًا لم يستطيعوا أن يوصلوا الحقوق إلى ذويهم، فمن ذلك المذهب الشيوعي الاشتراكي في بلاد روسيا يوم أن استمر أكثر من سبعين عامًا وهم يحاربون الملكية الفردية، ويقولون بتأميم الأموال، فكسل الناس عن العمل لأن أموالهم يأخذها الحزب، وبعد ذلك أباح التعددية وأباح الملكية العردية، لكن إذا مات الميت أخذ الحزب أمواله فضاق الأبناء وضجت الزوجات، أنكون فقراء بعد أن يتوفى الزوج، أو الأب فإنه لابد من حلول، فإذا بحكومة تلك البلاد ترسل وفدًا من روسيا إلى القاهرة إلى الأزهر من أجل أن يتعلموا قانون الوراثة على ضوء الإسلام، لأنه أعدل القوانين وأعظم القوانين، فالذي قننها هو الله سبحانه: ﴿ **أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ** ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك: ١٤] .

---

(١) أخرجه أحمد (٤٨٤٠) وأبو داود (٢٨٩١) وحسنه الألباني.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٣٥٤) ومسلم (١٦١٥) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وهكذا بعض الناس الذين كانوا ينادون بالمساواة بين الذكر والأنثى فلابد أن تأخذ البنت ما يأخذه الولد حينما انصدموا بالواقع تراجعوا عن هذه النظريات، فالله أعطى الابن اثنين وأعطى البنت واحدا، يعلم الله أن الأصح للبنت هو الواحد وأن الأفضل للولد هو الاثنين كما قال ربنا: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١ ﴾ [النساء: ١١] .

فيجب على المرء المسلم أن يكون مطواعًا منقادًا لأمر الله، فلا ينبغي أن يكون غشاشًا أو محتالا أو مقدمًا لنفسه وهواه يعيش مبدأ الأنانية، يكفيه أن يعيش هو بالمال أما أخواته وبناته وعماته ومن له حقوق في هذا المال يحاول أن يسقط ذلك، إما عن طريق الوصية أو عن طريق الوقف أو الحيل واللف والدوران هذا أمر عظيم عند الله يقول سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] ، ثم ماذا يا مسلم هب أنك جمعت المال والعقار والسيارات والأراضي من الحلال ومن الحرام، فقل لي بربك أتعيش مدى الحياة، كلا والله إنك ميت وتارك هذا المال كله .

لكل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الحياة كما شاهتها دول ... من سره زمن ساءته أزمان

فكل جديد سيبلى، وكل حي سيموت، وكل غني فإلى ضعف وفقر،

يقول -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾[فاطر: ١٥] ، ثم يوم القيامة تحاسب على مثاقيل الذر، وهؤلاء الورثة خصماؤك بين يدي الله، فأين المفر والإله الطالب؟ يوم أن يأتي الورثة الأطفال يطالبونك بالمال وقد جعلته لنفسك عبد الله فتأمل لنفسك مخرجًا قبل أن تفد إلى الله جل وعلى، فلقد ندم الكثير فأرادوا أن يندموا حين لات مندم، يوم أن قرعوا على أسنانهم وعضوا أنامل الندم، يوم لا ينفع إن السعيد اللبيب من راجع نفسه في حال الصحة والنشاط، فتأمل في حق الأيتام في حق الفقراء في الضعفاء، ومن الضعفاء النساء التي لا تستطيع أن تراجع عند الحاكم وعندها ضعف في التعبير في الشخصية، يجب أن ترحم المرأة، إن المرأة يقدسها العالم الغربي أيما تقديس، وكذلك اليهود ينزلون من شأنها، لكن الإسلام حفظ لها حقوقها ومكانتها وحفظ لها ممتلكاتها، فيجب على المسلمين أن يعرفوا قدر هذه الحقوق وإلا كانت خصماً له يوم القيامة، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾[عبس: ٣٧] ، وقال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[الأنبياء: ٤٧] .

كذلك من القوانين العرفية التي ليست من الإسلام في شيء ما يتعلق بأمر الكبارة، إذا مات الرجل قالوا: اعطوا كبير أولاده أفضل المال وأكثر المال، هذا أمر ليس بصحيح فهذا الكبير إن كان قد عمل مع والده فهو بر وطاعة، وإن كان قد اكتسب لنفسه فتلك ممتلكاته، أما إن كانت ممتلكات الرجل أعني بذلك الأب الذي ورث للأبناء فالكبير والصغير على حد سواء، فلا ينبغي للكبير أن يأخذ حق الضعيف أو حق الصغير، فإنه اليوم إن كان صغيرًا غدًا يكون كبيرًا، وكم من ظالم ظلم في حال كبره بعض الصغار، فلما كبر الصغار انتقموا من

هذا الكبير، وكم من مشاكل ومصائب شعواء بين الورثة بعد موت مورثهم، ووالله ثم والله لو رضي هؤلاء كلهم بتحكيم أمر الله، وانقادوا للرضى لما قضاه الله وقدره لرأيت الخير والوئام والعدل والشفقة والرحمة والخير موجود في هذه الأسر، لكنهم يتعاملون كتعامل الحيتان أو كتعامل الذئاب والوحوش، فالوحش الكاسر الكبير يقضي على الصغير، وهكذا الحوت الكبير يفترس الصغير، هذه حياة لا تنبئ بخير، وإنما تنبئ بشر والعياذ بالله، ويقول الله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦] ، فالله لم يترك الخلق سدى بل أعطى كل ذي حق حقه، وهكذا يقول سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ونبينا يصرخ من المدينة النبوية قائلا: «ألحقوا الفرائض بأهلها» أعطوا كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث، وهكذا من القوانين ومن الحيل والمكر الذي يتخذه بعض الآباء فهو يميل لبعض الأبناء فيوصي لأولاده هو يريد أن يوصي لأكبر أولاده أو لأحد من أولاده لكنه يعلم أن الوصية للوارث لا تجوز، فيوصي إما لزوجة ابنه أو لأبناء أبنائه، من أجل أن يخرج من الملامة، من ملامة بقية الأبناء على أن الأبناء يتربصون بأخيهم وبأبناء أخيهم الدوائر، ولو وجدوا الفرصة أن يقتلوه أو يفعلوا شيئا لفعلوه، ومن الذي زرع هذا ؟ ، زرعه الأب والعياذ بالله .

إذا كان رب البيت بالدف ضاربًا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

هذا صحابي جليل من الذين يخافون الله والدار الآخرة يأتي إلى النبي ﷺ فيقول: يا رسول الله إني نحلت ابني النعمان هبة، فقال له الرسول: «**هل نحلت أولادك كلهم**» قال: لا، قال: «**إذن لا تشهدني على جور**» **ثم قال:** «**اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم**»[1] ، فلابد من العدل في الوصية، ولابد من العدل في العطية، هذا إذا أردت أن يكون أولادك كأسنان المشط، متآخين

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٤٤٧) ومسلم (١٦٢٧) .

متعاونين متباذلين متزاورين فإياك أن تزرع الضغينة والشحناء، إياك أن تزرع البغضاء بين أولادك ثم بعد ذلك ربما لعنك البعض، سبك البعض، تنكر لك، وأنت الذي جمعت هذه المصائب وأنت الذي زرعتها في أوساطهم فأنت جمعت بين غضب الله بين الشحناء والبغضاء بين أولادك ، فضررت نفسك حيًا وميتًا فلابد من العدل في كل شيء يقول سبحانه: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾ [النحل: ٩٠].

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية :

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أيها المسلمون: أوصيكم ونفسي بتقوى الله جَلَّوَعَلَا فما فاز إلا المتقون ومن اتقى وأعطى كل ذي حق حقه، وخاف الله جَلَّوَعَلَا في الدنيا والآخرة

معاشر المؤمنين: إن مما يندى له الجبين يوم أن تتذكر أحوال إخواننا في مشارق الأرض ومغاربها، وما يصابون به من المصائب والنكبات والابتلاءات، فيجب على المؤمن أن يتحرق قلبه لذلك، ومما هو معروف ومسموع ومشاهد حال إخواننا المسلمين في بلاد باكستان، فلقد بلغ عدد الضحايا والقتلى بسبب الزلازل والبراكين أكثر من مائة ألف، وهذا أمر قدره الله - سبحانه- فيجب على المسلم أن يتذكر مأساة المسلمين، وإن تذكرت أحوال إخوانك، فأنت مأجور في الدنيا والآخرة، فعلينا أن ننصر إخواننا ونمد لهم يد العون فإن ربنا-تعالى-يقول:﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ﴾[المائدة: ٢]، ويقول جَلَّوَعَلَا في كتابه الكريم ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾ [المزمل: ٢٠] ، ويقول النبي ﷺ «**صنائع المعروف تقي مصارع السوء**»(١)، فلو تصدقت يا عبد الله بمائة ريال فالله يدفع عنك من الشر ومن المصائب والنكبات بقدر نيتك وبحسب ما بذلت من أجل إخوانك، فالله الله في نصرة إخوانكم بالمال والدعاء والتضرع والابتهال، فإنك مأجور على ما تقوم به من الخير، ويجب على المسلم أن يكون سخيًا محسنًا لا أن يكون بخيلًا، فلو أن واحدًا منا راجع نفسه وخفف من بعض الأمور الاضطرارية ولو وفر بعض

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٠١٤) والبيهقي في الشعب (٨٠٦١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٩٧).

الأمور الاضطرارية لو لم يأكل مثلا لحما أو فاكهة، إن هذا من الضرورة على أن بعضهم يرى من الضروري أن يخزن، فلو وفر قيمة هذا القات على أنه ليس بأمر ضروري، لكن لو أنه يقسم ذلك على نصفين فمن خزن بألف فليخزن بخمسمائة[١]، وهكذا فكم يتوفر من المال والنقد، فلابد أن تكون عاقلا أيها المسلم، فقد تقدم الناس في عالم الاختراع والصناعة ونحن ولا حول ولا قوة إلا بالله حتى على مستوى الليمون الأخضر، صار يستورد من بلاد مصر وغيرها.

لقد استغنى الكثير من المسلمون بزراعة القات، وهذا لا يعد تقدمًا وإنما تأخرًا والله المستعان، فعلى أية حال انصروا إخوانكم بالمائة ريال والكثير والقليل، فمن كان يريد أن يتبرع عن طريق البنك اليمني، فلهم هناك رقم حساب فليذهب بحاله وليدفع وليأخذ إشعارًا من البنك وهو مأجور على ذلك، ومن كان لديه مال قليل فسوف يقوم بعد الصلاة أحد طلاب العلم بكرتونة على باب المسجد، فجودوا على إخوانكم يخلف الله عليكم بخير، فإن النبي ﷺ يقول: «**ما نقص مال من صدقة**» [٢]، فالله يزيد في هذا المال وينمي هذا المال، ولقد ذكر بعض الفقهاء أن من أسباب الغنى هو الإنفاق في سبيل الله فجد على نفسك وجد على إخوانك وعلم نفسك البذل أولادك علمهم فعل الخير، فبقدر ما تجود يجود الله عليك، فلقد كان النبي ﷺ يقول لبلال بن رباح وكان أمين الصندوق: «أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالا»[٣].

أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وبصفاته العلى أن يجعلنا هداة مهتدين وأن يرينا الحق حقا فيرزقنا اتباعه والباطل باطلًا فيرزقنا اجتنابه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) لا يفهم من هذا أننا نبيح القات، بل هو مشبوه شبهة قوية توصله حد الحرمة لغيره لا لذاته، لما فيه من أضرار دينية واجتماعية وصحية، وهذه الشجرة مصيبة على الشعب اليمني جلبت لهم الويلات، الله المستعان .

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠٢٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠١٢).

١٤ - الخوف من الله

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[آل عم﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾[النِّساء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين:

إن الخلق أمرهم الله جميعًا من أولهم إلى آخرهم، ومن أقصاهم إلى أدناهم،

غنيهم وفقيرهم، عربيهم وعجميهم، مسلمهم وكافرهم، أن يخافوه وأن يعظموه حق تعظيمه فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[البقرة: ٤٠].

وقال سبحانه : ﴿ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران: ١٧٥].

فسبب من أسباب صلاح القلوب والنجاة في الدنيا والآخرة أن يكون العبد خائفًا من ربه -جَلَّ وَعَلَا- وخائفا من عذابه وأليم عقابه إذ يقول سبحانه: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾[آل عمران: ٣٠] ، ونبينا ﷺ يروي عن ربه تعالى في الحديث القدسي أنه يقول: بعد أن أقسم رب العزة والجلال بعظمته وعزته وكبريائه، فيقول سبحانه: «**وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أمنين فمن خافني في الدنيا أمنته يوم القيامة، ومن أمنني في الدنيا أخفته يوم القيامة**»(١)، وأنت بين أمرين عبد الله: إما أن تكون حافظًا لحدود الله خائفا من لقائه جَلَّ وَعَلَا، والمدة يسيرة في ستين أو سبعين عامًا، وربما كان أقل من ذلك ثم تفوز بأمن في يوم كان مقداره خمسين ألف سُنَّة مما تعدون، ثم تأمن حياة طويلة أو أنك تفرط وتقصر فتعطي لنفسك العنان، عنان الأمان فلا ترف لربك حقًا والمدة يسيرة أيضًا ثم أنت في نضال وشقاء في يوم كان مقداره خمسين ألف سُنَّة، يقول المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[الأنعام: ٨٢] .

فهؤلاء جاءهم الأمن وهداهم الله في الدنيا والآخرة، يوم أن وحدوه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وعظموه وخافوا من عذابه ولقائه، فكانوا آمنيين في الدنيا والآخرة، ومهتدين في الدنيا والآخرة، وكيف لا تخاف الله يا عبد الله، ونحن خلق صغير بالنسبة لخلق الملائكة ولبقية المخلوقات، يقول -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾[غافر: ٥٧] .

---

(١) أخرجه ابن حبان (٦٤٠) والبيهقي (٧٧٧) وصححه الألباني .

فالأرض وما فيها والسماوات تخاف من ربها جَلَّ وَعَلَا، يقول سبحانه في كتابه الكريم: ﴿ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ ﴾ [فصلت: ١١] .

ولما عرض عَزَّوَجَلَّ الأمانة الدينية على السماوات والأرض والجبال، كان الإشفاق من السماوات والأرض والجبال ليس عصيانًا لله وإنما خوفًا من التفريط، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ٧٢ ﴾ [الأحزاب: ٧٢] .

فما أنت بالنسبة للسماوات والأرض الجبال، وما أنت بالنسبة للملائكة العظام الذين خلقهم الله من نور، وهم أقرب منا إلى الرحمن، ومع ذلك يخافون جنابه، يخافونه ويرهبون منه يقول سبحانه: ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ٥٠ ﴾ [النحل: ٥٠] .

ويقول تبارك وتعالى: ﴿ فَإِنِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمۡ لَا يَسۡـَٔمُونَ ۩ ٣٨ ﴾ [فصلت: ٣٨] ، أي لا يفترون من طاعة الله جَلَّ وَعَلَا، هؤلاء الملائكة أعظمنا أجسامًا، إنهم مخلوقات عظيمة عظيمة، يرى نبينا جبريل -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وله ستمائة جناح، قد سد ما بين المشرق والمغرب، ويقول: «**أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش، ما بين شحمة أذنه ومنكبيه مسيرة سبعمائة عام**» [(١)] ، بخفقان الطير السريع، يقول: «سبحانك ما أعظمك» هذا ملك واحد من حملة العرش ويقول ﷺ: «**أطت السماء**- أي سمع لها صوتًا وتحركًا - **وحق لها أن تئط ، ما فيها والذي نفس محمد بيده موضع شبر إلا وملك ساجد أو راكع إلى يوم القيامة**»[(٢)] ، هؤلاء

(١) سبق تخريجه .
(٢) سبق تخريجه .

هم الملائكة يخافون ربهم، ويمر ﷺ ليلة الإسراء والمعراج برفقة جبريل الأمين على ملك من ملائكة الرحمن وهو كالحلس البالي من خشية الله»[١] ، من أي شيء يبكي يا عباد الله إنما يبكي فرقًا من الله جَلَّ وَعَلَا ما مع هؤلاء الملائكة من الأوسمة الرفيعة والمقامات العظيمة لكنه من كان بالله أعلم كان له أخوف فلما كان هؤلاء الملائكة عالمين بربهم ازداد خوف الله - عَزَّ وَجَلَّ - فيهم وهؤلاء صفوة الخلق وهم الأنبياء والرسل يخافون من الله - عَزَّ وَجَلَّ- لا سيما أولو العزم منهم ففي يوم القيامة أدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ دعواهم ودعوى غيرهم من الملائكة: اللهم سلم سلم» [٢].

في ذلك اليوم العظيم يخافون من ربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهم من أعبد الناس لله وأطوع الناس لله ونبينا ﷺ العبد المغفور له ما تقدم وما تأخر الذي حفظه الله وجعله بشيرًا نذيرًا، وهاديًا إليه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ومع ذلك يأمره الله أن يقول للناس: ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥] .

فكان يقوم من الليل فيصلي حتى تتفطر قدماه، تقول له عائشة بنت الصديق: يا رسول الله أما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فيقول: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»[٣] ، وقال مرة لأصحابه: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا لخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله**» فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين من شدة البكاء»[٤] ، هذا مقام رسول الله ﷺ، ويقول مرة لأصحابه: «**كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن**» يعني بذلك إسرافيل «**وحنى جبهته ، ينتظر الإذن ممن الله**»[٥]، هذا مستوى

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤٦٧٩) عن جابر بن عبد الله، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٦٤).

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧٧٣) ومسلم (١٨٢) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٥٥٤) ومسلم (٢٨٢٠) .

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٣٤٥) ومسلم (٢٣٥٩) .

(٥) أخرجه الترمذي (٢٤٣١) و أحمد (١١٠٥٣) وصححه الألباني في الصحيحة (١٠٧٨).

رسول الله ﷺ وهو العبد المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يستيقظ مرة وهو بائت في بيت أم سلمة تقول: اسيقظ رسول الله ليلة وهو نائم عندي فزعًا يقول: «**سبحان الله ماذا أنزل الله الليلة من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن أيقظوا صويحبات الحجر، رب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة**»(١) .

وهذا عبد الله بن مسعود القرشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول له ﷺ مرة: «**يا ابن مسعود اقرأ علي القرآن**» ، قال: أقرأ عليك وعليك أنزل ؟، قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**» ، فافتتحت سورة النساء حتى وصلت قوله تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١].

قال: « **حسبك الآن يا ابن مسعود**» ، قال: فالتفت إلى رسول الله ﷺ وإذا عيناه تذرفان من الدمع (٢) ، خوفًا من هول الموقف ، ومن هول المطلع في ذلك اليوم العظيم .

فيا عباد الله: إن أمامنا مراحل يجب علينا أن نستغلها بالزاد وأن نستعد لها بما يخرجنا من مضاجعها، فلا ينبغي أن نعطي أنفسنا الأمان، فمن أعطى نفسه الأمان في الدنيا ندم حين ولات مندم .

إن تنج منها تنج من ذي عظيمة   وإلا فـإني لا أخـالـك ناجيًا

فأمامك مصارع الحياة أمامك الفتن التي يجب أن تتخذ موقفًا صارمًا، وأمامك سكرات الموت وإنها لشديدة، وأمامك القبر وما فيه، وأمامك عرصات القيامة، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ

(١) أخرجه البخاري (١١٥).
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٧٦٣) ومسلم (٨٠٠) .

كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَـٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَـٰرَىٰ وَلَـٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج: ٢].

فهذه مراحل شديدة يجب على المؤمن أن يكون كيسًا فطنًا، وأن يتخذ لها الزاد، من هنا يقول تبارك وتعالى: ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٩٧].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم واستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد الأولين والآخرين، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين، وعمن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

عباد الله: اتقوا الله، واعلموا يا عباد الله أن من ثمار الخوف من الله أن يقبل العبد على طاعة ربه جَلَّ وَعَلَا، إذا أنت خفت من ربك سبحانه فإنك تقبل على العبادة بنهم وحينها فإنك تفارق المعصية ومواطنها، هذا سبب عظيم من أسباب النجاة وهو أن تكون خائفًا من ربك سبحانه لذا يقول تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات:٤٠- ٤١] .

فحكم الله - عَزَّوَجَلَّ - أن مصيره إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وله إكرام من الله جنتان عظيمتان بل أربع جنان تكرمًا من الرحمن يقول -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الرحمن: ٤٦-٦٣].

ومعنى ﴿ مُدْهَآمَّتَانِ ﴾: أي شديدة الخضرة لما فيها من النضارة، فكان بمثابة السوداوين، وذلك إكرام من الله لمن خاف قلبه من لقاء الله تبارك وتعالى، وهكذا من خاف ربه سبحانه، فلا يمكن أن يتلطخ بدم مسلم ولا مسلمة، ولا أن يقترف دمًا حرامًا ما دام أنه يخاف من ربه وتأمل إلى ولدي آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول تعالى: ﴿ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾[المائدة:٢٧- ٢٨].

فهو من أسباب النجاة من القتل والتلطخ بالدم الحرام الذي يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في حقه ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣].

ويقول ﷺ: «**لا يزال المسلم في فسحة من دينه ما لم يُصب دمًا حرامًا**»(١)، ويقول ﷺ: «**لزوال الدنيا بأسرها أيسر عند الله من إراقة دم مسلم بغير حق**»(٢)، فحرمة المؤمنين عظيمة ودماؤهم محرمة معصومة «**لا يحل دم مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني ، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»(٣) ، وإلا فدمه معصوم ليس بهدر أبدًا، كذلك من أسباب العصمة من الزنا والوقوع في الفواحش والرذائل والقاذورات يوم أن تكون خائفًا من

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٩).
(٢) أخرجه الترمذي (١٣٩٥) والنسائي (٣٩٨٧) وصححه الألباني.
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٤٨٤) ومسلم (١٦٧٦) .

ربك يقول ﷺ « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**»(١)، ومن هؤلاء السبعة «**رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين**» فهذا الرجل عندما دعي إلى المرأة هي التي دعته مع المغريات الحاصلة أمان وجمال ومنصب إنها مغريات ومع ذلك يقول: إني أخاف الله رب العالمين، كيف إذا طبق هذا على من أطلقوا العنان لنفوسهم فأدخلوا القنوات الفضائية إلى بيوتهم وتتبعوها هنا وهناك أو أنهم عكفوا على الإنترنت وما شابهها من الصور الفاضحة، كيف لو علموا مثل هذا وموقف الخائف من ربه تبارك وتعالى إنه يريد أن ينجو من هذه الدنيا من فتنتها وأوحالها ليفوز بجنة عرضها السماوات والأرض وهؤلاء قوم يعبدون الله ومع ذلك يخافون أن ترفض أعمالهم لما كان في قلوبهم من خوف الله، يقول تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ** ﴿٦٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٦٠] .

تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا رسول الله أهم الذين يزنون ويسرقون ويشربون الخمر، فيقول لها: «**لا يا ابنة الصديق وإنما هم الذين يصلون ويصومون ويزكون ويعملون الأعمال الصالحة، ثم يخافون أن لا تقبل منهم**»(٢).

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– يقول: الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله، وقال بعض العلماء: خوف الله سبب للفوز بالدارين، وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تتم عبادة رجل إلا بالخوف والرجاء يوم أن تكون دائما بين الخوف والرجاء ترجو رحمة الله وتخاف عذاب الله، هذه تربية نفسية وتزكية لنفوسنا وقلوبنا، إن أردنا النجاة والفوز في الدارين، فلابد أن نربي أنفسنا على طاعة الله وعلى الخوف منه ومراقبته في السر والعلن .

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٢٩) ومسلم (١٠٣١) .
(٢) أخرجه الترمذي (٣١٧٥) وابن ماجه (٤١٩٨) وصححه الألباني.

مـن يتق الله يحمد في عواقبه ويكفيه شر من عزّوا ومن هانوا

من استجار بغير الله في فزع فــإن نــاصره عجز وخــذلان

فالزم يديك بحبل الله معتصما فإنه الركن إن خانتك أركان

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى ، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك ، اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١٥ - فضل بناء المساجد والمحافظة عليها

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين:

إن لبيوت الله تبارك وتعالى شرفًا عظيماً ومنزلة رفيعة عنده جل ذكره لذا كان أول ما وضع على وجه الأرض إنما هو المساجد التي يقول عنها ﷺ:

«**أحب البقاع إلى الله مساجدها وأبغض البقاع إلى الله أسواقها**» (١) ، فالمساجد هي أشرف البقاع، لذا كان البيت الحرام أول بيت وضع للناس على وجه الأرض لما له من منزلة رفيعة ولما كان من الله - عَزَّوَجَلَّ- من عناية لخلقه يقول تعالى: ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ** ﴿٩٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٦] ، فكان هذا البيت هو أول بيت وضع على وجه الأرض، ولقد كان الله - عَزَّوَجَلَّ- جعل هذا البيت مبنيًا قبل صفوة خلقه وهم أشرف الخلق ألا وهم الأنبياء، وما ذلك إلا لشرف هذه البيوت فيذكر الله النبيين الكريمين إبراهيم وإسماعيل وهما يبنيان البيت الحرام قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِۦمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ** ﴿١٢٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٧] .

فكان هذا البيت الأول قبل بيت المقدس بأربعين عامًا لما جاء في صحيح البخاري أن أبا ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا قال: «**المسجد الحرام**» ، قال ثم أي ؟ قال: «المسجد الأقصى» ، قال كم بينهما ؟ قال: «**أربعون عامًا**» (٢) ، ويأتي شرف البيوت أن سيد الأولين والآخرين حينما خرج من مكة طريدا مهاجرًا إلى الله كان ذلك يعتبر نصرًا عظيمًا لهذه الدعوة المباركة فلما كان هذا النبي في بداية أمره ما كان منه إلا أن قام ببناء مسجد أو وصوله تلك البلدة منطقة يثرب ثم صارت تسمى بالمدينة النبوية وبالمدينة المنورة وبطيبة بتسمية رسول الله ﷺ ولقد شارك هذا النبي في بناء المسجد النبوي وصل ﷺ وبركت ناقته عند بيت أبي أيوب الأنصاري ثم قال بعضهم: خلأت القصواء فقال ﷺ: «**ما خلأت وما كان لها ذلك بخلق ولكن حبسها حابس الفيل**» (٣)، بركت هنالك ثم رأى حائطا لبني النجار فاستدعاهم

(١) أخرجه مسلم (٦٧١) .
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣١٨٦) ومسلم (٥٢٠) .
(٣) أخرجه البخاري (٢٥٨١) عن المسور بن مخرمة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ .

فجاءوا متقلدين بسيوفهم فقال له: «ثامنوني بحائطكم» قالوا لا نبغي عنه إلا من الله ورفضوا أن يأخذوا شيئًا من رسول الله ﷺ فأمر رسول الله بالنخل فقطعت وبقبور المشركين فنبشت ثم شارك مع أصحابه في بناء المسجد فكانوا يرتجزون: (١)

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة (١)

فجعلوا مقدمة المسجد من سعف النخل وأعمدته أيضًا وجعلوا على أبوابه من الحجارة، وكان مسجدًا مباركًا فالله يثني على هذا المسجد : ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ (١٠٨) ﴾ [التوبة: ١٠٨].

فكان له من المنزلة الرفيعة وما ذلك إلا لشرف هذه البيوت، وأيما منطقة أو بلد خلت من المساجد ومن عمارها إلا باض الشيطان وفرخ فيها، وكانت وكرًا ومأوى للفساد لذا يقول ﷺ: «**ما من ثلاثة نفر في بلد لا يؤذن ولا تقام فيهم الصلاة إلا استحوذ عليهم الشيطان**» (٢) ، وهذا يأتي على أن المساجد تعتبر دلالة خير وهدى في كل بلدة ومنطقة وهكذا أيضًا يأتي شرف هذه المساجد يوم أن أذن الله ببنائها البناء الحسي والبناء المعنوي يقول سبحانه: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ (٣٧) ﴾ [النور: ٣٧].

وكذا اثنى الله على عمارها العمارة الحسية والمعنوية فيقول- جَلَّ وَعَلَا: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٧١) ومسلم (٥٢٤) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه أبو داود (٥٤٧) والنسائي (٨٤٧)وحسنه الألباني .

ﱡﭐ... ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٨ ﱠ[التوبة: ١٨].

و يخبر ﷺ أن من بنى مسجدًا ولو صغيرًا بنى الله له قصرًا في الجنة كما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**من بنى لله مسجدًا ولو كمفحص قطاة، بنى الله له بيتا في الجنة**» (١) ، دليل على خيريتها وشرفها وطول كعبها كذلك يثني الله على هذه المساجد يوم أن شرفها وأضافها إله مع أن الملك لله كله، يقول سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ [آل عمران: ١٨٩] .

وقال سبحانه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ ﴾ [الملك: ١]، لكنه أضاف المساجد إضافة تشريف فقال سبحانه ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ ﴾ [الجن: ١٨]، مع أن الكل لله لا لأحد من الخلق فالعباد مقهورون فقراء إلى الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ ﴾[فاطر: ١٥]، فأنت لا تمتلك المال الذي ملكك الله إياه إلا على ضوء ما أمرك الله به ورسوله، فيعتبر ملكا ناقصا ومهددًا بالزوال لكنه يضيف المساجد إليه لما لها من شرف الرتبة والمنزلة، فيثني الله عَزَّوَجَلَّ على الذاهبين إليها على الغادين والرائحين، وعلى المرابطين فيها جاء في الصحيح عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**» ومن هؤلاء «**رجل قلبه معلق بالمساجد**»(٢) ، أي أنه يرتاح يوم أن يدخل المسجد وفي الحديث الآخر يقول ﷺ: «المسجد بيت كل تقي» وهكذا يفرح الله بعبده عندما حل ببيت الله فيتبشبش الله –عَزَّوَجَلَّ– له كما جاء في مسند أحمد عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**ما توطن أحد المسجد إلا تبشبش الله له كما يتبشبش أهل الغائب لغائبهم**»(٣)، وذلك أن العبد المؤمن تطمئن نفسه، ويرتاح قلبه

(١) أخرجه ابن ماجه (٧٣٨) وصححه الألباني .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) أخرجه ابن ماجه (٨٠٠) والحاكم في المستدرك (٧٧).

يوم أن يفد بيتا من بيوت الله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد: ٢٨].

فالعبد المؤمن يستريح بذكر الله، ويستريح في بيوت الله لا يرتاح في بيته بين أهله وأولاده أعظم راحة منه في بيت الله، فهذه دلالة إيمان وفيها دلالة رفعة وعزة لمن كان على هذا المنوال يوم أن يوطن نفسه في بيت من بيوت الله فيستريح في هذه البيوت ولذا يقول النبي ﷺ وهو يتحدث إلى أصحابه يوم أن يباهي الرحمن بعباده المؤمنين.

روى الإمام أحمد وغيره عن ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب فرجع من رجع وعقب من عقب فجاء ﷺ مسرعًا قد حفزه النفس، وقد حسر عن ركبتيه فقال: «**أبشروا هذا ربكم قد فتح باب من أبواب السماء يباهي بكم الملائكة يقول: انظروا أتدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: يقول ربكم انظروا إلى عبادي هؤلاء قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أخرى ولهم قد غفرت**» (١) .

وهكذا ما دخل أحد المسجد بالآداب الشرعية يمكث فيه لقرائة القرآن أو لسماع الذكر أو الصلاة فإنه معصوم من الفتن ومن الأهواء مغفور له الذنب تحفه ملائكة الرحمن وتنزل عليه السكينة ويذكره الله فيمن عنده دليل على شرف هذه المساجد وما كان لها من العناية الفائقة من قبل الله -جَلَّ وَعَلَا- ومن قبل رسول الله ﷺ فاسمعوا إلى هذا الحديث: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**» (٢)، فالمساجد يا عباد الله لها حقوق عظيمة على المؤمن، وذلك أن الله - عَزَّ وَجَلَّ- أمرك أن تدخل هذه

(١) أخرجه ابن ماجه (٨٠١) وأحمد (٦٨٦٠) وصححه الألباني.
(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) .

البيوت لتقيم فيها الصلاة ولتؤدي فيها هذه الفريضة العظيمة التي كلفك الله بها يوم أن أوجب صلاة الجماعة عليك قال سبحانه: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] ، هذا فيه دليل على وجوب صلاة الجماعة، فلم تبن هذه المساجد من أجل التشييد ومن أجل التكاثر في البناء، وإنما من أجل إقام الصلاة وإقام الذكر والدعاء.

منائركم علت في كل ساح ومسجدكم من العباد خالي

وزلـزلـة الأذان بـكـل حي ولكن أيـن صـوت مـن بلال

فالمساجد كثيرة عباد الله، لكنها تشكو من زوارها، تشكو من المنقطعين عنها، فإنها تشهد يوم القيامة بين يدي الله تعالى فمن المسلمين من رغب عنها وقعد في بيته أو في دكانه، فالمؤذن ينادي المنادي، ولكن أكثر المسلمين في سبات وأنفسهم معقولة في حبال.

تـعـال يـا مـن حـالـه في وبـال ونـفـسـه مـعـقـودة في حبال

يـا راقــدًا لم يستفق حينما أذن في صبح الـلـيـالي بلال

هذه المساجد المباركة أفضل البقاع وأطهرها وأنقاها، وأنها يوم القيامة تشهد على المؤمن الذي أقام فيها الصلاة، وتشهد على من لم يدخلها وهجرها بنص القرآن الكريم: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٨].

وهكذ من آداب المساجد بعد إقامة صلاة الجماعة وهي كما قلت لكم على القول الراجح أنها واجبة ومن تخلف عنها فهو آثم بخلاف ما يفهمه بعض المسلمين، يقول: تحسب لي صلاة واحدة فإذا ما صليت في المسجد كتب لي سبعة وعشرون أجرًا ، هذا أمر صحيح لا غبار عليه لكن علاوة عليه أن من صلى في بيته يعتبر آثما لأنه فرط في واجب من الواجبات ، والواجب هو ما يثاب العبد عليه ويعاقب على تركه أو يستحق العقوبة على تركه، هذاتعريف الواجب عند الأصوليين وعند علماء الفقه، أن من قام بالواجب آجره الله، ومن فرط فيه فإنه يستحق العقوبة، لأنه قد فرط في أمر حث الله- عَزَّوَجَلَّ- عليه وهذا نبينا في آخر وصاياه من الدنيا يقول: «**الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم**»[١] ولقد خرج ﷺ يهادى بين رجلين[٢]، وفي آخر لحظة من حياته ليؤدي الصلاة في المسجد وهذا أحد الصالحين كان مشلولا لا يستطيع القيام ولا يستطيع أن ينام أو يتحرك أي حركة، لكن لديه حاسة السمع فإذا سمع المؤذن قال لأولاده: احملوني إلى المسجد وذلك لشرف هذه البيوت ولأهميتها، فمن أراد الله أن يرفع شأنه، وأن يرفع ذكره، وأن يطمئن قلبه، وأن يصلح أحواله، فليؤد الصلاة في المسجد، وليعلم أن الخير معقود في هذه الصلاة، فإن لها منزلة عظيمة، وهي الركن الثاني من أركان الإسلام،وهي عمود لهذا الدين، وهي آخر وصايا سيد الأولين والآخرين وهي التي حث عليها ﷺ في أكثر من حديث، فلا ينبغي لنا أن نفرط فيها.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، وأستغفر الله لي ولكم.

(١) أخرجه أحمد (٢٦٥٢٦) وصححه الألباني في الصحيحة ٢٦٥٢٦.
(٢) أخرجه البخاري (٦١٨).

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

عباد الله: ومن حقوق هذه المساجد الدخول فيها بأكمل زينة تجملا لله، فإن الله تعالى يقول: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ﴾[الأعراف: ٣١] ، فالزينة مطلوبة للعبد ولأمة المؤمنين دون أن تكون المؤمنة على روائح فاتحة، فلا يجوز للمرأة المسلمة أن تدخل المسجد أو تخرج من بيتها متعطرة، أما الرجل فله أن يتطيب وأن يخرج بأكمل زينة، فإن من الناس من ربما تزين للخلق أو للزوجة أعظم من أن يتزين لله، ونبينا ﷺ يقول: «**إن الله جميل يحب الجمال**» (١)، ويقول: «**إن الله أحق أن يتزين له**»(٢) ، وقد كان ﷺ له حلة عظيمة بيعت بمئات الآلاف من الدنانير بعد موته كان يتزين بها للوفود، وكان يلبسها في الجمعة والجماعات، وربما دخل بعض المسلمين المسجد بثياب المهنة، ولا غبار في المهنة أيًا كانت، إلا أن تكون محرمة لكن ربما يدخل وثيابه ملطخة بالزيوت والقاذورات فينبغي أن يكون له ثوب حسن عملا بهذا.

ومن الآداب الشرعية: أن يكون بعيدًا من الروائح الكريهة من الدخان ومن رائحة الثوم والبقول، وما إلى ذلك فإن نبينا ﷺ قال: «**من أكل من هذه البقلة من الثوم أو البصل أو الكراث، فلا يقربن مسجدنا**» (٣) ، وقد كان يأمر بمن أكل الثوم أن يطرد إلى البقيع، وقد ذكر شيخ الإسلام الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: هذا ما يتعلق بأكل البصل أو الثوم أن يطرد إلى البقيع فكيف لو وجد من يشرب

(١) أخرجه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ.
(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٧٠٦٢) .
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٨١٥) ومسلم (٥٦١) .

السجائر ؟ وربما أمر بطرده إلى المريخ، وذلك لما في هذه السجائر من الرائحة الكريهة، فننصح العبد المؤمن أن يبتعد عنها فإن كان مدمنًا فليخفف، وهذه إنما هي نصيحة ومن الكفار من صار مبتعدا عن السجائر وبعض المسلمين بدءوا بالتوليع فيها وكما قيل في السجائر: بداية أمرها دلع وآخر أمرها ولع يصير العبد مولعًا بها والعياذ بالله .

كذلك أيضًا لا ينبغي ارتفاع الأصوات في المساجد فإنما بنيت للصلاة والذكر وقد قال يزيد السائل: رأى عمربن الخطاب رجلين يرفعان أصواتهما في مسجد رسول الله فدعاهما، فقال: من أين أنتما ؟ فقالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضربا ترفعان أصواتكما في مسجد النبي ﷺ »[(١)]، وجاء من حديث ابن مسعود في صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان يقول: «**إياكم وهيشات الأسواق**» [(٢)] ، وهناك آداب يجب للمؤمن أن يترسم بها خطى النبي ﷺ فإذا دخلت المسجد فقدم رجلك اليمنى وقل: بسم الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرجت قدم رجلك اليسرى وقل بسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك [(٣)]، واعصمني من الشيطان، وهكذا إذا دخلت المسجد يوم الجمعة هناك للمؤمن آداب.

فينبغي أن تأتي في وقت مبكر، وإذا جئت فلا تشتغل بالقيل والقال، وإنما القرآن والذكر والصلاة، وليس هناك صلاة محددة للجمعة قبليًا، ولكن لا بأس أن تصلي من غير تحديد ما شاء لك أن تصلي ولا تفرق بين اثنين إلا أن ترى المسجد قد ازدحم ورأيت فرجة في مقدمته، فلا بأس أن تصلي إليها كما ذكر ذلك الشوكاني وغيره.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٨) .
(٢) أخرجه مسلم (٤٣٢) من حديث أبي مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه مسلم (٧١٣) .

ومن الآداب أن تحافظ على الأذكار وعلى الصلوات البعدية أعني الرواتب لما لها من الفضل العظيم يقول ﷺ: «**يقول الله تعالى: وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**» [(١)]، فهذه النوافل تكسبك ولاية الله فتكون من أوليائه ويشملك قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٢- ٦٣]، فإذا أردت أن تكون منهم فحافظ على النوافل فهي تعتبر من الربح أما رأس المال فهي الصلوات المكتوبة عمود هذا الدين من فرَّط فيها كان كافرًا حلال الدم والعياذ بالله .

كذلك أيضًا إذا حوسب يوم القيامة فإن أول ما تحاسب عليه الصلاة، كما قال ذلك رسوالله ﷺ فإذا نقصت الصلاة قال الله: «**انظروا إلى عبدي هل له من تطوع**»[(٢)]، فهذا ينبغي لك أن لا تفرط في النوافل ما استطعت، وأما نافلة الجمعة البعدية فقد اضطربت أقوال أهل العلم في ذلك، لورود حديثين مختلفين أما الأول فهو عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إذا صليتم بعد الجمعة فصلوا أربعًا**» [(٣)]، عند مسلم وحديث ابن عمر في البخاري: «**وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين**»[(٤)]، فبعض أهل العلم قال: هذا خاص بالإمام دون المأموم .

والقول الراجح ما حققه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٧).
(٢) أخرجه النسائي (٤٦٦) وابن ماجه (١٤٢٥) وصححه الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.
(٣) أخرجه مسلم (٨٨١) .
(٤) أخرجه البخاري (٨٩٥).

-رَحِمَهُمَاٱللَّهُ- أن الأمر فيه تسهيل وتيسير لعباد الله، فمن صلى في المسجد فليصل أربع ركعات، ومن صلى في بيته فليصل ركعتين يكون قد أعمل الحديثين، لكن هناك أمر ملفت للنظر وهو أن أكثر المسلمين بعد صلاة الجمعة يشتلون شلة رجل واحد ولا يعنون بصلاة السُّنَّة البعدية ولا بالذكر بعد الصلاة والذكر له أثر عظيم.

دقـــات قلب المـــرء قائلة له   إن الحـــيـــاة دقـــائـــق وثـــوان

فارفع لنفسك قبل موتك ذكرها   فـــالـــذكـــر لـــلإنـــســـان عمر ثان

وتعلموا يا عباد الله أن الله أثنى على الذاكرين فقال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

وقال ﷺ وهو على جبل جمدان: «**سيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ**». قَالُوا وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ**»[(١)].

فالصلاة لها ذكر يتخلل أركانها ولها ذكر بعدي كان ﷺ يحرص عليه كثيرًا، وذلك لما له من الأهمية، فعلى سبيل المثال التهليل، وهو أن تقول: لاإله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

هذا ما قاله ﷺ وأنت تتأسى به وهو القائل: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»[(٢)]، وكذلك قراءة آية الكرسي دبر كل صلاة لم يحل بينه وبين دخول الجنة إلا الموت،[(٣)] وهكذا يوم أن تسبح ثلاثا وثلاثين وتحمده وتكبره كذلك فإن النبي ﷺ يقول: «**محت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر**»[(٤)]، ولقد ذهب المهاجرون إلى رسول الله فقالوا: فقالوا ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجارت العلا

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٦).
(٢) أخرجه البخاري (٦٠٥).
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٥٣٢) وصححه الألباني.
(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٠٤٢) ومسلم (٢٦٩١).

والنعيم المقيم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم فضل من أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون . قال : « **ألا أحدثكم بأمر إن أخذتم به أدركتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه إلا من عمل مثله ؟، تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثًا وثلاثين**» [١] .

فاختلفنا بيننا فقال بعضنا نسبح ثلاثا وثلاثين ونحمد ثلاثا وثلاثين ونكبر أربعا وثلاثين فرجعت إليه فقال : (**تقول : سبحان الله ، والحمد لله، والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين**) فهذا توجيه من رسول الله لهؤلاء الأصحاب كذلك حديث: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وخير لكم من إنفاق الذهب والورق** ؟ ، قالوا : بلى يا رسول الله، قال: **ذكر الله**» [٢] ، فإذا انتهيت من صلاتك فقد كان ﷺ يعرف انتهاء صلاته بالتكبير، ثم الاستغفار، ثم إن شئت أن تصلي السُّنَّة في المسجد والأولى أن تصليها في بيتك لحديث: «**أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة**»[٣]، فهذا أمر يلفت الأنظار.

أسأل الله تعالى أن يجعلنا هداة مهتدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٨٠٧) ومسلم (١٠٠٦) .
(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧٧) وأحمد (٢٢١٣) وصححه الألباني.
(٣) أخرجه البخاري (٦٨٦٠).

١٦ - أوصاف أهل الإيمان

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[النِّسَاء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر السامعين العقلاء : هذه آية من القرآن العظيم أريد في هذا المقام أن أبين شئًا من معناها، عسى الله أن ينفعنا جميعًا بذلك وهي قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ

﴿زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ [الأنفال: ٢] .

هذه هي أوصاف أهل الإيمان إليكم، يا أهل الإيمان الذين عناهم نبينا ﷺ، حينما جاءت إليه البشارة من قبل أهل اليمن بأنهم دخلوا في دين رب العالمين مستسلمين منقادين آمنوا برسالة رسول الله ﷺ، فعلى إثر ذلك قال نبيكم ﷺ: «**جاءكم أهل اليمن، هم أرق قلوبًا وألين أفئدة ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية**»(١) .

في هذه الآية المباركة يجمع الله فيها ثلاث خلال، وثلاثة أوصاف هي أوصاف لأهل الإيمان ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ فبادئ ذي بدئ يحصر الله هذه الطائفة المباركة ويميزها عن غيرها من الطوائف الأخرى، إنهم أهل الإيمان أهل الصدق والصفا والنقا بقوله جَلَّ وَعَلَا ﴿إِنَّمَا﴾ فهي أداة حصر وقصر، فالأمر محصور ومقصور على هؤلاء ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ أي خافت هذه القلوب حينما تسمع ذكر الله، ليس الحال كحال أهل الشرك الذين عناهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ٤٥﴾ [الزمر: ٤٥] .

هؤلاء لهم شأن آخر فالبون شاسع عظيم، فلا مقارنة بين الطرفين أبدًا فأهل الإيمان إنما يزداد إيمانهم، وتطمئن قلوبهم، وتصلح أحوالهم، وترفرف قلوبهم، يوم أن يسمعوا ذكر الله كما قال ربنا سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ [الرعد: ٢٨] .

هؤلاء هم أهل الإيمان، فلا يمكن أن تطمئن قلوبهم بغير الإيمان وأنى لمؤمن أن يعيش بغير إيمان .

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢١٢٩) ومسلم (٥٩) .

إذا الإيـــمان ضـــاع فـــلا حياة لا دنـيـــا لمـــن لم يحـيـي ديـنًـــا

ومـــن رضي الحـيـــاة بغير دين فقد جعل الفناء لهـــا قرينًا

حياة بلا إيمان، إنها حياة مهددة بالأخطار، مهددة بكل شر يوم أن تفارق حقيقة الإيمان وأهل الدين والملة إنما يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور، فهذه الحياة هي حياة المؤمنين، ويزيد الله أولئك وصفًا ثالثًا إنه يعنيهم ويخصهم بالتوكل، وهذا من كمال الإيمان والتوحيد يوم أن يتوكل المؤمن على ربه، فلا يتشاءم بشهر ولا بأسبوع ولا بعام ولا برجل، ولا امرأة، لا يتشاءم بشيء، بل قد توكل على الله، وهذا حال الأنبياء من قبل حينما كانوا يفوضون أمورهم إلى الله، فهذا نبي الله نوح وقد اجتمع عليه قومه بعد أن دعاهم ألف سُنَّة إلا خمسين عاما، ولم يستجب له من أولئك إلا قرابة ثلاثين نفرًا، واجتمع أولئك الأحزاب يريدون أن يبطشوا به بطشة رجل واحد، فتأمل إلى صاحب التوكل والإيمان والحجة الساطعة كيف أنه صال بذلك على قومه يقول تعالى: ﴿ ۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦ يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي وَتَذۡكِيرِي بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ وَشُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُنۡ أَمۡرُكُمۡ عَلَيۡكُمۡ غُمَّةٗ ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ ﴾ [يونس: ٧١] .

يقول لهم: يا أيها الملأ إن كان كبر عليكم مقامي وضقتم من ذلك الأمر ذرعًا فاتحدوا صفًا واحدًا وأجمعوا موقفًا واحدًا لتكونوا أمامي على كلمة سواء لا اختلاف بينكم ثم اقضوا إلي ولا تنظرون أي صلوا إلي بما شئتم من الشرور فعلل ذلك بقوله: ﴿ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ ﴾[هود: ٥٦] ، وإذا نظرت من نافذة أخرى نظرت إلى سيدنا موسى –عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ–، وقد تكالب عليه بنو إسرائيل، يرأس أولئك فرعون الذي كان أعظم طاغية على مرور التاريخ

يجتمع لهذا العبد الذي اعتصم بالله رب العالمين: ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠١].

مـن يتق الله يحمد في عواقبه	ويكفيه شر من عزوا من هانوا
من استجار بغير الله في فزع	فـإن نـاصره عجز وخـذلان
فالزم يديك بحبل الله معتصماً	فإنه الركن إن خانتك أركان

هذا العبد الضعيف القوي بربه يقول: ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص: ٢٤].

ادعى الربوبية والألوهية وقال لأهل مصر: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤]، يأتي إليه موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- داعية إلى ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- علَّ فرعون أن يراجع حسابه وعمله أن يؤدب مما فيه من الضلال والباطل لكنه ضل عن استكبار وإباء كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤]، فإذا بفرعون يعلن أحوال طوارئه ويتهدد موسى وهارون والمؤمنين الذين مع موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فلم يكن من هؤلاء المؤمنين إلا أن يعلنوا توكلا على الله ليعتصموا ويحتكموا من هذا القائل ومن هذا الضلال العظيم.

يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ ﴾ [طه: ٧١].

ويقول موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لقومه: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [يونس: ٨٥].

ويصمد موسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وكانت النصرة والغلبة له وكانت الهزيمة على

فرعون وقومه يوم أن خالفوا شرع الله وعاقبوا رسول الله ﷺ، وهذا نبي الله هود عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي أرسله الله إلى قوم عاد إلى أولئك القوم الأوغاد الذين أوتوا قوة كانوا ينحتون من الجبال بيوتًا، فارهين ينعمون في هذه الدنيا، ومع ذلك ما حافظوا على نعم الله يرسل الله هودا وإذا بهم يتهددونه ويتوعدونه لكنه توكل على الله كما قال تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٦﴾ [هود: ٥٦] .

وهكذا أحوال الأنبياء جميعًا فهذا شعيب -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يرسل إلى قوم ابتلوا بتطفيف الميزان بالغش في البيوع والمشتريات، فلما جاء يبين لهم أن يقيموا العدل، وأن يقيموا القسط وأن يكونوا مؤتمنين في تعاملهم وفي ديانتهم لكنهم صاحوا في وجهه ساخرين فقال: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ٨٨﴾ [هود: ٨٨] .

وهكذا إبراهيم -عَلَيْهِ السَّلَامُ- يرسل إلى قوم طغاة يعبدون الأصنام يشركون بالله الواحد الأحد، بل كان أقرب الناس إليه أبوه آزر يصنع الأصنام ويصرف العبادة لغير الله ، فيأتي هذا النبي الكريم الذي جعله الله أمة للناس كما قال -سبحانه وتعالى- : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ١٢١﴾ [النحل: ١٢٠- ١٢١] .

صمد أمام أولئك القوم وهي أمة عامرة من قديم الزمان، فيأتيها رجل من قومها معروف بالحسب والنسب، لكن أهل الباطل يحاولون أن لا يقبلوا كلام واحد منهم لا سيما إذا كانوا يعرفون نسبه وإن كان من قومه فإنهم - إلا من رحم الله - يحاولون الهروب من واقع المعركة التي يعيشون فيها، فرفض أولئك القوم دعوة نبي الله إبراهيم- عَلَيْهِ السَّلَامُ- وخليل الرحمن رفضوا دعوته بال إنهم

كادوا كيدًا وحفروا له حفرة في الأرض ورموا فيها الأحطاب وأشعلوا فيها النيران وما استطاعوا الوصول إلى تلك الحفرة من أجل إلقاء إبراهيم لكنهم قذفوه بألة حربية تسمى بالمنجنيق حفاظًا على نفوسهم من لفحة النار ولسعتها يلقون بسيدنا إبراهيم خليل الرحمن الرحيم إلى تلك الحفرة من أجل إحراقه والإجهاز عليه حتى لا يسمعوا من يقول: ربي الله وهذا شأن أهل الباطل.

كم تطلبون لنا عيبًا فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم

وهذا شأن أهل الباطل إنهم يرفضون الدين والصلاح ويحاربون الشعيرة والفضيلة يحاربون الأذان والملة، ويشجعون غيره من الباطل، هذا شأنهم على مدى العصور والأزمان فكان في هذا آية عظيمة، وهذا النبي الكريم وهو يلقي إلى ذلك المكان إنما كان عتماده على الله وتوكله على الله، فيقول في آخر نفس بين هؤلاء يقول: «حسبي الله ونعم الوكيل» ، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «**حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم** -عَلَيْهِ السَّلَامُ- حينما ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حينما قيل له: ﴿ **إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ** ﴿١٧٣﴾ ﴾»[1]، فيرمي بإبراهيم إلى قعر تلك النار فيكون لله -عَزَّ وَجَلَّ- آية كما قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ** ﴿٦٩﴾ **وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ** ﴿٧٠﴾ **وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ** ﴿٧١﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٩-٧١] ، جعل الله أولئك الملأ هم الأسفلين، فيختار الله إبراهيم ويجعله إمامًا لأهل التوحيد قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- : ﴿ ۞ **وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ** ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤] .

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٨٧) .

فيكون إبراهيم-عَلَيْهِ السَّلَامُ- أول من يكسى حلة يوم القيامة، وهو الآن في السماء السابعة متكئ إلى البيت المعمور إلى ذكم البيت الذي أقسم الله به ، فقال: ﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ۝٤ ﴾ [الطور: ٤] .

يتكئ إليه إبراهيم-عَلَيْهِ السَّلَامُ- ليدخله سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إلى يوم الساعة إنها رفعة ومزية لإبراهيم معدن الصدق والإخلاص، ومعدن التوكل والتوحيد وهذه دعوى الأنبياء ﴿ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا ﴾ [الحج: ٧٨] .

وهكذا تنتقل الوراثة إلى نبينا محمد ﷺ ليقول له قوم يمرون بأبي سفيان وقد رجعوا من أحد منتصرين فيما يبدو له، وليست هزيمة لأهل الإسلام، لكنها تربية وآداب لأصحاب رسول الله ﷺ ،ولمن تبع رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة، فيقول أبو سفيان لبعض المارة: إن وصلتم المدينة فقولوا لابن أبي كبشة -احتقارًا لجناب النبي ﷺ - إننا سنصل المدينة لنستأصل بيضتهم(١) ، وكان في المسلمين من القروح والآلام ما الله به عليم.

بارك الله لي ولكم بالقرآن العظيم، وأستغفر الله لي ولكم.

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٩٧٣٧) .

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد عدد ما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون.

عباد الله: اتقوا الله جَلَّ وَعَلَا، واعلموا يا عباد الله أن الكثير من المسلمين ربما فرطوا في جانب التوكل وتفويض الأمر إلى الله فربما اعتقد بعضهم بغيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلربما ظن أن رزقه من فلان أو بسبب فلان أو لولا فلان، وما علم هذا العبد أن تلك هي أمور بيد الله، كما قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [التوبة: ٥١].

عباد الله: هذا نبي الله يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول لأبنائه وكانوا طائفة كثيرة وقد أرسلهم من بدله فلسطين إلى مصر: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغْنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ۝٦٧﴾ [يوسف: ٦٧].

يا عباد الله: المتوكل على الله لا يخاف من انقطاع رزقه، ولا من نفاد أجله ولا إزهاق روحه، فإنه يعلم أن ذلك كله بيد الله، وأن الأمر مفروغ منه، لذا بلغ الإخلاص بنبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن كان يخالف ما كان عليه أهل الجاهلية من قبل فيقول: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**»(١)، وهذه عادات جاهلية يعتقدون بانتقال العدوى وعلى أنها مؤثرة بذاتها، وهكذا يتشاءمون بشهر صفر، وهكذا يتطيرون إذا رأوا رجلًا أعور أو أصلع، أو رأوا رجلًا دميم

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٣٨٠) ومسلم (٢٢٢٠).

المنظر قال: هذا اليوم يوم دبور أو على حد زعمهم، هذه عادات الجاهلية، وهكذا كانوا يزجرون الطير، فإن ذهب يمينًا تفاءلوا وإن ذهب شمالا تشاءموا هذه عادات الجاهلية جاء الإسلام فأبطلها جاء الإسلام فحرر هذا المسلم من أن يكون على عادة الجاهلية فكان الأمر بيد الله لذا يقول نبينا ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[1] ، فعلام تخاف عبد الله ؟ ، من أي شيء تخاف ؟ ، عمرك بيد الله، ورزقك بيده، وحياتك بيده ومماتك بيد الله فأنت تمشي في أرض الله، وتستظل سماء الله، وقد أوجدك الله في أرضه فمن الذي أوجدك وغذاك ورباك بنعمه .

إنه الله -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ ﴾[عبس:٢٤-٣١].

وقال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾[الانفطار: ٨] .

إن مقام المتوكلين مقام رفيع جدًا وإن تمام توكلهم أنهم صاروا مطمئنين مفوضين أمورهم إلى الله يعتقدون أنهم بالله وإلى الله، فالله يتصرف في شئونهم.

توكل على الحمن في الأمر كله ... فما خاب حقًا من عليه توكلا

وكن صابرًا لله واصبر لحكمه ... تفز بالذي ترجوه منه تفضلاً

إياك أن تثق بمخلوق أو تعتقد بمخلوق مثل أولئك الذين يعتقدون بالكهنة

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) وأحمد (٢٦٦٩) .

أو العرافين أو المقبورين، وربما اتكل بعض الناس على الراتب الذي يستلمه أو على ما كان في جيبه وفي خزانته يجب عليك أن تيأس من ذلك وإنما تثق بما عند الله فإن الله يقول: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦]، فنحن الفقراء إلى الله ، والله هو الغني الحميد هو المعطي، وهو الذي لا رادَّ لحكمه ولا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه، اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد، فإن اجتمعوا أهل الأرض على أن يعطوك فلسًا واحدًا، والله لا يريد ذلك فلا يمكن أن يصل إليك شيئًا، وإن اجتمعوا على أن يمنعوك فلسًا واحدًا، والله يريد أن يعطيك، فأمره نافذ وقوله مسموع، وكل من في الأرض في قبضته، وكان من دعاء رسول الله ﷺ: «**اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، إني أعوذ بعزتك، لا إله إلا أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**»(١) .

فمن الذي حمى رسول الله ﷺ يوم الهجرة يوم أن هاجر من مكة إلى المدينة ويخرج مع أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فيدخلون في غار ثور ويأتي المشركون وكانوا قرابة أربعين شابًا، كل واحد يطلب الرسول بسيفه حتى تتوزع الدية بين القبائل، فلا يستطيع بنوهاشم الأخذ بالثأر، فإذا بالله يحمي رسول الله ﷺ ويقف هؤلاء المشركون أمام الغار، يقول أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا رسول الله، والله لو نظر أحدهم إلى شراك نعله لرآنا فيقول له الرسول الله ﷺ: «**يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»(٢)، والحديث في الصحيحين .

وليس صحيحا أن العنكبوت قد نسجت وأن الحمامة قد فرخت والشجر قد ارتفع أمام باب الغار، ولا يمكن فإن هذه القصة ضعيفة وقال كثير من العلماء في سندها وهب بن وهب وهو من الضاعين، وإن كان ذلك فليس بمعجزة فإن الله أراد الإعجاز أن يكون الأمر واضحًا ليكون المانع من الرؤية أمر

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧١٧) .

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤٥٣) ومسلم (٢٣٨١) عن أنس بن مالك .

معنوي ومعجزة كونية، فبيت العنكبوت وبيض الحمام وتفرخها أمور حسية والله إنما أراد أمرًا معنويا وهذا من كمال توكل رسول الله الله ﷺ وهكذا عباد الله يجب علينا أن نكون متوكلين في أمورنا صغيرها وكبيرها دقيقها وجليلها، فأنت في يوم من الدهر سوف تترك هذه الدنيا لمن جاء بعدك من أولادك فكن متوكلا على الله، واثقًا بما عنده - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ - وعليك أن تبتغي ما عنده وأن تفوض الأمر إليه تفويض قلبيًا ليس تفويض لفظيًا كما حال بعض الناس، يقول: هو متوكل على الله، ومع ذلك قد فرط في الصلاة وفرط في الزكاة، وفي أمور الدين، ويقول: هو متوكل على الله التوكل بمعنى التفويض وهو اعتماد القلب على الله أو صدق اعتماده عليه في جلب المنافع ودفع المضار ولا ينافي ذلك الأخذ بالأسباب .

كذلك من الناس من هو بين إفراط وتفريط إما أنه يتوكل توكلا بحيث لا يأخذ بالأسباب، وهذا ليس بتوكل وإنما هو تواكل ليكون عالة على غيره من الناس، والفريق الآخر ربما كان في إفراط شديد لا يتوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويتوكل على السبب والصحيح أن تكون بين هذين الأمرين كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الاعتماد على السبب شرك وترك الأسباب قدح في الشريعة كتوكل غلاة الصوفية، الذين يقول قائلهم وقد أعطي ماء ليشربه: ما أنا بشارب حتى يصعد الماء إلى جوفه، إن هذا محال فقد شرب رسول الله ﷺ وتناول الإناء، وكان زكريا نجارًا وأيوب ونبينا كان تاجرًا، والصديق اشتغل بالتجارة قبل الإسلام وبعد الإسلام، وما من نبي إلا كان محترفًا يأكل من عمل يده، وهكذا أصحاب رسول الله، فلا ينبغي لنا أن نتواكل أو نعتمد على الأسباب، فالمؤمن بين الخوف والرجاء يتوكل بصدق الاعتماد على الله مع الأخذ بالأسباب اليسيرة، فأنت إنما تتسبب والله هو الذي يرزق، وبناء على ذلك فلا ينبغي أن تعمل في الدنيا ليلا ونهارًا فافتح محلك في الصباح فإن

سمعت المؤذن فأغلق محلك لتعلم أن الرزق بيد الله، وليس بكثرة الحرص، وإنما بتوكلك على الله، روى الإمام أحمد في مسنده والترمذي في جامعه من حديث عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت النبي ﷺ يقول: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصًا وتروح بطانًا**» فالطير يغدوا خماصًا أو وهو ضامر البطن جائع في بداية يومه، فما يعود إلا وقد امتلأ بطنه بالطعام فمن الذي غذاه ؟، إنه الله ومن ظن أن الرزق يأتي بقوة ما أكل العصفور شيئًا من النسر .

نسأل الله – عَزَّوَجَلَّ – أن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا ربنا آتنا في الدنيا حسَنة وفي الآخرة حسَنة وقنا عذاب النار ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

١٧ - داء الحسد

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّساء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين:

روى الإمام الترمذي في جامعه من حديث الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ قال: « **دب إليكم داء الأمم، الحسد والبغضاء**

هي الحالقة ، لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين ، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا أ ، فلا أنبئكم بما يثبت ذاكم لكم ؟ ، أفشوا السلام بينكم» (١) .

وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا**» (٢) .

والحسد داء عضال قتال وهو على قسمين:

أما ما سمعتم بعض أوصافه فهو داء محرم وحسد حرام، لأنه تعدي على الخلق وتمني زوال النعمة من بين أيديهم كما ذكر ذلك الجرجاني وغيره.

وأما النوع الثاني: فهو حسد ممدوح وهو أن تتمنى مثل ما للعبد من الخير، إن كان عالمًا تمنيت العلم، وإن كان غنيًا تمنيت الغنى، لما في الصحيحين من حديث ابن مسعود قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا حسد إلا في اثنين**» أي لا حسد حلال ومباح وجائز إلا في هاتين الخصلتين «**رجل آتاه الله علمًا وفي رواية قرآنًا فهو يقوم به آناء الليل والنهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه سرًا وجهرًا**»(٣) ، فهنا يجوز للعبد أن يحسد، لكن هذا يعبر عنه العلماء بأنه حسد الغبطة، أن تغبط أخاك المسلم مع محبتك إياه ومحبتك للخير أن يبقى بين يديه، لكن حديثنا عن القسم الأول الذي يردي بصاحبه ربما يوصله إلى مهاوي الردى، ربما أوصله إلى الكفر أو النفاق أو إلى البغي والظلم ربما وصل بصاحبه إلى القتل والنبي ﷺ يقول: «**لا يزال المرء في فسحة من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا**»(٤) ، ويقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ**

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٠) وأحمد (١٤١٢) وحسنه الألباني.
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٨٤٦) ومسلم (٢٥٦٣) .
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٧٣٨) ومسلم (٨١٥) .
(٤) أخرجه البخاري (٦٤٦٩) .

خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [النساء: ٩٣].

هذا جزاء من قتل مؤمنًا متعمدًا، وقد جعل الله القتل بعد الشرك مباشرة فقال -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[الفرقان: ٦٨- ٧٠].

فالحسد عباد الله متفش في مثل هذه الأيام، وربما أودى بصاحبه يوم أن يستجيب صاحب الحسد للحسد، فيؤثر على صاحبه فلا يستفيق إلا في الأنفاس الأخيرة يوم أن يحكم عليه بالإعدام، أو يوم أن يوصل به إلى السجن، وهكذا إن تأملت في نصوص الكتاب والسُّنَّة لوجدت أمثلة كثيرة تنبئك بذلك، فأول معصية في هذا الكون كانت عن طريق الحسد يوم أن خلق الله آدم ونفخ فيه الروح، وأمر الملائكة أن يسجدوا له إعظامًا وإجلالاً، لكن إبليس لما يوجد في قلبه من الحسد أبي أن يستجيب لرب العالمين، قال: ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾[الإسراء: ٦١].

وفي آية أخرى: ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ﴾ [الأعراف: ١٢] ، حمله الحسد والكبر والعجب فكان من ذلك أن كفر بالله يوم أن رفض أمرًا من أموره، فيلعنه الله لعنة بعيدة بطرده إلى يوم الدين: ﴿ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الحجر: ٣٥].

وأول دم يسفك في الأرض إنما كان عن طريق الحسد في قصة رجلين من إخواننا من أبينا آدم وأمنا حواء عليها الصلاة والسلام، في ما قصة الله في

قوله تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٣٠ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ٣١ ﴾ [المائدة: ٢٧-٣١].

هذا كله حصل بسبب أنهما قربا قربانين قربا شيئًا لله صدقة لوجه الله، وكان من عادة القربان أن يرسل الله نارًا فتأكله ليعلم صاحب القربان أن الله قد تقبل منه فكانت النتيجة أن تقبل الله قربان أحد الاثنين فيغضب الآخر ويحسده، وبعد ذلك تطوع له نفسه في أن يقتل أخاه فقتل أخاه، وبعد ذلك وجد نفسه في غاية من الحرج أين يذهب بهذه الجثة فكان ينقلها من مكان إلى آخر حتى يرسل الله إليه الغراب ليريه كيف يواري هذه الجثة، لذا يقول نبينا ﷺ: «**ليس نفس تقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سنَّ القتل**» هذا هو الحسد تأملوا عباد الله أوصل صاحبه إلى أن يقتل أخاه وفعلاً قتل أخاه وما ذلك إلا عن طريق الحسد والله المستعان.

وهؤلاء جماعة أولاد نبي من الأنبياء طرأ في قلوبهم شيء من الحسد، وقد تاب الله – عَزَّوَجَلَّ– عليهم وهي قصة معروفة من سورة يوسف يوم أن كتب الله الرفعة والعلو والمجد والسؤدد ليوسف ، فقال تعالى : ﴿ إِذۡ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيۡتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوۡكَبٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ ٤ ﴾[يوسف:٤].

وذلك أن يعقوب يدرك أن هذا سوف يكون نبيًا، وإذا علم بذلك إخوانه

ربما يعقوب على أخيهم يوسف وأخيه الأصغر، فماذا كان حال هؤلاءيقول تعالى: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾[يوسف:٩].

هكذا سولت لهم نفوسهم، وسول لهم شيطانهم، فذهبوا إلى أبيهم ويقولون ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[يوسف: ١٢].

فيعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان قد علم شيئًا من الكبر وشيئًا من الحسد، والعياذ بالله لكنه وافق على أن يعطيهم يوسف فكان ما قصه الله – عَزَّوَجَلَّ- ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[يوسف: ١٧].

هكذا : ﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[يوسف: ١٨].

وذلكم أنهم لم يكونوا قتلة، ولم يكونوا خونة، ولم يكونوا آلة هدم وعصيان، ولكنه تسويل الشيطان، بدلائل كثيرة، منها خلعهم لباس يوسف، وما كان الذئب ليخلع القميص ولكنه يمزقه تمزيقًا، ولكن لعدم وقوع هؤلاء في القتل وسفك الدماء ما كادوا لذلك من قبلٍ لأحد قبل يوسف، وإنما حملهم الحسد والله المستعان، فيأتون بالقميص مخيطا كما هو فعلم يعقوب أن هذا تسويل من الشيطان وحفظ الله يوسف بعد أن قرر إخوته أن لا يعيش، أما أخوته فقد أنزلوه في تلك البئر وبقي هنالك أيامًا حتى أصعده رجل بدلوه يخاطب امرأته قال: ﴿ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾[يوسف: ١٩] ، غلام يصعد من بئر ما القصة في ذلك، وما الذي حمل الإخوان على ذلك، إنه داء الحسد يا عباد الله ، وهل مات يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من صنيع هؤلاء، أو ضيعه الله بل أصبح عزيزًا على أهل

مصر، وفي آخر المطاف بعد أن ولاه الله رقاب المصريين وخزائن مصر بأسرها، يأتي إليه إخوته ما كانوا يظنون أن يوسف ما زال على قيد الحياة، لكنه عرفهم معرفة دقيقة عرف أنهم إخوته، وأنهم كادوا له كيدًا أما هم فلم يعرفوه إطلاقًا وكان ما كان ما قصه الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - في هذه السورة المباركة وهكذا يا عباد الله ما حصل من اليهود والنصارى وحسدهم لهذه الأمة ونبي هذه الأمة إلا أن النبوة والرسالة غادرت بني إسرائيل فكانت في العرب الأميين فحينئذ وجدوا في نفوسهم، يقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ [البقرة: ١٠٥].

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ [البقرة: ١٠٩].

فاليهود والنصارى يجدون في أنفسهم علينا وليسوا راضين عنا، ولا عن نبينا، ولا عن شريعتنا، حتى نكون إما يهودًا أو نصارى كما قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ﴾ [البقرة: ١٢٠].

فما زال حسدهم إلى يومنا هذا، يحسدون المسلمين، وبلاد المسلمين، ومقدسات المسلمين وخيرات المسلمين، على مستوى أنهم يحسدون السلام عند المؤمنين، ويحسدون التأمين في صلوات المؤمنين، لقوله ﷺ: «**ما حسدتكم اليهود على شيء على السلام والتأمين**» (١)، إلى هذا المستوى ولكن الله -عَزَّوَجَلَّ- له في خلقه شؤون، فكان من الله -عَزَّوَجَلَّ- جزاء اليهود والنصارى أن لعنهم

(١) أخرجه ابن ماجه (٨٥٦) والبخاري في الأدب (٩٨٨) وصححه الألباني.

الله لعنة عظيمة يوم أن كانوا يهودًا ويوم أن كانوا نصارى، إلا أن يستجيبوا لشرع الله ولدين رسول الله ﷺ لقوله ﷺ: «**ما يسمع بي يهودي ولا نصراني من هذه الأمة ، ثم يموت يوم يموت ولم يؤمن بي، إلَّا كان من أصحاب النار**»(١)، فاليهود والنصارى مطالبون أن يتابعوا نبينا فكونهم يتبعون عيسى أو موسى فليس ذلك بمقبول أبدًا فدين نبينا ناسخ لجميع الأديان شريعة رسولنا ناسخة لكل الشرائع، وفي آخر الزمان نبينا ﷺ يخبر بنزول عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ففي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا «**لينزلن عيسى بن مريم حكمًا مقسطًا، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية**» (٢) ، هذا في آخر الزمان، ويحكم الناس بشريع محمد ﷺ فأين تعلق النصارى بعيسى بن مريم وفي آخر الزمان يبدأ بقتل الخنزير، ثم يكسر الصليب الذي هو معظم عند النصارى، وما علمن أمة تفتخر بقتل نبيها غير النصارى الذين يفتخرون بالصليب الذي كان تعليق شبه عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه على أنهم يعتقدون أن المسيح علق بذلك الصليب، فلذلك يرسمون التصاليب ويكثرون من رسمها ومن نحتها بل ربما استعملوها بالحديد والأسمنت وغيرها، وربما جعلوها من مفاخر الليالي والأيام وهذا يدل على غباوة وبلادة فيهم لكنه في آخر الزمان يكسر هذا الصليب الذي عظمه النصارى وذلك توبيخًا وتأنيبًا لهذا الصنف من الناس، أعني بذلك النصارى وهكذا اليهود ما كان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليشاركهم قضيتهم وقد قال ﷺ: «**أمتهوك أنت يا ابن الخطاب، لقد جئتكم بها بيضاء نقية، والله لو كان موسى بن عمران حيًّا لما وسعه إلا أن يتبعني**»(٣) .

فأوصل الحسد اليهود والنصارى إلى أن كادوا للمسلمين ومكروا بهم مكر الليل والنهار فهم الذين يزرعون الويلات وهم الذين يصنعون كل ما يعكس

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٣٣) .
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢١٠٩) ومسلم (١٥٥) .
(٣) أخرجه أحمد (١٥١٩٥) وصححه الألباني في الإرواء (٦/ ٣٤).

فطر المسلمين وكل مايؤذي أخلاق المسلمين إن دل ذلك على شيء فإنما يدل على حسد في قلوب هؤلاء وهكذا حسد المشركون نبينا ﷺ على القرآن وعلى الخير قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ ﴾[الزخرف: ٣١] ، وذلك أن أبا جهل وأبا لهب وهم من القرشيين كانوا يتصورون تصورًا غير هذا يقولون إن كان هذا ملك وعزة فلماذا ينزل على هذا الرجل الضعيف الفقير ؟، لماذا لا ينزل على غني من الأغنياء ؟، إما رجلًا من مكة أو من الطائف فبين الله – عَزَّوَجَلَّ– أن هذه رحمة يختص بها من يشاء.

قال تعالى: ﴿ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢ ﴾ [الزخرف: ٣٢] .

فبين الله شيئًا من حسد القرشيين وحسد الوثنيين، الحسد يا عباد الله ربما أوصل صاحبه إلى النفاق، فكان منافقًا ولنا مثال واضح في رئيس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول رأس من رؤوس النفاق بعد أن كان الأوس والخزرج، يريدون أن يتوجوه ليكون ملكا على يثرب بأسرها على الأوس والخزرج فلما أن قدم النبي ﷺ من مكة وأعلن دولته وانقاد له الناس، فوجد هذا الرجل في نفسه وظن في نفسه أنها بساط سحبت من تحته أو تاج أخذ من على رأسه، مع أن القضية قضية نبوة وقضية رسالة استجابة لأمر الله، ولكن هكذا الحسد يزرع في قلوب أصحابه، فظل الرجل كافرًا وما استجاب للإسلام إلا بعد غزوة بدر يوم أن نصر الله المؤمنين وقتلوا سبعين من الكافرين، ورجعوا بغنائم كثيرة، ظن أن القضية قضية دنيا وزعامة وأموال وغنائم فدخل في الإسلام نفاقا وغرورًا، وما كان عن اقناع، وذلك ليضرب الإسلام من داخله ولكن الله حائل بينه وبين دينه وكان نبينًا ﷺ يعلم أنه من المنافقين وأن معه ثلاثة عشر رجلا لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها ما الذي حمل هذا الإنسان على أن يكون بهذه

الصورة إنه الحسد يا عباد الله،فالحسد داء عضال يفتك بكثير من المسلمين ربما بدأ من أمر يسير ربما تحاسد رجلان من أجل امرأة كل واحد يريدها له وهي لا زالت في بيت أبيها، فكل رجل يريد اصطفاءها فإذا ما حظي بها أحدهما ظل الآخر له حاسدًا، فيتربص به فربما قتله -وهكذا بعض المسلمين- لأمر حقير تجارة أو شراكة في أمر من أمور الدنيا، وبعد ذلك يوصله إلى ما لا تحمد عقباه، وهكذا ما حصل قبل أيام في قصة رجلين أبناء عم أحدهما صار متفوقا ناجحا في آخر العام، والآخر خسر، وكان راسبًا، فهذا الراسب جاء بعصابة من أجل أن يقتل ابن عمه، هذا لماذا حظي بالنجاح والشهادة، وكان عاقبته هو إلى الرسوب هذا داء الحسد، وهكذا بعض المسلمين ربما حسد جاره لأمر من الأمور، وهكذا على مستوى النساء ربما تحسد جارتها أو صاحبتها لأمر تافه حقير، وعلينا أ، نعلم جميعًا أن الفضل بيد الله، وأن الرزق بيد الله، والغنى والرفعة إنما هو بيد الله، وليس بيد أحد من البشر، فلا يجوز لأحد أن يحسد مسلما على خير وهبه الله وإنما سل ربك أن يعطيك من فضله.

يقول -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العظيم ﴾ [البقرة: ١٠٥] ، ويقول: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر: ٢١] ، فإذا كان العبد حاسدًا فليعلم أنه من يحادد الله ويحارب الله، ويتهمه، بالظلم وبالمجاملة، يوم أن يرى نعمة على أخيه الشفيق يرى عليه نعمة فيقول لماذا أعطى النعمة وأنا أكبر منه سنًّا وأكثر منه خبرة .

الخطبة الثانية:

الحمد لله، وصل الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه:

عباد الله: لا يستطيع أحد أن يحرس نفسه من الحاسدين، ومن عيون الحساد ومن أعدائه إلا أن يعتصم بالله سبحانه ةتعالى، فهناك أسباب كثيرة يستطيع العبد أن يحمي ذريته، وأن يحمي بها نفسه، وأولاده، وأمواله، وكل ما يلزمه وذلك بأربعة أمور:

من هذه الأمور: التوكل على الله - عَزَّوَجَلَّ- يقول سبحانه: ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ** ﴾ [الطلاق: ٣] .

أول هذه الأمور: تقوى الله سبحانه والصبر على الحاسد يقول الله في كتابه الكريم: ﴿ **وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾** ﴾ [آل عمران: ١٢٠] .

ثالثًا: التحصينات الشرعية: أذكار الصباح والمساء وأذكار النوم فإن الله تعالى يقول : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾** ﴾ [الأعراف:٢٠١- ٢٠٢] .

فالعبد التقي الذي لزم ذكر الله، وداوم عليه صباحًا ومساءً فهذه الأذكار حصن وسد مانع، وحاجز قوي، لا يستطيع العائن أو الحاسد ولا يستطيع عدوك أن يخترقها إطلاقًا، هذا حديث واحد من أحاديث أذكار الصباح والمساء ، حديث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواه ابن ماجه يقول نبينا ﷺ: «**من قال ثلاث مرات بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو**

السميع العليم لا يضره شيء» [١] ، هذا حديث واحد وهناك قرابة عشرين حديثًا في أذكار الصباح والمساء وكذلك أيضًا قراءة الإخلاص والمعوذتين، هذه الأذكار وهذه التحصينات هي التي يدفع الله - عَزَّوَجَلَّ- بها عنك الحسد وعيون الحساد وشرور الحاسدين، إنها يدفعها الله ببركة هذا الدعاء.

رابعًا: الإخلاص والإقبال على الله فلا تهتم بمن كاد لك، أو حاك لك فأقبل على الله تبارك وتعالى وذلك في أن تترك الذنوب والمعاصي فذنبك ومعصيتك أخطر عليك من الحاسد وأخطر عليك من اليهود والنصارى، هذا رجل من الصالحين جاء إليه رجل إلى جوار بابه فتكلم عليه، وأهانه، وقال له صاحب الدار: مهلا يا أخي أدخل البيت ثم اخرج سريعا، فدخل الرجل وتوضأ وصلى ركعتين وناب وأناب وأقلع ثم خرج إلى الرجل فقال: ما الذي أدخلك قال: ارتكبت ذنبافعلمتأن الله سلطك علي بذنبي، فدخلت فتبت إلى الله من هذا الذنب، فالذنوب والمعاصي يا عباد الله كفيلة بتمزيقنا وبتخريبنا وكفيلة بأن تجعلنا فريسة للمشعوذين وللحساد ولأصحاب العيون الخبيثة .

تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي ... درج الجنان وطيب عيش العابد

ونسيت أن الله أخـــرج آدمـا ... منها إلى الدنيا بذنب واحد

فالذنوب يا عباد الله وجب علينا أن نهجرها، فإنها سبب رئيسي وعامل قوي في تخريب الأسر والشعوب والمجتمعات ، فالذنوب والمعاصي وجب علينا أن نتخلى عنها، يقول ﷺ: «**إذا رأيت الله يعطي العبد وهو مقيم على الذنوب والمعاصي، فإنما هو استدراج**» [٢] ، ثم قرأ قوله سبحانه: ﴿ **فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا**

---

(١) أخرجه ابن حبان (٨٥٢) و أحمد (٥٢٨). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٢٦)
(٢) أخرجه أحمد (١٧٣٤٩) والطبراني (٩٢٧٢) وصححه الألباني في الصحيحة (٤١٤).

أَخَذْنَهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنعام: ٤٤].

كذلك أيضًا لا تنسى الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم في مدخلك ومخرجك وعند قراءة القرآن وكذلك التسمية هي أصل في كل الأمور أن تسمي الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى– .

نسأل الله أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلا، فيرزقنا اجتنابه، اللهم لا تدع لنا ذنبا إلا غفرته، ربنا آتنا في الدنيا حسَنة وفي الآخرة حسَنة وقنا عذاب النار.

١٨ - حقوق النبي ﷺ

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين:

يمتن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بنعمته العظيمة يوم أن بعث إلى بني الإنسان سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين وخليله النبي الكريم أعني بذلك

محمدًا ﷺ، فهو الذي بعثه الله على حين فترة من الرسل من أجل أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن دياجير الجهل والظلمات إلى مقالب الخير والسعادة لبني الإنسان في هذه الدنيا والآخرة، فيقول -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

يعني بذلك من العرب إنه امتنان يمتن الله به أعظم من امتنان الطعام والشراب والهواء إنه حياة الدارين، فيقول ربنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ لقد كان العرب قبل البعثة النبوية يعيشون في ألوان من الضلالات في كل شؤون حياتهم يعيشون حياة فوضوية، نظر الله إلى أهل الأرض في ذلك الزمان، فمقت كل ذلك ما كان من المعاملات وما كان من العبادات، فعلم الله أنه لا صلاح لهم ولا صلاح للدنيا والآخرة إلا ببعثة هذا النبي الكريم.

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سراة إذا جهالهم سادوا

فبعث الله عبدًا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأجريت له كثير من المقامات استعدادًا للمواجهة شرح الله له صدره بأن أرسل إليه جبريل، وهو يلعب مع الغلمان فصرعه فشق صدره ثم أخرج قلبه فغسله داخل طست من ذهب وحشاه حكمة وإيمانًا وغسله بماء زمزم [(١)]، ثم ما كان بعد ذلك من العفة الأمانة والعصمة ما عرف به سيد الأولين والآخرين، قبل البعثة، فكان هو الملقب بالصادق الأمين، ثم بعد ذلك كان له الإسراء والمعراج وكثير

(١) أخرجه مسلم (١/ ٩٢).

من الخوارق، هذا إن دل على شيء، إنما يدل على عظمة هذا الرجل، وأن الله اصطفاه لأمر عظيم لرسالة عالمية ليس للعرب وحدهم وإنما للأمم بأسرها، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، فأي حكم من أحكام الشريعة هو رحمة للعالمين واجبًا أو محرمًا إن كان من الواجبات فهو رحمة وإن كان من المحرمات فهو رحمة، وإن كان العبد يجد قليلًا أو كثيرًا من الآلام لكن ذلك من رحمة الله بهؤلاء العباد أن جعلهم من أمة هذا النبي الكريم .

ومما زادني شرفا وفخرًا وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي وأن صيرت أحمد لي نبيًا

كذا كان حال الناس قبل الإسلام، ثم بعد الرسالة العالمية أصلح الله أحوالهم وزكى الله قلوبهم وجمعهم على قلب رجل واحد .

أتطلبون من المختار معجزة يكفيه شعب من الأموات أحياء

أحياهم الله وصاغهم الإسلام صياغة فكانوا معدن الصدق، ومعدن الإخلاص البذل والتضحية تأمل في قاموس أصحاب رسول الله، تروا أنهم ضربوا أروع الأمثلة في كل الميادين أعني ميادين الخير وذلك إن دل فإنما يدل على حسن التربية والقيادة .

كن كالصحابة في زهد وفي ورع القوم هم ما لهم في الناس أشباه
عباد ليل إذا جن الظلام بهم كم عابد دمعه في الخد أجراه
وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم هبوا إلى الموت يستجدون لقياه

هذا النبي ﷺ أحيا الله به الأمم، وأسعد الله به أهل الدنيا والآخرة فكان نبيًا

رسولًا رحمة للعالمين ختم به الرسالة وأيده بكثير من المعجزات وأعظم معجزة القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وضمن الله لمن اتبعه أن يسعد في الدارين، وتوعد الله من خالفه أن يكون شقيًا في الدارين فقال سبحانه: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه:١٢٣- ١٢٦] .

ومعنى نسيتها: أي تركتها فأنت تترك يوم القيامة لا يُبالَي بك أبدًا لأنك نسيت أمر الرسول، ونسيت دين الرسول، ولم تجعل الرسول قدوة وقيادة هذا النبي الكريم عرف حقه كثير من الجمادات أعني بذلك الجماد الذي لا ينطق،

روى الإمام مسلم في صحيحه أن نبينا ﷺ قال: «**إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي أعرفه الآن**»[(١)] ، إذا مر الرسول بجوار الحجر قال: السلام عليك يا رسول الله، وجاء في صحيح البخاري « **أن الرسول** ﷺ **كان يأكل الطعام والطعام يسبح بحمد الله** » [(٢)]، والحصى تكون في يده فتسبح بحمد الله، وجاء في صحيح البخاري ومسلم أنه ﷺ كان يقوم يوم الجمعة يعظ الناس بجانب جذع من شجر فجاءت امرأة أنصارية وقالت: أصنع لك منبرًا يا رسول الله قال: اصنعي منبرًا، فترك الجذع واتجه إلى المنبر، فلما رقى الرسول ﷺ على المنبر حن الجذع حنين الصبي وبكى بكاء الصبي المطفوح من ضرب أو غيره فينزل الرسول ﷺ فيسكنه فيقول: إنه حن لما كان يسمع من الذكر [(٣)]، وهكذا على مستوى الحيوانات المفترسة تعرف حق نبينا ﷺ روى البخاري في صحيحه أن راعيًا كان يرعى الأغنام خارج المدينة النبوية فوجد ذئبا عدى

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٧٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٨٢) .

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٩٨٩) ومسلم (٥٤٤) .

على شاة من أغنامه فانتزعها بقوة فتكلم الذئب بلسان فصيح قال: تأخذ رزقًا ساقه الله إلى، فقال الراعي: عجبا من ذئب يتكلم فقال الذئب: أعجب من ذلك محمد ﷺ بين الحرتين يخبر الناس بأخبار الدنيا والآخرة ثم يأخذ الراعي أغنامه فيضعها في زاوية من زوايا المدينة، وهي ربما تفوق الألوف من الأعداد ثم يأتي إلى الرسول فيخبره فيجمع الرسول الصحابة ثم يخبر الأعرابي بما سمع فقال رسول الله: إنها أمارة من أمارت الساعة [١]، ويصعد الرسول ﷺ مرة على جبل أُحد فقال: أحد جبل يحبنا نحبه[٢]، على مستوى الجبال وعلى مستوى الجمال، يأتي جمل فيسجد بين يدي رسول الله ﷺ فيقول الصحابة: نحن أحق بالسجود منه يا رسول الله، فقال ﷺ: لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها [٣]، فكانت هذه الحيوانات تعرف حق نبينا محمد ﷺ وعند الكفار من كان يقرأ كتبهم في التوراة أو الإنجيل، فيجد صفة محمد ﷺ ثم بعد ذلك لا يمنعهم من الإسلام إلا ما كان لهم من المكانة بين الناس، أسمعوا إلى هذه القصة العجيبة التي رواها الإمام البخاري في صحيحه في مقدمة الصحيح أعني في كتاب الوحي لما ذهب أبو سفيان قبل أن يسلم إلى ملك الروم إلى هرقل ملك الروم مع جماعة من التجار ثم قال هرقل وكان ينظر في النجوم قال: انظروا إلى هؤلاء الذين جاءوا من جزيرة العرب وقدموا إلي أقرب الناس نسبًا بهذا الذي يزعم أنه نبي، فلما تقدم أبو سفيان جعل أصحابه خلفه وقال لترجمانه: قل له: سوف أسألك فإن كذب، كذبه أصحابه، فكان يسأل أبا سفيان وهو لا زال على الشرك لكنه بعد ذلك أسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيسأله عن نسب النبي ﷺ، وعن أمانته ويسأله أيضًا عما كان بينه وبين قريش سأله عدة سؤلات، ثم بعد أن أجاب إجابات صحيحة

(١) أخرجه أحمد (٨٠٤٩).
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٧٣٢) ومسلم (١٣٩٣).
(٣) سبق تخريجه.

قال هرقل: إن كان ما تقوله حقًا فسوف يملك ما تحت قدمي هاتين، فيقول أبو سفيان مع أصحابه: لقد أمر أمر ابن أبي كبشة عند ملك بني الأصفر، فصار يخافهم ملك بني الأصفر ثم قال هرقل: ولو كنت أمامه لمسحت الغبار عن رجليه، ثم جمع القساوسة وقال لهم: يا قوم أدعوكم إلى خيري الدنيا والآخرة، فتنافر أولئك القوم، وخاروا خوار الحمير، ونفروا أشد نفرة من الثيران في زريبتها، فقال لهم: إنما أردت أن أنظر عظم دينكم في أنفسكم [(١)]، ولم يسلم هرقل إبقاء لسيادته ومكانته، وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[النمل: ١٤].

وكان أمر هذا النبي سائرًا ذائعًا مشهورًا معروفًا، والفضل ما شهدت به الأعداء شهد له الملأ كله بأنه سيد الأولين والآخرين وأنه خليل رب العالمين، وأنه أفضل بني آدم ولا فخر إنه محمد بن عبد الله ﷺ، يا عباد الله لا غنى لنا عن نبينا ولا غنى لنا عن ذكر نبينا، وعن الدفاع عن عرض نبينا وعن جناب نبينا فهو العبد الذي علق الله به فلاح الأمة في الدنيا والآخرة، بمبايعته فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[الأنفال: ٢٤].

فأف لمن لا يعرف قدر نبينا، وأف لمن كانت الحيات والحيوانات والجمادات أعظم معرفة منه بحق نبينا محمد ﷺ، فإذا جمع الله الأولين والآخرين احتاج الناس إلى هذا النبي، لقد كان النبي ﷺ حريصًا على أمته في الدنيا، وهكذا كان حريصا عليهم في الآخرة، سوف تسمعون ما شاء الله من ذلك في الخطبة الثانية إن شاء الله.

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم واستغفر الله لي ولكم.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣).

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيد الأولين والآخرين، من بعثه الله رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين، اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد .

معاشر المؤمنين:

يقول المولى تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التوبة: ١٢٨].

فلقد كان نبينا حريصا علينا كل الحرص في هذه الدنيا، لقد أدى الأمانة، وبلغ الرسالة وجاهد في الله حق جهاده، لقد أبلغ ولقد كان مثالا عظيماً في تأدية الرسالة العالمية لبني الإنسان، لقد أدى ذلك كله، وشهد الله - عَزَّوَجَلَّ- له بذلك وشهد له أصحابه الكرام في مجمع من مجامع الخير يوم عرفة، حينما خطب الناس في تلك البلاد المقدسة ثم قال:**(اللهم هل بلغت، اللهم فاشهد)** فشهد له أكثر من مائة ألف مسلم من الصحابة الكرام الأجلاء الذين حجوا معه ﷺ فأكمل الله به الدين،فقال سبحانه:﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

هذا حرص نبينا ﷺ فما ترك من خير إلا دلنا عليه، وما ترك من باب شر إلا حذرنا منه، فأمر ﷺ بمكارم الأخلاق، وحذر من سفاسفها فأرنا وحثنا على كل خير، ورغبنا في كل خير، ونهانا عن كل ما يضر بنا أو بديننا أو بأجسامنا

في هذه الدنيا والآخرة، وإن الناس إذا اجتمعوا يوم القيامة وهم في عرصات القيامة وقد دنت الشمس من الخلائق قدر ميل وبلغ ما بلغ فيهم من الكرب إنهم يبحثون عمن يشفع لهم إلى الله، من أجل أن يريحهم من عرصات القيامة ومن طول العرض على ربنا جَلَّوَعَلَا فيذهبون بأسرهم الأولون والآخرون إلى آدم أبي البشر يقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته، ونفخ فيك من روحه، اشفع لنا إلى ربك يقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن أكل من الشجرة، فأكلت، نفسي نفسي انظروا غيري اذهبوا إلى نوح أول رسول إلى أهل الأرض، فيأتون نوحًا فيعتذر، ثم يحيلهم نوح على إبراهيم فيعتذر، فيحيلهم على موسى، فيقدم اعتذارًا ثم يحيله على عيسى بن مريم، فيعتذر فيحيلهم على عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يحيل على محمد ﷺ فيقول: أنا لها يقول: هو لها، أي لذلك الموقف العظيم لذلك يقول الله : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، هذا هو المقام المحمود فإذا ما جاءت الخلائق باحثة عن الشفاعة، يقول: هو لها فيخر تحت العرش ساجدًا فيحمد الله بمحامد لم يكن يعلمها من قبل، يعلمه الله بثناء ودعاء يثني به على الرب سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ فيقول الله: «**يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع يقول: يا رب أمتي أمتي**» [(١)] .

هذا حال نبينا في الآخرة، إنه حريص كل الحرص على أمته أمة الدعوة وأمة الإجابة إنه حريص أيضًا على اليهود والنصارى الذين تكلموا في عرضه وأساءوا إليه، يحرص عليهم لأن الأمة أمتين أمة الدعوة وهي اليهود والنصارى وأمة الإجابة وهي الأمة المحمدية المرحومة و أمة الدعوة مأمورون أن يتابعوا نبينا ﷺ لأنه أرسله الله رحمة للعالمين، بل أرسله الله للإنس والجن، الجن كانوا يحتكمون بين يديه ﷺ.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٤٣٥) ومسلم (١٩٤) .

عباد الله : يا من بعث إليكم محمدًا ﷺ بشيرًا ونذيرًا وداعيًا بإذنه إلى صراط مستقيم، هذا نبيكم ﷺ يدعوكم إلى كل خير ويحذركم من كل شر فمن اقترف على نفسه من السوء فإنما قد أضر بنفسه فما من خير تريده إلا قد ترك الرسول لك فيه أمرًا، وما من أمر فيه شر إلا وقد حذرنا منه قال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مات نبينا وما طائر يطير بجناحيه بين السماء والأرض إلا ذكر لنا منه علماً»(١).

وإن من حقوق نبينا ﷺ أن نغار عليه وأن ندفع عن عرضه إذ يقول: «**من دفع عن عرض أخيه المسلم دفع الله وجهه عن النار**»(٢).

يا أمة محمد : عرض نبينا ودين نبينا ومقام نبينا نال منه اليهود والنصارى، ونال منه الشيوعيون والحاقدون على هذا الدين، وما كان ذلك من فراغ، وإنما من ضغطة إسلامية عرفوها وعلموها وعايشوها في بلادهم، فكان الرد على المسلمين أن ينشروا صورًا أساءت إلى مقام نبينا رسموا رسول الله ﷺ بصور مزرية جدًا وأنه آلة فتنة أو أنه رجل شهواني أو أنه يعيش كما يعبرون عنه حياة إرهابية لا يعرف إلا التدمير، وحاشاه أن يكون كذلك لقد كان ﷺ رحمة للعالمين قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ١٥٩** ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

نشر الإسلام بكل هدوء وبكل رحمة جاء أعرابي فانتفض من مقام رسول الله ﷺ قال: لم تنتفض هذا الانتفاض(٣)، وبلغ من تواضعه أن كانت الجارية الصغيرة تمسك بيده ﷺ(٤) أي رئيس أو وزير يسمح لجارية من الجواري أن تقترب منه أو لرجل عادي، وهذا أرفع من الرؤساء بل لا مقارنة .

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) أخرجه أحمد (٢٧٥٨٣) والترمذي (١٩٣١) وصححه الألباني.
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٩٨٠) ومسلم (١٠٥٧) .
(٤) أخرجه البخاري (٥٧٢٤).

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قلت إن السيف أمضى من العصا

لا مقارنة فهو العبد المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو الذي جعله الله سراجًا منيرًا، وأيده الله بخوارق العادات ﷺ فوجب على المسلمين أن يغاروا على دينهم وعلى عرض نبيهم إن من المسلمين من إذا سُبَّ أبوه أو أمه لوجد في ذلك تغيظًا، فما بالك وقد سُبَّ نبيك يا عبد الله فكن متمعرًا في وجهك وفي صدرك وفي قلبك ومستنكرًا حتى يكون لك قدر عند الله وعند رسول الله ﷺ وإن كثيرًا من العلماء قد ذهبوا إلى مقاطعة بعض السلع والمنتجات التي تصنعها بعض تلك الدول فوجب على المسلمين أن ينكوا بأعدائهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا على أن لهم أساليب خداعة ولهم أيضًا شعارات براقة فربما غيروا بعض الشعارات أو أسماء بعض الصناعات وروجوها في بلاد المسلمين لكن هذا الذي يستطيع له المسلمون لأننا في زمان اختلط فيه الحابل بالنابل كما يقال، وإنا نعيش فوضة صحافية لا سيما في بلاد الكفار فهم ينشرون ما أرادوا ويقرون ما أرادوا لكن على المسلمين أن يعلموا أنه لا حياة بدون رسول الله ﷺ ، ولا بقاء لهم في الدنيا إذا لم يكونوا متمسكين بهدي رسول الله ﷺ .

ظن النجاة بغير دين محمد تبا له من ذلك الظن الردي

العز بالإسلام يا دنيا اسمعي والنصر معقود بمبدأ أحمد

من حاد عن نهج الكتاب لا خير فيه وبالمذلة مقتدي

أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا هداة مهتدين وأن يرينا الحق حقًا فيرزقنا اتباعه والباطل باطلا فيرزقنا اجتنابه.

١٩ - حقوق النبي ﷺ

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[النِّساء:١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إن البرية يوم مبعث أحمد نظر الإله لها فبدل حالها

بل كرم الإنسان حين اختار من خير البرية نجمها وهلالها

لبس المـرقـع وهــو قـائـد أمة　　جبت الكنوز فكسرت أغلالها
لمـا رآهـــا الله تمـــشي نـحـوه　　لا تنتظر إلا رضـاه سعي لها

موضوع خطبتنا في هذه الجمعة من حقوق نبينا ﷺ رسول الله الذي بعثه الله رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين، أنار به عقول البشرية وزلزل به كيان الوثنية فكانت أمته أمة عريقة ذات رسالة عالمية فاقت رسالته كل الرسالات وفاقت ذاته كل الذوات من الأنبياء والمرسلين اصطفاه رب العالمين من بين البشر ليكون قدوة وقيادة للأمة، فكان هو القدوة الذي ارتضاه الله للناس أجمعين فقال -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب: ٢١].

والمراد بالأسوة أي أنه قدوة يتابع فهو صاحب القرآن وصاحب الخلق العظيم، قال -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

سأل سعد بن هشام أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن أخلاق النبي ﷺ فقالت: «**كان خُلُقه القرآن**»(١) ، وكفاه الله - عَزَّ وَجَلَّ- بالمنة امتن بها على المؤمنين بعد أن كانوا يعيشون ألوانًا من الضلالات والجهالات.

فقال -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ **لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

لقد كان العرب قبل الإسلام يعيشون ضلالا هو في منتهى الظلام في أمورهم وحياتهم لا فرق بين قليل وكثير ولا فرق بين صغير وكبير، يعيشون في ضلال عام شامل في أرقى أمورهم وأدناها، فكانت المنة ببعثة هذا النبي الكريم زكى الله بها تلك القلوب فصاغت تلك التزكية ذلك المجتمع صياغة

(١) أخرجه مسلم (٧٤٦) .

عظيمة فكان فيهم الزهاد والعباد وكان فيهم الصدق والإخلاص لقد ضربوا أروع الأمثلة في ميادين الخير كلها

كن كالصحابة في زهد وفي ورع … القوم هم ما لهم في الناس أشباه

عباد ليل إذا جن الظلام بهم … كم عابد دمعه في الخد أجراه

وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم … هبوا إلى الموت يستجدون لقياه

فمن أين أخذوا تلك العزة؟ أمن الدنيا؟ كلا والله وإنما أخذوا ذلك كله من هذا الدين ومن رسول رب العالمين ارتضعوا تلك الأخلاق والقيم والذل والتضحية، فإن دل ذلك فإنما يدل على عظم تلك التربية فما من عظيم إلا وله مرب عظيم، فكان الأصحاب هم معدن الصدق والإخلاص والبذل والتضحية يوم أن قال قائلهم:

نحن الذين بايعوا محمدًا … على الجهاد ما بقينا أبدًا

ويوم أن قال قائلهم: «والله يا رسول الله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾»[1] .

ويخرج أحد هؤلاء يسمى بخبيب الأنصاري من قدماء الصحابة، استأسره بعض المشركين وأخرجوه إلى رمضاء مكة من أجل أن يضربوا عنقه، فقال لهم: دعوني أصلي ركعتين فقالوا: صل ما شئت ، فلما انتهى من صلاته قال:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا … على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ … يبارك على أوصال شلو ممزع

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا … قبائلهم من كل حدب ومجمع

---

(١) أخرجه البخاري (٣٧٣٦).

إلى الله أشكو غربتي بعد كربتي وإلى الرحمن أوبي ومرجعي

فظن المشركون أنه يعيش في جبن وخوف وخوروبكاء على هذه الدنيا، فيقول له أبو سفيان، وكان لا زال على الشرك وأسلم بعدها أبو سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا خبيب أتحب أن يكون محمدًا مكانك لتضرب عنقه وتكون أنت في أهلك وأولادك ؟، قال: كلا والله لا أحب أن يشاك محمد بشوكة، وأكون في أهلي وولدي [(١)] ، فمن أين جاءت هذه التربية، إنما ربوا على منهج الحق والاستقامة ، وعلم الأصحاب أن عزتهم وكرامتهم ما نالوها إلا عن طريق محمد ﷺ، فهو صاحب الخُلُق العظيم وهو الواسطة بيننا وبين الله وهو الشفيع لنا عند الله زكى الله صدره وزكى جليسه فقال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤** ﴾ [الشرح:١- ٤] ، وقال: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤** ﴾ [النجم: ٣-٤] .

فهذا النبي الكريم ﷺ بعثه الله لقيادة هذه الأمة، وأن من أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار [(٢)]، قال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ **وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟** ﴾ وقال سبحانه : ﴿ **وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، حقوق نبينا ﷺ كثيرة، وقد عرف حق نبينا الحجر والشجر والحيوان وعلم الجن يعرف حق محمد ﷺ ، جاء في صحيح مسلم من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال ﷺ: «**إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي أعرفه الآن**»[(٣)] ، ودعت امرأة يهودية رسول الله للطعام وسألت هذه اليهودية أي شيء من اللحم يعجبه ؟، فقالوا لها: الذراع ذراع الشاة فرشت سمومًا على الشاة وزيدت سموما على

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٨٠).
(٢) أخرجه البخاري (٦٨٥١) بلفظ: (من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى).
(٣) سبق تخريجه .

الذراع فبينما هو يأكل إذ نطق الذراع بلسان فصيح وقال: إني مسموم يا رسول الله [١]، و يأتي جمل فيسجد بين يدي رسول الله ﷺ ويعلم الله نبيه حال الجمل وأنه يشتكي أصحابه فقال: «**اتقوا الله في هذه البهيمة**» ، ولما سجد الجمل بين يدي رسول الله قال الصحابة: نحن أحق بالسجود منه يا رسول الله، فقال ﷺ: لو كنت آمرًا أحدًا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها،هذا حال الجمادات هذا حال الحيوان وهكذا الأشجار والأطيار تعرف حق نبينا .

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال خرج رسول الله ﷺ في سفر فنزل واديًا أفيح – أي لا شجر فيه– ولا أحجار فيه – فأراد أن يقضي حاجته فنادى شجرة بعيدة في شاطىء الوادي فأقبلت حتى التحمت مع شجرة أخرى، ولما فرغ من قضاء حاجته عادت كل شجرة إلى مكانها [٢]، وكان يوم الجمعة يخطب أمام جذع من شجر فجاءت امرأة أنصارية وقالت: أصنع لك منبرًا يا رسول الله قال: افعلي ماشئت، فتركه من الجمعة القادمة، فلما رقى الرسول على المنبر حن الجذع وبكى بكاء الصبي فينزل الرسول فيسكنه قال بعض الحاضرين من الصحابة كان يسكنه كما يسكن الصبي من البكاء فيقول ﷺ: إنه حن لما كان يسمع من الذكر [٣].

وروى الإمام الترمذي في جامعه من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال خرج رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة لا يرى فيها شيء قال فعلمت بذلك فتبعته، قال: فلما اقتربت منه وهو يمشي نحو الغابة فقال لي:أبا عبد الرحمن ؟ قلت لبيك يا رسول الله، قال مكانك قال: فجاءني وفعل علي دائرة من خط ثم قال لي: يا ابن مسعود لا تترك هذه الدائرة ثم ذهب رسول الله بعيدا قال ابن مسعود فخشيت

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٤٧٤) ومسلم (٢١٩٠) .
(٢) أخرجه مسلم (٢٩-٣٢) .
(٣) سبق تخريجه .

على نفسي قال: فإذا بقوم ما هم والله بإنس ولا من بني آدم، فكانوا يضربون من الخط ولا يتعدونه إلي أبدا قال: فخشيت على رسول الله، فتذكرت أنه قال لي: الزم مكانك ثم يأتي الرسول في آخر الليل قبل الفجر بلحظات فيقول له ابن مسعود: فداك أبي وأمي، لقد خشيت عليك يا رسول الله، قال: إني كنت عند إخواننا من الجن وقد سألوني الطعام والعلف لدوابهم فقلت: إن طعامكم كل عظم أكله ابن آدم ذكر اسم الله عليه فهو لحم، وأما علف دوابهم فهو رجيع دواب بني آدم[1] ، لذا نهى عن الاستجمار بعظم أو برجيع حيوان وقال: «**إنها طعام إخوانكم من الجن**» ،جاءت إلى رسول الله ﷺ واستمعوا القرآن كما قال ربنا -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾[الأحقاف:٢٩- ٣٢] ، هذا خطاب الجن لقومهم بعد أن حضروا دروسًا لرسول الله ﷺ ثم كانوا بعد ذلك دعاة، وهكذا قال سبحانه: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾[الجن:١- ٣] .

فهو ﷺ رحمة للعالمين ، فأف وأف لمن كان الجن والأحجار والأشجار والحيوانات أعظم معرفة منه بحقوق رسول الله، لقد عرفوا حقوق نبينا، ومن الأمة من لا يعرف حق نبينا ﷺ الكون كله يعرف مقام رسول الله ﷺ، فهو سيد الأولين والآخرين وهو خاتم النبيين والمرسلين وهو خليل رب

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٥٨) وصححه الألباني.

العالمين وهو الذي كان نورًا وبشيرًا وسراجًا وقمرًا منيرًا، وداعية إلى الصراط المستقيم هو الذي بذل نفسه ومهجه من أجل إسعاد هذه الأمة كما قال ربنا جَلَّ وَعَلَا ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة: ١٢٨].

اللهم بارك لي ولكم في القران العظيم ، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ:

معاشر المؤمنين:

بلغ من حرص نبينا ﷺ علينا أن كان حريصًا علينا في الدنيا من الضياع والهلاك، وحريصا علينا في الآخرة من النار، فقال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[التوبة: ١٢٨].

بكى رسول الله ﷺ ليلة بكاءً مريرًا، فأرسل الله جبريل يسأله عن سبب بكائه وهو أعلم، فقال جبريل: يا محمد ما يبكيك، فقال أمتي أمتي، فصعد جبريل إلى رب العالمين وأخبر الخبر، قال سبحانه: عد إليه وقل إنا سنرضيك في أمتك»(١)، ها هو في عرصات القيامة البشرية كلها يبحثون عمن يشفع لهم إلى الله، فيأتون إلى آدم أبي البشر يقولون: يا آدم أنت أبو البشر، خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته، ونفخ فيك من روحه، اشفع لنا إلى ربك يقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن أكل من الشجرة، فأكلت، نفسي نفسي انظروا غيري اذهبوا إلى نوح أول رسول إلى أهل الأرض، فيأتون نوحًا فيعتذر، ثم يحيلهم نوح على إبراهيم فيعتذر، فيحيلهم على موسى، فيقدم اعتذارًا ثم يحيله على عيسى بن مريم، فيعتذر فيحيلهم على عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يحيل على محمد ﷺ فيقول: أنا لها فيخر تحت العرش ساجدًا فيحمد الله بمحامد لم يكن يعلمها من قبل، يعلمه الله بثناء ودعاء يثني به على الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فيقول الله:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

«**يا محمد ارفع رأسك وسل تعطه واشفع تشفع يقول: يا رب أمتي أمتي**»[١]، الله أكبر ما أبلغ حرص نبينا علينا في الدنيا والآخرة، وما أقل اهتمام هذه الأمة بحال نبيها وبحقوق نبيها لقد كان الضياع والتفلت.

أعظم الحقوق عباد الله: طاعة الرسول فيما أمر وتصديقه فيما أخبر،الانتهاء عما نهى عنه وزجر، والمراد بذلك الطاعة، فرسول الله لا يريد أن يرفع إلى حد الإطراء أو أنه يفضي يه إلى مقام الألوهية، وإنما هو عبد الله ورسوله، وهكذا أيضًا إن مس جنابه بشيء من السوء أو الاستهزاء والسخرية وجب على المؤمن أن يغضب لرسوله ﷺ، إن المسلم يغضب لنفسه ولأبيه، فما بالك إذا مس عرض رسول الله ﷺ ، هذا حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يذب عن حياض رسول الله ﷺ، وهؤلاء الأصحاب كلهم يذبون عن عرض رسول الله ﷺ .

ألَّف ابن تيمية كتابًا بعنوان «الصارم المسلول في الرد على شاتم الرسول» في القرن الثامنِ ظهر رجل يسب الرسول فرد عليه ابن تيمية بكتاب، فوجد ذلكم الرجل مقتولًا فما انتهك أحد حرمة لرسول الله ﷺ إلا عومل بالهلاك والدمار، جاء في صحيح البخاري أن كاتبا كان يكتب لرسول الله وبعد ذلك ارتد ذلكم الرجل فكان على مذهب النصارى فلما مات حفروا له في الأرض حفرة فقبروه فلفظته الأرض عدة مرات في عدة أيام والأرض تلفظه[٢]، لا تريده أن يكون في بطنها وفي جوفها فتركوه بعدها للسباع، وما استطاعوا أن يحموه.

حقوق نبينا يا عباد الله كثيرة علينا، وسوف نسأل عنها بين يدي الله، قال ﷺ، «**وستسألون عني**» [٣] ، نسأل عنه في قبورنا، وفي عرصات القيامة، أما في القبر فنسأل عن الأصول الثلاثة: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟» [٤]،

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣١٦٢) ومسلم (١٩٤) .
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٤٢١) ومسلم (٢٧٨١) عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) أخرجه مسلم (١٢١٨) عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٤) أخرجه مسلم (٢٨٧١) عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

وفي عرصات القيامة تُسأل عن رسول الله ﷺ وعن دين رسول الله، أنت مسؤول عن ذلك كله بين يدي الله تعالى، ومن أعظم الحقوق وتعظيم الرسول ﷺ تعظمه في نفسك وأن يكون له جلالة ومهابة في قلبك تحب الرسول ﷺ أعظم من حبك لنفسك وأبيك وأمك وأموالك، تحب الرسول، وتنصر الرسول ﷺ، فمن أحب الرسول ووقره في قلبه، كان له حظ ونصيب من قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ٤]، فكل من عظم الرسول ﷺ وكان له حظ ونصيب مما ذكر، ومن لم يبال بذلك كان له حظ ونصيب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ٣] ، ومعنى شانئك أي مبغضك، فمن أبغض الرسول جعله الله أبتر من الخير في أمر الدنيا والآخرة .

يا عباد الله: نحن مطالبون بأن ننصر رسول الله ﷺ في أنفسنا وفي أهلينا، وننصره أيضًا إذا مست كرامته بسوء يقول حسان: [(١)]

فإن أبي ووالدتي وعرضي　　لعرض محمد منكم وقاء [(١)]

والله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧] ، ومن أعظم الحقوق أن تصلي على رسول الله ﷺ ، والمراد بذلك زيادة الثناء تذكره وتصلي عليه في كل مجلس وأن تجعله قدوة وقيادة وأن تتابع علماء الأمة فيما أفتوا به من مقاطعة البضائع المستوردة من بلاد الكفار الذين مسوا عرض نبينا بسوء فأف وتف لمن قدم مصلحته وهواه، وقدم نفسه وبطنه وفرجه على رسول الله ﷺ .

لو شتمك رجل ثم جاء بشاة محنوذة معها جميع أصناف الطعام والشراب وقد سبك قبلها ولم يعتذر لك بشيء لكنه جاءك بالطعام من أجل أن تسامحه،

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٩١٦) ومسلم (٢٤٩٠) .

والله ما أظن إلا أن يكون قد قل حياؤه منك فنعم أما هؤلاء الكفار فلم يبدوا اعتذارًا ولا هم مستعدون أن يعتذروا فإن الحق والباطل في صراع مرير، منذ أن خلق الله الأرض وأهلها والحق والباطل في صراع فوجب على أهل الدين أن يعرفوا قدر دينهم وأن يعلمواقدر نبيهم، فأنتم أعظم منزلة في الدنيا من اليهود والنصارى ومن كل دين ملوث على وجه الأرض، فهو دين لا يساوي شيئا عند الله فأنتم أصحاب الدين المرتضى الذي ارتضاه الله لكم .

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة: ٣] .

وإن وجدت بعض السلبيات من بعض المنتسبين للإسلام لا يدل ذلك على فساد الدين وإنما أبناء الدين .

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

ونهجوا ذا الزمان بغير حق ولو نطق الزمان لنا هجانا

فليس العيب عيب الزمان ولا عيب الإسلام، وإنما عيب حملة الإسلام وجدوا إسلامًا ما بذلوا فيه مهجًا ولا أرواحًا ، وجدوه سهلًا مُيسرًا بمثابة وراث وجدوا بيوتًا عقارات وأموالًا وأرصدة، فعاثوا فيها هنا وهناك بخلاف من بنى مجده بنفسه، فإنه يحمي أمواله ويحمي تركته ويحمي جميع ممتلكاته لأنه تعب في ذلك ونحن حينما لم نتعب بهذا الدين كان أمرا روتينيا ، لكن أصحاب النبي ﷺ طعموا حقيقة الدين وذاقوا قبلها طعم الجاهلية المرة، شعروا بحلاوة الإسلام، فبذلوا فيه أوقاتهم وحياتهم فكان لسان حال الواحد منهم ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾ [طه: ٨٤] .

أسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين وأن يرينا الحق حقا فيرزقنا اتباعه والباطل باطلًا فيرزقنا اجتنابه، اللهم آتنا في الدنيا حسَنة ، وفي الآخرة حسَنة ، وقنا عذاب النار

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

٢٠-عناية الله بهذه الأمة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ربي لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المسلمين:

لقد كان العرب قبل الإسلام يعيشون في ضلال مبين على أعلى المستويات وأدناها، وكان ضلالهم في معتقداتهم وبيوعهم ومشترياتهم وهكذا الضلال

في أخلاقهم وسلوكهم، وكانوا يعيشون في ضلال في أنكحتهم يعيشون ضلالًا عامًا شاملًا، وهو ضلال بين ليس بخاف على أحد بل معلوم لدى كل مبصر وسامع كانوا يعيشون في مثل هذه الضلالات لا يحكمهم قانون ولا يسوسهم نظام، يتناحرون ويتقاتلون فيما بينهم ومثال الحال:

إذا بلغ الصبي لنا فطامًا　　تخر له الجبابر ساجدين

ألا لا يجهلن أحد علينا　　فنجهل فوق جهل الجاهلين

وبينما هم على هذه الحالة المزرية إذ بعث الله - عَزَّوَجَلَّ - نبيًا ورسولًا وهاديًا وبشيرًا ، ليخرج هؤلاء وغيرهم من الظلمات إلى النور ، كما قال الحق -جَلَّوَعَلَا- : ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ ﴾ [الجمعة:١-٢].

كان هذا النبي قد بعثه - الله عَزَّوَجَلَّ- من أجل أن يخرج هؤلاء من الضلال والمبين وبأي شيء بعثه الله، يتضح هذا من خلال الآية السابقة والكتاب أي: القرآن، والحكمة أي: السُّنَّة، من أجل إصلاح هؤلاء وغيرهم لذا يقول ﷺ «**بعثت بالحنيفية السمحة**»[(١)] ، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، ويقول ﷺ «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[(٢)] .

ولقد سأل هرقل عظيم الروم أبا سفيان بن حرب ولم يكن قد أسلم بعد، قال: وبماذا يأمركم هذا الذي يزعم أنه نبي ؟ قال: يأمرنا بعبادة الله وحده وبصلة الأرحام ويأمرنا بحسن الجوار»[(٣)]، هذا النبي ﷺ بعث من أجل هذا

(١) صحيح: أخرجه أحمد (٢٢٤٥) والطبراني (٧٨٨٣) وصححه الألباني في الصحيحة (٢٩٢٤).
(٢) صحيح: أخرجه الحاكم (٤٢٢١) والطبراني في الأوسط (٦٨٩٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٤٩).
(٣) صحيح: سبق تخريجه .

الخلق العظيم، فعز الله به بعد ذلة، وكثر به بعد قلة وألف به بين أولئك الأقوام وجعلهم جسدًا واحدًا كما يقول شاعر النيل:

أتطلبون من المختار معجزة يكفيه شعبا من الأموات أحياء

فلاقى ما لاقى واحتمل الأذى من قومه كادوه بكل ما يستطيعون، لكن الله عاصمه من الناس، فكان يعرض نفسه بالمواسم على الناس القادمين إلى مكة يقول: من يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة» [(١)]، ويقول ﷺ: «**أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»[(٢)] ، وانبرى له من انبرى من أعمامه وجيرانه، فكان أبو لهب وهو عبد العزى بن عبد المطلب من آل بني هاشم عم رسول الله يتبعه فيرميه بالحجارة يدمي كعبيه وعرقوبيه، ويقول: كذاب لا تصدقوه ويحتمل رسول الله ﷺ الأذى في ذلك ومرة كان يصلي بجوار الكعبة فقال بعضهم من ينطلق إلى جزور بني فلان فيأتي بسلا ناقته فيضعه على محمد إذا سجد، فتأتي ابنته فاطمة فتزيل ما على ظهر أبيها من الأذى وتسب أولئك القوم، فيرفع الرسول يديه ويدعو عليهم فخافوا من دعائه»[(٣)]، ولولا الله ثم ما كان من النصرة من عمه أبي طالب، ومن زوجته خديجه بنت خويلد لكثر الأذى أبعد من ذلك وقرر مرة لم لا يخرج على الناس وكان يرجو أن يقبل رسالته أهل الطائف، فخرج مع غلامه زيد بن حارثه- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- يدعو أولئك الأقوام إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا يريد منهم جزاء ولا شكورا، فقابلوه بالصد والأذى، وسلطوا عليه صبيانهم وسفهاءهم، لذا تقول عائشة: يا رسول الله هل أتى عليك يوم أشد من يوم أُحد، ويوم أُحد هو يوم غزوة عظيمة يقتل من أصحاب رسول

(١) صحيح: أخرجه أحمد (١٤٩١) وابن حبان (٢٦٢٧٤) وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٣).
(٢) صحيح: أخرجه أحمد (١٦٠٦٦) وصحيح ابن حبان (٦٥٦٢) وصححه الألباني في صحيح السيرة (١/ ١٤٣).
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٣٧) ومسلم (١٧٩٤) .

الله ﷺ أكثر من سبعين ، ويجرح أكثر من سبعين ، وتهشم البيضة على رأس رسول الله ﷺ ، وتدخل حلقتا المغفر في وجنته» [(١)]، ولولا أمر الله لألحق الأذى برسوله، وكان يومًا عظيما كما ذكره الله في سورة آل عمران: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ ﴾ [آل عمران: ١٧٢] ، أي الآلام الشديدة، فتقول له عائشة: يا رسول الله هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد فيقول لها: نعم حينما خرجت إلى الطائف أعرض نفسي على بني عبد يليل فلم يقبلوا دعوتي، وسلطوا علي سفهاءهم، فمشيت هاربا على وجهي، فلم أفق إلا وأنا بقرن الثعالب، أي عند السيل الكبير، فإذا به ينظر إلى السماء فيرى جبريل، ويقول له جبريل: يا محمد قد سمع الله رد قومك لك، وما أجابوك وقد بعث إليك ملك الجبال فإن شئت أن يطبق عليهم الأخشبين لفعل، فقال ﷺ: «**لا وإني أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يقول لا إله إلا الله**» [(٢)]، رفض الدعوة أهل الطائف وأهل مكة وبسبب هذه الرحلة العظيمة استفاد آخرون من رحلته إلى الطائف، فقد أسلم كثير من الجن في ليلة من تلك الليالي، التقى ﷺ بالجن وعرض عليهم الدين والإسلام فأسلموا وعلى إثر ذلك نزل قول الله: ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩ ﴾ [الأحقاف: ٢٩] .

هؤلاء رسل الجن من قبل رسولنا ﷺ إلى أقوامهم من خلال مجلس واحد» [(٣)]، وهكذا يمر رسول الله بمزرعة رجل وإذا بغلام يأخذ قطفا من عنب، فيذهب به إلى رسول الله فقال له: ما اسمك يا غلام ؟، قال: اسمي عداس، قال: ومن أي بلدة أنت ؟، قال: من بلدة نينوى، قال: وما دينك ؟ ، قال نصراني، قال : أنت من بلد يونس بن متى ؟، قال : وما يدريك به ؟، قال:

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٥٣٩٠) ومسلم (١٧٩٠) .
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٠٥٩) ومسلم (١٧٩٥) .
(٣) صحيح: أخرجه أحمد (٢٢٧١٤) والحاكم (٣٧٠١) صححه الألباني في صحيح السيرة.

إنه نبي بعثه الله إلى تلك البلاد وهو أخي فهو نبي وأنا نبي»[١] ، فآمن ذلكم الغلام وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فلما وصل رسول الله قافلا من الطائف، يقول له غلامه زيد بن حارثة: كيف تستطيع أن تدخل مكة وقد أخرجوك منها؟ ، قال: «**إن الله جاعل فرجًا ومخرجا لنبيك يا زيد**»[٢] ، فلما قرب من مكة أرسل إلى المطعم بن عدي وكان سيدا على حي من أحياء قريش أريد أن أدخل في جوارك فهل ترضى فأعاد عليه بالرضى، فدخل في جوار المطعم بن عدي فكان ﷺ يطوف حول البيت والمطعم وأولاده يحمون رسول الله بالسلاح ولما كان يوم بدر وقد قتل من المشركين سبعون رجلا ووصلت الأخبار إلى مكة وجاء بعضهم يريد الأسرى فيقول ﷺ : «**لو كان المطعم بن عدي حيًا،ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له**»[٣]، فما نسي رسول الله ﷺ معروف المطعم بن عدي، وهكذا لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووه، اعترف بفضله ومعروفه مع أنه كان على الكفر والشرك، وهكذا يجب أن تستفيد من هذا، أن يحفظ أهل المعروف لمن أسدى إليهم معروفًا تأسيًا برسول الله ﷺ .

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، هذا ما قلته لكم، استغفر الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم فاستغفروه.

(١) صحيح: انظر البداية والنهاية (٣/ ١٣٦) .
(٢) صحيح: انظر عيون الأثر (١/ ١٣١) الرحيق المختوم (ص١٢٧).
(٣) أخرجه البخاري (٢٩٧٠).

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين ، أنار الله به عقول البشرية، وزلزل به كيان الوثنية، فصلوت ربي وسلامه عليه عدد ما ذكره الذاكرون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون.

عباد الله: بعد رجوعه ﷺ إلى مكة سلاه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بالإسراء والمعراج، كان الإسراء إلى المسجد الأقصى وكان المعراج إلى السماوات العلى، وبعدها بقليل أذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنبيه ﷺ عند اشتداد الأذى أن يخرج من مكة مهاجرًا بعد الاعتداءات التي عرضت عليه لكنه ثبت ﷺ فقد جاء إليه بعض أهل الشرك وقالوا له: يا محمد إن شئت مُلكًا ملكناك علينا وإن شئت سيادة سيدناك علينا وإن شئت مالا جمعنا لك الأموال، حتى تكون من أكثرنا مالا، وإن كنت تريج النساء زوجناك من أجمل وأحسن بنات العرب، وإن كان الذي بك إنما هو جنون جمعنا لك الدواء والأطباء من أطراف الأرض(١)، فقال: «**لا وإنما أريد من الناس أن يقولوا لا إله إلا الله**» فلم يخضع ﷺ لما طلب منه من مغريات الدنيا، وإنما نظرته إلى جنة عرضها السماوات والأرض فقال: «**إني أرجو أن يخرج الله من هؤلاء من يقول لا إله إلا الله**»(٢)، فثبت ﷺ وبعد مدة يسيرة يؤذن له بالهجرة فيأتي إلى بيت أبي بكر في ساعة ظهيرة لم يكن يخرج ﷺ فيها، فيقول أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، والله ما جاء بك إلا حاجة في هذه الساعة، فلما وصل إلى بيته قال: أخرج من في البيت، قال: إنما هم

(١) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٣٣٠) انظر صحيح فقه السيرة.
(٢) سبق تخريجه .

أهلك يا رسول الله، قال: إن الله أذن لي بالهجرة، فلما كان من الليل، وكان الله حافظا نبيه وصاحب نبيه أبا بكر الصديق، فدخلا غار ثور فمكثا فيه ثلاثة أيام واستعان، ﷺ بالمال ثم بعبد الله بن أريقط من أجل أن يريه الطريق إلى المدينة طريق المدينة الآمن، وكان أهل الشرك قد أقلقهم ذلك وحيرهم فوعدوا هنالك الجوائز والمغريات إلى من يرد رسول الله وصاحبه أبا بكر [(١)]، ولكن الله سلم.

يقول - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠].

فقد مكثا ثلاثة أيام، وكفار قريش برسلون أربعين من شبابهم كل واحد بيده السيف صلتا، ليضرب رأس رسول الله فتتوزع دماؤه بين القبائل، فلا يستطيع بنو عبد مناف أن تطالب الدماء من جميع القبائل [(٢)]، لكن الله سلم، فيقول أبو بكر يا رسول الله بأبي أنت وأمي، ولو نظر احدهم إلى شراك نعله لرآنا فقال ﷺ: «**لا تحزن إن الله معنا يا أبا بكر،ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما**»[(٣)]، فهذا عناية الله ومعية الله لأوليائه وصدق إذ يقول ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ [المائدة: ٦٧] ،فيحتمل رسول الله الأذى في حال هجرته من مكة إلى المدينة فيمر بخيمة أُم مِعبد فيشرب من عنز لم تكن حلوبًا، فأصابت بركته تلك الخيمة، فاستشرت أُم مِعبد وأبو مِعبد،[(٤)] ، ثم واصل المسيرة في قدر ثمانية

(١) أخرجه البخاري (٢٤٧٤) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.
(٢) صحيح: انظر سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٠).
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٧٠٧) ومسلم (٢٣٨١) عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٤) صحيح: أخرجه الحاكم (٤٢٧٤) والطبراني في الكبير (٣٢٠٥).

أيام أو عشرة أيام، وكان باستقباله الأنصار الذين عناهم الله بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩].

فيخرجون لاستقباله ﷺ، فلما خرج الأنصار فرحًا عظيما فكل واحد يأخذ بزمام ناقته، يريد أن يستضيف رسول الله فيقول لهم الرسول: «خلوا سبيلها فإنها مأمورة»[(١)].

فلما وصلت دار أبي أيوب بركت هنالك ليكون ضيف أبي أيوب الأنصاري[(٢)]، وعندما وصل رسول الله المدينة النبوية كان أهل المدينة في سعادة تغمرهم جميعًا ففي اليوم الثاني اشترى رسول الله ﷺ أرضًا بل وهبه بنو النجار أرضًا ليبني بها مسجده النبوي [(٣)]، وآخا رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار[(٤)]، ونستفيد عبرًا وعظات منها يا عباد الله التوكل على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فقد توكل النبي ﷺ على ربه حينما خرج من مكة وهكذا تستفيد أمرًا وهو أن الحق والباطل في صراع مستمر وفي سباق دائم وأمرًا ثالثًا، وهو أنه لا بأس من الأخذ بالأسباب، فقد استأجر رسول الله عبد الله بن أريقط وكان رجلا مشركًا من أجل أن يريه الطريق[(٥)]، وهكذا كانت أسماء تذهب بالطعام والشراب، وهكذا محمد بن أبي بكر يذهب بالأغنام ليشرب منها أبو بكر الصديق [(٦)]، وهكذا رسول الله ﷺ والمسافة بين مكة والمدينة أكثر من أربعمائة كيلو متر فيقضيها رسول الله ﷺ في قدر ثمانية أو عشرة أيام، فهذه عبر

(١) صحيح: انظر سيرة ابن هشام (٣/ ٢٥٢) و البداية والنهاية (٣/ ٩٨).
(٢) المصدر السابق.
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٦٩٤) ومسلم (٢٥٤).
(٤) صحيح: انظر زاد المعاد (٢/ ٩٣) الرحيق المختوم (ص١٨٥).
(٥) صحيح: سبق تخريجه.
(٦) أخرجه البخاري (٢٤٧٤).

وعظات من هجرته ﷺ من مكة إلى المدينة من أجل إسعاد البرية .

إن البرية يوم مبعث أحمد ··· نظر الإله لها فبدل حالها

بل كرم الإنسان حين اختار ··· من خير البرية نجمها وهلالها

لبس المرقع وهو قائد أمة ··· جبت الكنوز فكسرت أغلالها

لما رآها الله تمشي نحوه ··· لا تنتظر إلا رضاه سعي لها

اللهم اجعلنا من أمته واحشرنا في زمرته، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًا إلا فرجته، اللهم أصلح الحال والمآل.

اللهم اهدنا واهدِ بنا، واجعلنا سببا لمن اهتدى يا ربنا، اللهم أصلح الرعاة والرعية، اللهم أصلح بطانتهم يا رب العالمين، اللهم آتنا في الدنيا حسَنة وفي الآخرة حسَنة وقنا عذاب النار.

عباد الله: صلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[الأحزاب: ٥٦].

٢١-التطير والتشاؤم

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين: بعث الله إلينا محمدًا ﷺ هاديًا ومبشرًا ونذيرًا وداعية إلى الصراط المستقيم، وإلى المنهج القويم، فما من خير إلا دلنا عليه، وما من شر إلا حذرنا منه كما قال ﷺ: «ما بعث الله نبيًا من الأنبياء إلا كان حقًّا عليه أن يدل

أمته على خير ما يعلمه لهم، ويحذرهم من شر ما يعلمه لهم»(١)، فلقد حثنا على الخير وما فيه إلى قيام الساعة، وحذرنا من الشر وما فيه إلى قيام الساعة، فهو الرؤوف الرحيم، وهو الحريص الشفيق على هذه الأمة.

كما امتن الله بذلك: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فيا أمة الإسلام، ويا أمة العقيدة والتوحيد من الخير الذي دلنا عليه، ومن الشر الذي حذرنا منه، ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**»(٢)، وزاد مسلم «**ولا نوء ولا غول**»(٣)، فهذه ست خصال نفى ما يكون فيها ﷺ من الاعتقادات الفاسدة التي كانت حاصلة في الجاهلية قبل الإسلام، فجاء الإسلام وأبطلها، ووجهها التوجيهات السليمة فقوله ﷺ: «**لا عدوى**» لا عدوى مؤثرة بذاتها كما كان يعتقد أهل الجاهلية الأولى، أن من جالس المريض أيًا كان مرضه فلابد أن تنتقل العدوى فجاء الإسلام فأبطل هذه العقيدة بذاتها، لكنها قد تنتقل بتقدير من الله كما فسر ذلك في حديث آخر، وهو ما جاء في البخاري أنه ﷺ قال: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**»(٤)، فبعض أهل العلم يقول: سدًا للذريعة حتى إذا أصبت بالجذام، لا يعترض على أقدار الله، ولا تعتقد أن العدوى مؤثرة بذاتها، وبعض أهل العلم يقول في هذا دليل على انتقال العدوى، وقد يوافقون على ذلك، والعدوى تنتقل حسًا ومعنى، ولكن ليس بذاتها، أما كونها تنتقل حسيًا، فلما جاء في صحيح مسلم أنه ﷺ سأله

---

(١) صحيح: سبق تخريجه.
(٢) صحيح: رواه البخاري رقم الحديث (٥٣٨٠)، ومسلم رقم الحديث (٢٢٢٠).
(٣) مسلم رقم (٢٢٢٠).
(٤) صحيح: البخاري رقم (٥٣٨٠).

رجل فما بال الإبل الصحيحة تبقى مع الإبل الجرب فتجرب بذلك، فقال ﷺ: «**من الذي أعدى الأول؟**» (١)، إن الأول كان مرضه بتقدير من الله، وكان الجرب للبقية بتقدير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهذا أمر واقع فرب رجل جالس مريضًا محمومًا أو مزكومًا أيًا كان مرضه فتنتقل العدوى هل بذاتها؟، لا ولكن بتقدير من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وهكذا قد تنتقل العدوى المعنوية كما جاء في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي ﷺ قال: « **مَثَلُ الْجَلِيس الصَّالِح وَالسَّوْء كَحَامِلِ الْمِسْك وَنَافِخِ الْكِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْك إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تبتاعَ مِنْهُ وإِمَّا أَن تجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثيابَكَ وإِمَّا أَنْ تجدَ مِنْهُ رِيحًا خَبيثةً**» (٢).

والطباع مؤثرة، وكما قيل: «الصاحب ساحب» وقيل قديمًا:

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم ... ولا تصحب الأردي فتردي مع الردي

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... إن القرين بالمقارن يقتدي

فتجد أن العدوى قد تنتقل، ولكن ليس بذاتها، هذه عقيدة جاهلية، لكنها تنتقل بتقدير من الله الواحد الأحد، ومن كان عنده عقيدة قوية فجالس المجذوم أو الأجرب أو أيًا كان مرضه فليعلم أنه لا تتسرب الأمراض إلا بشيء أراده الله، ونحن نشاهد في كثير من دول الإسلام، أولئك الأطباء والممرضين الذين يختلطون بالمرضى، وقد تكون أمراضهم مزمنة، سواء كانت فيهم أمراضًا خطيرة فتاكة مستعصية، كالإيدز والسيلان أو كان كالجذام وما شابهه من الأمراض، أو أمراضًا قليلة التضرر، فإن الأطباء لا يتأثرون بذلك، وهذا أمر معلوم من الواقع بالضرورة، فقوله ﷺ: «لا عدوى» بذاتها، والمراد

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٢٢٠- ٢٢٢٢).
(٢) رواه البخاري رقم (١٩٩٥)، ومسلم رقم (٢٦٢٨).

الطيرة التشاؤم بمرئي أو مسموع، فقد كان يتطيرون لا سيما ببعض الصالحين، كما ذكر الله عن آل فرعون حينما صاحوا في وجه موسى وهارون: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس: ١٨] فكان التشاؤم بأهل الصلاح، ولا زال بعض الناس يتشاءم بأهل بالصلاح، فيقول: هؤلاء مدبرين، أو عبارة نحوها فجاء الإسلام ليبطل هذه العقائد الزائفة، ما يتعلق بأمر التطير سواء كان تشاؤمًا بشهر أو بأسبوع أو بعام، برجل أصلع أو بامرأة مجنونة، أو بأي شيء من الأشياء التي خلقها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فلا يجوز التشاؤم بذلك أبدًا، جاء الإسلام ليبطل مثل هذه العقائد بقوله ﷺ «ولا طيرة»، أي: لا يتشاءم أحد بأمر هو من مخلوقات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ولقد جاء أن عكرمة مولى بن عباس قال: كنا عند ابن عباس، فمر طائر يصيح، فقال بعض الحاضرين: خير خير، فقال ابن عباس: «لا خير ولا شر» (١)، مبادرة منه إلى الإنكار لما يحصل من هذه العقائد الزائغة، ولما أراد عمر بن عبد العزيز الخروج من المدينة النبوية متجهًا إلى أرض العراق، نظر غلامه مزاحم إلى القمر وإذا بالقمر في منزلة تعتبر عند المنجمين فيها من الضرر والتشاؤم فكره أن يقول مزاحم لعمر القمر في الدبران، لكنه قال له: يا أبا حفص تأمل إلى القمر، ما أحسن استواءه وبهاءه في هذه الليلة، فنظر عمر إلى القمر وكان ذكيًا فطنًا، قال: فكأنك يا مزاحم تريد أن تخبرني أن القمر في الدبران، والله إنا لنسافر ثقة بالله وتوكلًا على الله وما يصدنا ذلك (٢).

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما أراد الخروج إلى الخوارج الذين كفَّروا أصحاب رسول الله ﷺ، أولئك القوم البغاة الغلاة الذين غالوا في الأحكام فكفَّروا من الصحابة عليًا، ومن وافقه

(١) صحيح: «تفسير القرطبي» (٧/ ٢٣٣)، و«فتح الباري» (١٠/ ٢١٥)، و«فيض القدير» (٥/ ٢٣١)، و«فتح المجيد» (١/ ٢٩٤).

(٢) صحيح: كنز العمال رقم (٢٦٤٣٣)، وتاريخ دمشق (١٨/ ٧٢)، ومفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٥)، وأبجد العلوم (٢/ ٣٦٨).

من أصحاب النبي ﷺ أولئك القوم الذين قال فيهم ﷺ : «**هم كلاب أهل النار**[١]، **لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**[٢]، **وإرم**» ، الذين يكفرون بمطلق الذنوب والمعاصي، أراد أمير المؤمنين أن يخرج إليهم من الكوفة ليناجزهم وليقضي الله أمرًا كان مفعولًا، فقال له منجم: يا أمير المؤمنين القمر في العقرب لا تخرج، أخشى أن تعود بهزيمة لك ولأصحابك، قال له أمير المؤمنين. بل والله سنخرج ثقة بالله، وتكذيبًا لك فخرج وفتح الله على يديه[٣]، وهكذا المعتصم بن هارون الرشيد لما خرج ليلبي دعوة امرأة قالت:

رب وامعتصماه انطلقت ملء أفواه الصبايا اليتم

لامست أسماعهم لكنها لم تلامس نخوة المعتصم

سمع المعتصم قول امرأة المستغيثة وامعتصماه، فإذا به يجهز جيشًا ليخرج لإنقاذها، حينما كانت الدولة الإسلامية في وفر قوتها وبأسها، فيخرج فاعترضه أحد المنجمين، قال له يا أمير المؤمنين أرى أن لا تخرج إلا بعد أن ينضح التين والعنب، فقال له: والله سنخرج توكلًا على الله وكان النصر المبين على أيدي المعتصم رَحِمَهُ اللَّهُ، فكان التطير حاصلًا في هذه الأمة كما كان حاصلًا في الجاهلية قبل الإسلام، فمن المسلمون اليوم من يتشاءم بأمر من الأمور إن حصل هذه صده ذلك عن الإقدام، وما كان له أن يصده شيء إلا أمر حرمه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا يجوز له إذن أن يقدم فلابد أن يكون جبانًا أمام المحرمات، أما أمر أراده الله، حث الله عليه فلا ينبغي له أن يحجم وهكذا مما قاله ﷺ: «**ولا هامة ولا صفر**»، هذه عقيدة في الجاهلية وظلت إلى يومنا هذا والمراد بالهامة هو

(١) صحيح: رواه الطبراني في الكبير رقم (٨٠٤٢)، وأبو نعيم رقم (٥/ ٥٦)، ومسند الحميدي رقم (٩٠٨)، وصححه الألباني في ظلال الجنة رقم (٩٠٤).
(٢) صحيح: رواه البخاري رقم (٦٩٩٥)، ومسلم (١٠٦٤).
(٣) صحيح: رواه القرطبي (١٩/ ٢٨)، وروح المعاني (٢٣/ ١٠٨)، وتاريخ الخلفاء (١/ ٢٢٩).

طائر يشبه البومة إذا وقف على بيت رجل قالوا: هذا ينعى موت فلان، أو على شجرة قريبة قالوا: سيموت فلان من الناس، وهذه عقيدة أبطلها الإسلام، فأي طائر ناح أو نعق أو صاح فلا تعلق له بموت ولا حياة.

فالله - جَلَّ وَعَلَا - يقول: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]. ويقول نبينا ﷺ: «ولا صفر» والمراد بـ «لا» هاهنا النافية، نفى النبي ﷺ أن يتطير بشهر صفر، هذا الشهر الذي نحن فيه، فهو شهر من الأشهر التي عناها الله بقوله: في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣٦].

فهو شهر أيامه من أيام الله، ولياليه من ليالي الله، فلا ينبغي الاعتراض ولا الإحجام على أمر مباح، فمن المسلمين من يعتقد بشهر صفر أنه لا يسافر ولا يتزوج ولا يرضى أن يزوج ابنته مثلًا، اعتقادًا أن هذا الشهر شهر شؤم وشهر شر، لا ينبغي أن يكون المسلمون بهذا المستوى من الجهل، وقوله: «لا صفر»، فقد تعددت أقوال العلماء فيه، فمنهم من يقول: صفر الشهر المعروف، وبعضهم يقول: هو داء يعرف في المعدة لبعض الناس، فالنبي ﷺ نفى هذا الداء أو هذا الشهر أن يكون حاصلًا على حسب ما يعتقده أهل الجاهلية الأولى، هذه توجيهات وتعليمات.

وهذا في قوله: «ولا نوء» من المسلمين من يعتقد أنه إذا طلع النجم الفلاني، النوء الفلاني في جهة من جهات السماء غربًا أو شرقًا شمالًا أو جنوبًا ظن ذلك أو اعتقد أن المطر سيكون حاصلًا لا محالة، فأقول إن كان هذه مجرد علامة وأن الله المقدر فلا بأس بذلك، أما إن كان الاعتقاد أنه هو المتصرف في الكون فهذه عقيدة فاسدة.

فقد صل النبي ﷺ صباح ليلة الحديبية في العام السادس من الهجرة فلما انتهى من صلاة الفجر أقبل على الناس بوجهه، فقال: « **هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟**» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَرَحْمَته فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ**»(١).

وقوله ﷺ «**ولا غول**» هذه عقيدة أيضًا كان عليها أهل الجاهلية، فقد كانوا يعتقدون أن الغيلان تتشبه لهم، بالغلاوات والخلاوات وهي عبارة عن شياطين تتمثل لهم فكانوا يقولوا هذه الغيلان، ومن المسلمين اليوم من يعتقد هذا، وهذه خرافات لا نؤمن بصحتها يقول الناظم:

أما آن للسرداب أن يلد الذي ... كلفتموه بزعمكم ما آن

فعلى عقولكم العفاء فإنها ... ثلثتم العنقاء والغيلان

فالعنقاء والغيلان: هي عبارة عن وهميات كان عليها أهل الجاهلية الأولى، فمن المسلمين اليوم ن يذبح للجن أو يخاف من الجن، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: مكن المسلمين من سلاح عظيم يصدون به كيد الشيطان ومكره وهو قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ** ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨].

وهذه الاستعاذة هي بقائلها، فإن كان قائلها قوي الثقة قوي الإيمان بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كان الاستعاذة نافعة له، وإن كان ضعيفًا فهو بمثابة سيف بيد رجل

---

(١) صحيح: رواه البخاري رقم (٩٩١-٨٠١)، ومسلم في كتاب الإيمان باب بيان الكفر لمن قال: مطرنا بالنوء رقم (١٠٤).

مريض أو عجوز شمطاء لا تستطيع أن تدافع به، فكم من المسلمين اليوم ركضه الجن صباحًا ومساءً، يعيش في أوهام وفي كوابيس وفي أمراض نفسية، من مستشفى إلى آخر ومن دولة إلى أخرى، مصاب بأوهام وكان الواجب له أن يعتقد العقيدة الصحيحة.

أنت القوي فقد حملت عقيدة أما سواك فحامل الأسفار

يتعلقون بهذه الدنيا وقد طبعت على الإبراد والإصدار

دنيا وباعوا دونها العليا فيا بؤسًا لبيع المشتري والشاري

اللهم بارك لي ولكن بالقرآن العظيم، وانفعنا بسُنَّة سيد المرسلين، هذا ما قلته لكم، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه يغفر لكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله: اتقوا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، واعلموا يا عباد الله أنكم تجتمعون في هذا اليوم يوم الجمعة لمقصد ولغاية عظيمة، أمر الله -عَزَّوَجَلَّ- بها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

لكن من المسلمين من يجهل أحكام الجمعة، فبعض الإخوان - هدانا الله وإياهم- يحضر إلى صلاة الجمعة فيرتكب عدة أخطاء وعدة مخالفات، فمن المسلمين من يولي ظهره للخطيب من يوم الجمعة، وكان إجماع العلماء كما ذكر ذلك الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ على استقبال السامعين للخطيب من يوم الجمعة وجوبًا ليستمع إلى التوجيهات، ويستمع إلى كلام الله، وإلى هدي النبي ﷺ وهناك خطأ أفظع من هذا، وهو أن بعض المسلمين يأتي متأخرًا لصلاة الجمعة فيبقى في مؤخرة المسجد أو خارج المسجد، يولي ظهره ويزيد الطين بلة بأن يتكلم مع صاحبه، أو يمزح أو يرد السلام، وهذا أمر غير جائز، ما دام الخطيب يخطب وأنت أحد المستمعين فإذا كنت في المسجد والخطيب يخطب أو أن ترد السلام أو أن تأمر بالمعروف أو تنهى عن المنكر لا يجوز لك، إذا عطس أحد بجانبك أن تشمته أن تقول له يرحمك الله لقوله ﷺ: «**من تكلم يوم الجمعة والخطيب يخطب يوم الجمعة فقد لغا**»، وجاء في بعض الروايات: «**ومن لغا فلا جمعة له**»، فالواجب علينا معاشر المصلين أن نتقي الله -عَزَّوَجَلَّ- في ديننا، وفي جمعتنا، وفي صلاتنا وعبادتنا، والواجب علينا أن نتعلم أحكام الصلاة، وفقه صلاة

الجمعة، فمن المسلمين من يبقى خارجًا فينشغل إما بالكلام، أو الصخب، أو ينشغل بالمسواك، أو بالنظر إلى التلفون السيار، أو ساعته، أو يعبث بلحيته، وهذه كلها مما تسبب ضياع جمعتك، فلتكن حريصًا أيما حرص بما أن الكثير ربما يكون عنده حرص على الدنيا على أمر معيشته، فليكن حرصك على دينك يا عبد الله أعظم من حرص ذلك على دنياه.

أسأل الله بمنه، وكرمه، وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يجعلنا هداة مهتدين، وأن يأخذ بأيدينا إلى كل خير، وأن يجنبنا كل ضير.

اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًا إلا فرجته، ولا دينًا إلا قضيته ، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، وكن لنا ولا تكن علينا ، اللهم آتنا في الدنيا حسَنة، وفي الآخرة حسَنة، وقنا عذاب النار.

عباد الله: إن الله يأمر بالعدل والإحسان.....إلخ.

وآخر دعونا، أن الحمد لله رب العالمين.

٢٢-عمر بن الخطاب

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء:١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين:

إن من حكمة الله تعالى ورحمته بالخلق، أن اختار سيد الأولين والآخرين محمدًا ﷺ فبعثه رحمة للعالمين،وحجة على الناس أجمعين، أنار الله به عقول البشرية، وأتم الله به هذا الدين، وكانت بعثته ﷺ لإقامة هذه الملة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، فببعثته ﷺ كانت نَسْخًا لكل الأديان، وما من نبي بعثه الله من قبله، إلا كان

الله قد أخذ العهد والميثاق من ذلك النبي أن يؤمن بنبينا وينصره ويؤازره، قال -تعالى-: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]. وقال: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وروى ابن ماجه في «سُنَنِه» من حديث أنس وغيره أن نبينا ﷺ قال: «**إن النبوة والرسالة قد انقطعت، فلا نبي ولا رسول بعدي**(١)**، وأنه بين يدي الساعة يخرج ثلاثون دجالًا كلهم يزعم أنه نبي ولا نبي بعدي**» (٢).

فهذه حكمة بالغة علمها الله- جَلَّ وَعَلَا- فهو أعلم بخلقه من غيره ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] ، علم جَلَّ وَعَلَا، أنه لا فلاح ولا أنس ولا إسعاد لهذه الأمة إلا ببعثة محمد ﷺ.

بشرى لنا معشر الإسلام أن لنا ... من العناية ركنًا غير منهدم
لما دعا الله داعينا لطاعته ... بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

ومن حكمة الله -جَلَّ وَعَلَا- أن يختار لهذا النبي من الأصحاب، ما بلغوا مبلغ الإخلاص والصدق والجهاد والنصرة في ذات الله، ما شهدت به النصوص ومواقفهم، فكانوا كما قال ابن مسعود : « **أرق هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفًا** » (٣)، أولئك هم أصحاب نبينا ﷺ ولقد توزعوا في البلاد فمنهم

(١) صحيح: رواه الترمذي رقم (٢٢١٩)، وابن ماجه رقم (٣٩٥٢)، وأبو داود رقم (٣٤٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٧٧٣).
(٢) صحيح: رواه الترمذي رقم (٢٢٧٢)، وأحمد رقم (١٣٨٥١)، والحاكم في المستدرك رقم (٨١٧٨) عن أنس.
(٣) أثر موقوف على ابن مسعود رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٢١١) بتحقيق الشيخ أحمد شاكر قال الهيثمي في المجمع (١/ ١٧٨): رواه أحمد والبزار والطبراني في الكبير ورجاله موثقون، وأخرجه أيضًا أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥) وجاء عن ابن عمر بلفظ: «من كان مستنًا فليستن بمن قد مات أولئك أصحاب محمد كانوا خير هذه الأمة أبرها قلوبًا......» الخ وضعفه الألباني في مشكاة المصابيح رقم (١٩٣).

من بقي في مكة؛ وآخر في المدينة، وبلغ بعضهم بلاد الروم، وما جاور الجزيرة العربية، فاتحين ومبلغين ومعلنين ومرشدين، كان بعض هؤلاء الأصحاب في بلاد الشام فكان بعض النصارى إن رآهم يقول: والله إن هؤلاء هم أفضل من أصحاب المسيح، أفضل من الحواريين، فاختار الله عَزَّوَجَلَّ هؤلاء الأصحاب الذين زكاهم في آيات كثيرة فوصفهم الله تارة بالصدق وتارة بالفلاح، وبالتضحية، وهكذا بالنصرة لله ولرسوله وبحبهم للدين، والدار الآخرة، ومن هؤلاء الأصحاب: الخلفاء الأربعة المبشرون بالجنة الصديق الأكبر أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة ، وعمر الفاروق أبو حفص، وأبو عبد الله ذو النورين عثمان بن عفان، وأبو الحسن علي بن أبي طالب ݞ، هؤلاء هم أصحاب رسول الله ﷺ، وهم الخلفاء الذين قادوا زمام الأمة بعد موت نبينا، فساسوا الأمة سياسية صدق، وكان فيهم معدن الصدق والوفاء، ومن هؤلاء الأربعة عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي هو موضوع حديثنا في هذه الجمعة، لنتأمل في قصته لتتخذ من ذلك منهاجًا .

فإن أصحاب رسول الله ﷺ هم القدوة في هذا الباب، لا سيما الإمامين المهديين أبو بكر وعمر، لقد نوه النبي ﷺ بذكرهما فهو القائل: «اقتدوا بالذين من بعدي أبو بكر وعمر» [١]، ونوه إلى الأربعة الخلفاء فقال ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ**»[٢]، فعمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الذي كان إسلامه رحمة، وموته شهادة لقد زكاه القرآن ووافق خليل الرحمن في غير ما آية، ويرى له النبي ﷺ ثلاث رؤى ورؤيا الأنبياء حق، ففي صحيح البخاري من حديث أبي سعيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال

(١) صحيح: رواه الترمذي رقم (٣٦٦٢-٣٦٦٣)، وابن ماجه رقم (٩٧)، وأحمد رقم (٢٣٢٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٤٢).

(٢) صحيح: رواه الترمذي رقم (٢٠٦٧)، وأبو داود رقم (٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢)، وأحمد رقم (١٧١٨٤)، وصححه العلامة الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٤٩) عن العرباض بن سارية

النبي ﷺ: «**بينما أنا نائم فرأيت أناسًا يعرضون عليّ، وعليهم قمص، فمنهم من يبلغ الثدي، ومنهم ما دون ذلك ويعرض عليّ عمر بن الخطاب، وعليه ثوب يجره، فقيل: ما أوّلت ذلك يا رسول الله؟ قال: أولته بالدين**» (١)، فعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ له دين يستره، فلا يظهر منه إلا جميل، ولا يقول إلا الحق.

وأما الرؤيا الثانية: فهي أيضًا في صحيح البخاري من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**رأيت فيما يرى النائم وأنني قد أعطيت لبنًا فشربت منه حتى ارتويت، ورأيت الري يخرج من بين أظافري، ثم أعطيت فضلي لعمر، فقيل: ما أولت ذلك يا رسول الله، قال: أولته بالعلم**» (٢)، فهو صاحب دين وصاحب علم أيضًا.

والرؤيا الثالثة: أيضًا في صحيح البخاري أنه ﷺ قال: «**دخلت الجنة وإذا امرأة تتوضأ بجانب قصر، فقلت: لمن هذا القصر؟ فقيل لي: لرجل من قريش فظننت أنه أنا، فأردت أدخله، فقيل لي: إنه لعمر بن لخطاب فلما قص النبي الرؤية على عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قال: فتذكرت غيرتك يا عمر، فبكى عمر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، **وقال: أمنك أغار يا رسول الله**» (٣).

فكيف يغار عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من رسول الله ﷺ ؟، وهو تلميذ من تلامذته وصحابي من أصحابه، وحسَنة من حسناته، ويزكيه رسول الله في حديث آخر قائلًا: «إنه كان في الأمم المتقدمة ملهمون محدثون، فإن يكن في هذه الأمة فعمر بن الخطاب» (٤)، وذلك أنه كان ملهمًا، أي أنه يتفرس في دقائق الأمور، فتكون طبق ما قال، فتحصل له من الكرامات، فلقد كان على منبر النبي ﷺ خطيبًا وجيشه في بلاد العراق، فإذا الله يلقي على لسانه قائلًا: يا سارية الجبلَ الجبلَ،

(١) صحيح: رواه البخاري رقم (٦٦٠٦)، ومسلم رقم (٢٣٩٠).
(٢) صحيح: رواه البخاري رقم (٦٦٠٤)، ومسلم رقم (٢٣٩١).
(٣) صحيح: رواه البخاري رقم (٤٩٢٨)، ومسلم رقم (٢٣٩١).
(٤) صحيح: رواه البخاري رقم (٣٢٨٢)، ومسلم رقم (٢٣٩٨).

فأرسل الله الصوت إلى سارية بن وقاص في بلاد العراق، فتحصن بالجيش إلى الجبل، فلما قدم على عمر أخبره بما حصل له[1].

هذا الصحابي الجليل أعز الله به الإسلام، حينما أسلم في مكة فأظهر إسلامه أمام الملأ، وكان الصحابة يهاجون خفية،لكنه هاجر علانية ويقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «ما زلنا أعزة منذ أن أسلم عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»[2]، وهذا الصحابي الجليل ثبت أصحاب النبي بعد موت النبي ﷺ فلقد ارتد من الناس لكنه ثبت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان وزيرًا لأبي بكر الصديق، ولما مات أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أوصى بالخلافة إلى عمر، لما يعلم من صدقه وتضحيته فقام بالرعية، فتولى الخلافة أكثر من عشرة أعوام، فبلغ سلطانه الشرق والغرب، وبنى في خلافته أكثر من أربعة آلاف مسجد، وكان يسوس رعيته بالصدق والإخلاص، وكان يسوس رعيته طمعًا فيما عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هذا الصحابي الجليل كان دائم الخشية لله، باكيًا من خشية الله، يتذكر مواقف الآخرة، فيعاد إلى بنيه يظنونه مريضًا، وليس بمريض، ولكنه يشتكي من ألم ذلك اليوم، فلقد كان على وجهه خطان أسودان، من البكاء، وكان إذا قرأ: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]، يخر مغشيًا عليه، فلقد جمع الله -عَزَّوَجَلَّ- فيه من الشدة على أعداء الله، ومن الرحمة على أولياء الله.

فلقد خرج مرة في ليلة من الليالي فرأى نارًا مشتعلة، ومعه غلامة أسلم، فقال: يا أسلم لعل هؤلاء مارة مسافرين فلما تقدم من النار، قال: يا أهل الضوء، فلما تقدم إذا بامرأة فقيرة حولها أبناؤها يتضاغون من الجوع، فقال لها: يا أمة الله ما معك هذه الساعة قالت: صبيتي أعللهم من الجوع، قال: وما هذا في القدر الذي هو فوق النار؟ قالت: ماء أعلل به الصبية لا سامح الله عمر، فقال لها: وما يدري عمر؟ فقالت له: يتولى أمرنا ثم يغفل عنا، فيذهب عمر إلى

(١) انظر البداية والنهاية (٧/ ١٣٠، ١٣١، ١٣٢).
(٢) صحيح: رواه البخاري رقم (٣٤٨١).

بيت المال، فيأخذ عكة فيها شحم، وكيسًا من الدقيق، ثم يقول له أسلم: أحمله عنك، فيقول له: لا أنا أحمله، مَنْ الذي يحمل أوزاري يوم القيامة، فيأتي به إلى تلك المرأة، وكان يساعدها على إصلاح الطعام، فما تركها حتى شبع الصبية وفرحوا وضحكوا، فقالت له: أنت أفضل من عرم أو أحق بالخلافة من عمر، فقال لها: قولي خيرًا من هذا، أو كلمة نحوها (١).

هذا الرجل الكريم بما فيه من الفضائل والرحمة على أولياء الله، لكنه دوخ الكفار المرتدين، فكان كما قيل:

يا من يرى عمرًا تكسوه بردته ... والزيت أدم له الكوخ مأواه
يهتز كسرى على كرسيه فرقًا ... من خوفه وملوك الروم تخشاه

وما زال أعداء الإسلام يجدون في أنفسهم على عمر بن الخطاب، فخططوا له مقتلة في مسجد رسول الله ﷺ، وكانت أمنيته فلقد حج في الناس من قابل ودعا: اللهم ارزقني شهادة في سبيلك، وموتة في بلد رسولك، فقيل له: يا أبا حفص وتشترط، قال: أشترط على الله. فكان عمر يخرج لصلاة الفجر فيتخلل الصفوف، يوقل: استووا يسوي الناس فإذا ما استووا تقدم فصلى بهم، فتارة يقرأ بالنحل، وأخرى بيوسف فيبكي خشية من الله، وفي صبح من تلك الأيام تقدم أحد المجرمين أبو لؤلؤة المجوسي من بلاد فارس من بلاد إيران، ولا زال الحقد على عمر إلى يومنا هذا، فيسممون بذلك إذاعاتهم وجرائدهم وصحفهم، سواء في بلاد إيران، أو في كثير من بلدان العالم الذي توجد فيه الرافضة والشيعة الاثنا عشرية الذين يجدون على أصحاب رسول الله ﷺ، يقولون عن هذا الصحابي الجليل: إنه كان مصاب بداء في دبره، فلا يعالجه إلا مياه الرجال ، أو كما يقولون قبحهم الله: وينزلون بالأفاعيل والكذب على

(١) راجع تاريخ دمشق (١/ ٢٥٤٢)، والبداية والنهاية (٧/ ١٣٦)، وتاريخ الطبري (٢/ ٥٦٨).

عمر بن الخطاب والذي زكى عمر هو رب عمر ورسول عمر ﷺ.

فيقدم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عمر مصليًا فيتخطى أبو لؤلؤة المجوسي الصفوف، فيطعن عمر طعنة بلغت أحشاء بطنه، ثم سحب عبد الرحمن بن عوف فقدمه في الصلاة، ويؤخذ عمر إلى بيته مغشيًا عليه، فلما أفاق، قال: أصلي الناس؟ قالوا: صلوا يا أمير المؤمنين، قال: كم بقيت لي من الصلاة؟ قالوا: بقيت لك ركعة واحدة فصلاها، وجرحه يثغب دمًا [١].

ثم قال: من قتلني؟ قالوا: مولى المغيرة، وأخبروه أنه أبو لؤلؤة فقال: الحمد لله الذي لم يجعل دمي لأحد، أو عند أحد من أمة محمد ﷺ ثم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في تلك المواقف من نزيف الدماء يدخل شاب يعوده، وعليه ثوب يجره قد أسبل ثوبه إلى أسفل من الكعبين، فيقول له عمر: يا ابن أخي ارفع إزارك فإنه أتقى لربك وأنقى لثوبك[٢].

إنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر في تلك اللحظات الأخيرة، فيلتمس فيرفعه، ويقول أيضًا: لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة[٣]، حينما أخبروه بانه بقي عليه ركعة، فهذه مواقف من مواقف عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكم جمع الله به من شمل، وكم دفع الله به من نقمة على بلاد الإسلام.

هذا الصحابي الجليل لابد أن يكون حبيب قلوبنا، لأنه من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ، فلقد دخل عمرو بن العاص على رسول الله ﷺ، قال: من أحب الناس إليك؟، قال «**عائشة ابنة الصديق**»، قال: من الرجال؟، قال: «**أبوها**»، قلت: ثم من؟، قال: «**عمر بن الخطاب**» ،ثم عدد رجالًا، فسكت عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ [٤].

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه رقم (٥٨١).
(٢) صحيح: رواه البخاري رقم (٣٤٩٧).
(٣) تاريخ دمشق (١/ ٢٥٥٥٣) والدارقطني (٢/ ٢٠٩).
(٤) صحيح: رواه البخاري رقم (٣٤٦٢)، وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق ؓ رقم الحديث (٢٣٨٤).

وكان رسول الله ﷺ يقول: «أتيت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر» [١].

ويصعد مرة على جبل أحد فأراد الجبل تحركًا، فيقول له الرسول ﷺ: «**اثبت أحد، فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان**» [٢]، والمراد بالشهدين: عمر وعثمان، هذا الصحابي الجليل إن انتهك عرضه أو قدح في عدالته وجب على المسلم أن يتمعر، لأن حب عمر من الدين.

حب الصحابة والقرابة حجة   ألـقـي بهـا ربي إذا أحـيـاني

محبة أصحاب رسول الله من الدين، فإن طعن فيهم فإنما الطعن لدين الله، إن طعن في تزكيتهم طعن في أمر الله، إن طعن في عدالتهم طعن في عدالة رسول الله، لأنهم هم النَقَلَةَ، هم الذين نقلوا إلينا الدين، وهم الذين نازلوا المشركين في ساحات القتال أولئك لا غنى لنا عن محبتهم.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم   إذا جَمَعَتْنَا يا جريرُ المجامعُ

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم، وأستغفر الله لي ولكم.

(١) صحيح: رواه البخاري رقم (٣٤٨٢)، ومسلم رقم (٢٣٨٩).
(٢) صحيح: رواه البخاري رقم (٣٤٧٢).

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

عباد الله: اتقوا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- واعلموا أن هذه الدنيا فانية، وأننا خارجون منها، فوجب علينا أن نصلح ما بيننا وبين الله بالصدق والإخلاص، وبالتوبة النصوح، وبالمحافظة على أعمال البر، قال جَلَّ وَعَلَا في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

فنسأل الله -عَزَّوَجَلَّ- بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يجعلنا هداة مهتدين، وأن يرينا الحق حقًّا، فيرزقنا اتباعه والباطل......إلخ.

اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته....

اللهم أصلح أمورنا ظاهرها، وباطنها، سرها، وعلانيتها يا رب العالمين.

اللهم إنا نسألك الهدى، والتقى، والعفاف والغنى.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا.

عباد الله: صلوا وسلموا على من أمركم الله بالصلاة والسلام عليه، فقال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وقال نبينا ﷺ: «**فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا**»(١).

نسأل الله أن يجعلنا من أمته، وأن يحشرنا في زمرته، وأن يسقينا شربة هنيئة من يده الشريفة، لا نظمأ بعدها أبدًا.

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (٤٠٨).

٢٢-الصبر والجزع

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين:

آية من كتاب الله يحفظها المسلمون، لكن المتأمل فيها قليل، آية من سورة البقرة، تلكم السورة التي امتدحها محمد بن عبد الله ﷺ قائلًا «**إن أخذها بركة،**

وتركها حسرة، ولا تستطيع لها البطلة» (١)، أي لا يستطيع الجن أن تزعزع أمن من كان يحفظ البقرة أو يقرؤها، فذلك بيت محصن، لأن فيه سورة البقرة أعظم سورة وأطول سورة في كتاب الله، افتتح الله بها القرآن الكريم بعد فاتحة الكتاب، وأتت هذه الآية فيها.

يقول المولى -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ** ﴾ [البقرة: ١٥٣]، ها هو جَلَّ وَعَلَا ينادي المؤمنين والمؤمنات بهذا الخطاب اللطيف، وينسبهم إلى الإيمان تشريفًا لهم، من زمن المهاجرين والأنصار إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ثم بماذ يحثهم بهاتين الركيزتين، اللذين بهما صلاح الدنيا والآخرة: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ** ﴾ [البقرة: ١٥٣]. فهو أمر من الله لك أيها المؤمن أن تستعين على نجاح أمورك في الدنيا والآخرة، تستعين بالصبر وهكذا بالصلاة، ولقد كان ﷺ إذا حزبه أمر صلى، أي أمر يقلقه فزع إلى الصلاة.

أيا مسلمًا باع الهوى والملاهيا ... وأصبح للذكر المقدس تاليًا
توضأ بماء التوبة اليوم مخلصًا ... به ترقى أبواب الجنان الثمانية
وقل لبلال العزم إن كنت صادقًا ... أرحنا بها إن كنت حقًّا مصليًا

فيا من تشتكي الهموم والكوابيس والأحلام المزعجة، يا من تشتكي ضيق التنفس وكثرة الأعمال وكثيرًا من الهموم، ها هو الله كفل لك الأمن والراحة والاستقرار، يوم أن تفزع إلى الصلاة تجد الراحة كلها، فإذا جاءتك هموم تدك الجبال فتذكر قوله عليه الصلاة والسلام: «**يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها**» (٢)، فإنه كان إذا تشاغل بأمر فزع إلى الصلاة يصلي ما شاء الله له، ثم يجد بعد ذلك

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (٨٤٠).
(٢) صحيح: رواه أبو داود رقم (٤٩٨٥)، وأحمد رقم (٢٣١٣٧)، والطبراني رقم (٦٢١٤)، قال الشيخ الألباني: صحيح، انظر صحيح الجامع رقم الحديث (٧٨٩٢).

الراحة والطمأنينة والسكون، كيف لا وقد اتصل برب العالمين.

نحن الذين إذا دعوا لصلاتهم والحرب تسقي الأرض جامًا أحمرًا

جعلوا الوجوه إلى الحجاز فكبروا في مطلع الـروح الأمـين فكبرا

وأما حديثنا فَهو ما يتعلق بأمر الصبر، فالصبر محمود كله في دنياك وأخراك، وسرك وعلنك في أمورك كلها، فإن معية الله مع الصابرين الصبر، عباد الله امتدحه بعض الأدباء قائلًا:

الصبر مثل اسمه مـرّ مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

فالصبر مرّ أوله لكن آخره عظيم ، ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٠]، وقال سبحانه: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

الصبر على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: صبر على أقدار الله ما نزل من مصائب السماء استلقفه العبد المؤمن راضيًا بقضاء الله.

قال –سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ–: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥- ١٥٦].

قال سبحانه: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [الحديد: ٢٢].

فكل أمر فبتقدير الله، فإذا بتليت يا سملم بفقد الأولاد، أو بموت احد أقاربك، أو أهلك، أو أصدقائك، فعز نفسك بالصبر، إن أصاب مالك جائحة فعز نفسك بالصبر، إن أصبت بمكروه عز نفسك بالصبر، فالصبر حميد، كله،

تجد الخير كامنًا في الصبر، وإن أنت لم تصبر فما غيرت من حقيقة الأمر شيئًا، لكنها هموم وعاقبة سوء وإن كان الأمر كذلك.

دع المقادير تجري في أعنتها ولا تبيتن إلا خالي البال

ما بين ومضة عين وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ النبي الكريم ذلكم العبد الصالح، حينما جاءه أولاده عشاء يبكون، ورُبَّ ظالم باكٍ زاعمين أن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أكله الذئب، وما كان من ذلك من حقيقة، لكنه حسد وابتلاء، إنه حسد وابتلاء فماذا كان من العبد الصالح قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، واستمر يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في غيبته، قيل خمسين عامًا وقيل أكثر من ذلك، وهو صابر على قضاء الله، وفي نهاية المطاف كان التعويض من الله، اجتمع يوسف بأبيه، ورأى الأب ابنه، وقر الله عينه، وجاء إخوة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يعتذرون، فما كان صاحب النفس العظيمة، لينتقم لنفسه، لكنه صبر، قالوا: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف: ٩١]، هكذا يمتدحونه في وجهه ظانين أنه سينتقم، فإذا به يقول: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف: ٩٢]، سامحهم كلهم، وما انتقم لنفسه، وهكذا صاحب النفس العظيمة، لا ينتقم أبدًا لنفسه.

لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب ولا ينال العلا من طبعه الغضب

أيوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذلكم العبد المبتلى، نبي اجتباه الله لكنه ابتلاه بوجع في جسده ثمانية عشر عامًا، قلاه القريب والبعيد عدا زوجته، ذات ولاء لزوجها، صبرت مع هذه النبي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لقد كانوا يجدون الريحة المنتنة من أيوب ﷺ فأخرجوه إلى خارج البلدة، ويستمر هكذا في ألامه إلى أن شفاه الله، وتوجه بحلة عظيمة،

قال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

اصبر لكل مصيبة وتجلد　　واعلم بأن المرء غير مخلد

فإذا أتتك مصيبة تشكو بها　　فاذكر مصابك بالنبي محمد

من الصالحين الأخيار رجل من رواة الحديث، هذا الرجل عروة بن الزبير جده أبو بكر الصديق، وأمه أسماء ذات النطاقين، وجده الأعلى رسول الله ﷺ هذا الراوية يسمى بعروة بن الزبير كان من حفاظ الحديث والأثر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، سلط الله عليه في جسده، على أنه من الصالحين وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، وإنما ابتلي الرجل على قدر دينه» (١).

سلط الله عليه آكلة في رجله ما يسمى الآن بمرض السرطان، فقرر الأطباء بتر تلك القدم، وفعلًا نفذوا قطعها، وبينما هم يقطعونها إذا به يفقد أكبر أولاده محمد، يموت ابنه الأكبر، وجاءه المعزون قائلين له: أحسن الله عزاءك في ابنك وقد مات، قال: الحمد الله اللهم قد أعطيتني رجلين فإن أخذت واحدة فقد أبقيت لي أخرى، وأعطيتني ولدين فإن أخذت أحدهما فقد تركت لي الآخر، وأما أهل الإرجاف فقال قائلهم: ما نزل هذا البلاء بهذا العبد إلا لذنب عظيم، وهكذا ما أكثر المتقولين:

كم تطلبون لنا عيبًا فيعجزكم　　ويكره الله ما تأتون والكرم

هكذا يفترون وهو من العلماء الافذاذ ولكن كما قيل: والجاهلين لأهل العلم أعداء، فإذا بعروة يبكي من شدة الألم يبكي بكاء عنيفًا .

---

(١) صحيح: مسند الطيالسي رقم (٢١٥)، وشعب الإيمان رقم (٩٧٧٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع حديث رقم (٩٩٤).

ثم يتمثل بأبيات من شاعر مضى:

لعمرك ما أهويت كفي لريبة ولا حملتني نحو فاحشة رجلي

ولا دلني رأي عليها ولا عقلي واعـلـم أني لم تصبني مصيبة

من الدهر إلا قد أصابت فتى

هذا هو القسم الأول من أقسام الصبر.

وأما القسم الثاني: فهو صبر عن معصية الله، ترى الناس يعاقرون المعاصي والذنوب يسمرون أعينهم فيما ينغص حياتهم، ويقض مضاجعهم، يسمعون أفكارهم يسممون بطونهم بالحرام، بالرشوات، بأمور كثيرة لكنك قد عصمت نفسك عبد الله فأنت إذن من الصابرين، ترى غيرك من ذوي المال والثراء يذهب هنا وهناك، يتسكع بآخر موديل، ويعاكس بهاتفه، يمشي هنا وهناك، لكنك قد تعففت يا عبد الله، فأنت حينئذٍ من الصابرين الذين صبروا على طاعة الله، ولك أسوة في الكريم ابن الكريم يوسف، ذلك الشاب الوسيم الذي نادته امرأة العزيز قالت: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]. وأبى يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يعاقر المصية، وفضل أن يدخل السجن بريئًا قبل أن يتلطخ بجريمة الزنا.

احفظ منيك ما استطعت فإنه مـاء الحياة يصب في الأرحـام

أحد الصالحين كانوا ثلاثة نفر آواهم المبيت إلى غار، فانحدرت عليهم صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقال بعضهم لبعض: لا ينجيكم من هذا إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، فإذا أحد الثلاثة يتوسل إلى الله بعفته وبصبره عن المعصية والجريمة فاستجاب الله دعاءه، وكشف الله ما بهم من البلاء أتدرون ما قصته؟ .

قال: اللهم إنه كانت لي ابنة عم، وكنت أحبها أشد ما يحب الرجال النساء فأردتها عن نفسها عن طريق الحرام، فأبت عليّ، فألَّمت بها سَنة من السنين، أي حصل عندها فقر وجفاف ما عندها مال، فجاءت إلى هذا الرجل قالت: أعطني مالًا، قال: حتى تخلِّي بيني وبين نفسك، قالت: أفعل، فلما أعطاها المال استجابت له، فلما أن قعد أمامها قالت له اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، قال: فانصرفت عنها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة وخرجوا يمشون (١).

وهكذا كان العفاف مظهرًا لأصحابه، وهكذا إنما تسمو الأمة بنزاهة أفرادها، وعفة شبابها ونسائها.

من يُــزْنَ بزني به ولو بجداره ... إن كنت يا هــذا لبيبًا فافهم

وأما القسم الثالث- فهو صبر على الطاعة، فما من أحد من المسلمين إلا وهو يحتاج أن يصبر نفسه على طاعة الله، فإن الشيطان لك يا مسلم بالمرصاد، فلقد ثبت الأنبياء أنفسهم والصالحون من بعدهم، وهكذا دواليك، فما من أحد من الصالحين إلا وقد جاء الشيطان يريد أن يفضي به إلى الشر، وإلى النار، لكنه يأبى عليه ذلك.

قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٠-٦٢].

فالصبر عاقبته حميدة ، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

---

(١) صحيح: رواه البخاري رقم (٢١٠٢)، وأخرجه مسلم في الذكر والدعاء باب قصة أصحاب الغار الثلاثة، رقم الحديث (٢٧٤٣).

ففي هذه الأقسام الثلاثة صبر على الأقدار، وصبر على الطاعات، أو صبر على المعاصي والموبقات، فكل ذلك حميد عند الله، ونبينا ﷺ يقول: «**والصبر ضياء**»(١)، أي أنه يضيء لصاحبه الطريق، ويخرجه من مضايق الأمور، وسوف تسمعون ما يكون عكسًا للصبر في الخطبة الثانية إن شاء الله .

استغفروا الله يغفر لكم.

(١) صحيح: رواه مسلم رقم الحديث (٢٢٣)، عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والعاقية للمتقين، ولا أمل ولا رجاء إلا في الله رب العالمين، اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

معاشر المسلمين:

إن ما يكون عكس الصبر هو أن يجزع الإنسان ولا يرضى بما قدر الله، فإنه إن لم يرض بذلك فإن عواقب المخالفة وخيمة، فمن لم يرض بأن يوطن نفسه على الصبر على أقدار الله ربما أفضى به ذلك إلى الابتلاء بأمراض شتى، كالضغط والسكر، وهكذا أمراض نفسية وعصبية، وربما مرض من ذلك كثيرًا، ورمبا مات البعض من هول المصيبة، فكم من رجل نُبِّئَ بمصيبة، فما كان منه إلا أن مات إذا احترق ماله، أو مات أبوه أو أمه أو أخبر من ذلك بشيء، حينها لا يتمالك نفسه، وإن الإسلام قد وجهنا أعظم توجيه، فالصبر لاهميته قد ذكر في القرآن في أكثر من تسعين موضعًا، وما ذلك إلا لأهميته.

صبرت ومن يصبر يجد غض صبره ... ألذ وأحلى من جنى النحل في الفم

فيا أيها المسلم أنت في ليلك ونهارك، في سرك وعلنك، تحتاج إلى الصبر، مع زوجتك مع أولادك مع جيرانك، وأنت في مرافق الدولة في عملك، مع موظفيك، ومع المراجعين، وتحتاجه وأنت في سيارتك، يوم أن يعاكسك البعض وأنت ترد على سماعة الهاتف والمؤذن يؤذن، فلابد أن تلبي نداء الله وأنت نائم قبل الفجر، والمؤذن يؤذن.

منائركم علت في كل ساح ومسجدكم من العباد خالي
وزلزلة الأذان بكل حين ولكن أين صوت من بلال

فتحتاج إلى الصبر على مدار اليوم والليلة، ولقد جاء رجل إلى النبي ﷺ والحديث في الصحيحين قال: يا رسول الله أوصني، قال: «**لا تغضب**» **فردد مرارًا، قال: لا تغضب**» (١)، قال الصحابي فعلمت أن الغضب قد جمع الشر كله، فكم من رجل غضب غضبة قوية فهرف بما لا يعرف فطلق زوجته، وربما تكون الطلقة الأخيرة وربما ضرب ابنه فأرداه قتيلًا، وبعض الناس ربما يغضب غضبًا فيرديه إلى القتل، فالإسلام إذًا دلنا على شيء فإن فيه الراحة والسعادة والخير في الدنيا والآخرة.

وهكذا يا معاشر المسلمين نسأل الله السلامة والعافية، أنت أخذت بهذه الخصلة يجب عليك أن تتقي الله في الغير، وعلى الغير أن يتقي تالله تعالى فيك، فإذا علمت أن زوجتك تغضب من أمر كذا فلا ينبغي أن تغضبها، وأنت أيتها المرأة إن شعرت أن زوجك يغضبه كذا فلا تغضبيه، ربما تتحمل إثّما، وهكذا أنت يا مسلم إن شعرت أن أحد إخوانك المسلمين يغضب من كذا، فلا ينبغي لك أن تتسبب في إيذائه، فأذية المسلمين حرام، اسمعوا إلى ما قاله نبينا ﷺ وقد صعد على المنبر قائلًا: «**يا معشر من قد أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم، ولا تتبعوا عوارتهم، فمن تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله**» (٢).

فإذا ما شعرت بغضب وكما في الحديث: «**وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين**

(١) صحيح: رواه البخاري رقم (٥٧٦٥).
(٢) صحيح: رواه الترمذي رقم (٢٠٣٢)، وابن حبان رقم (٥٧٦٣)، والطبراني رقم (١١٤٤٤)، قال الألباني: حسن صحيح ، راجع مشكاة المصابيح رقم (٥٠٤٤)، وصحيح الترغيب والترهيب رقم (٢٣٣٩).

التوابون» (١).

ومن ذا الذي لا يغضب فكلنا ذلك الرجل لكن هناك بعض الأدوية هذه الأدوية هي من صيدلية محمد ﷺ قال ﷺ: «**إذا غضب أحدكم فليسكت**» (٢)، وفي رواية: «**فليتوضأ فإن ذهب ما يجد وإلا فليرقد**» (٣)، هذه توصيات محمد ﷺ.

معاوية بن أبي سفيان ذلكم الرجل الذي ضُرب به المثل في الحلم والأناة، ملك الدنيا شرقًا وغربًا عشرين عامًا ڤ، جاء رجل إلى باب الإمارة فأغضبه بكلام قذر، فدخل معاوية إلى البيت إلى قصر الإمارة، فاغتسل، ثم صلى ركعتين، ثم لبس ثيابًا أخرى، وخرج قال له بعضهم: ألا أمرت به، قال: كان الشيطان يريد أن يكون لي وله سبيلًا فقطعته عليه.

ويروى في سيرة عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ الخليفة الراشد: أنه مر برجل وهو نائم على الرصيف في الليل في الظلام، فركضه عمر برجله وهو لا يدري، فقام الرجل وقال له: أمجنون أنت؟، فقال عمر: أنا لست بمجنون، ومشى، قال الجند: نأخذه إلى السجن، قال: لا تأخذوه إنما سألني فأجبته، لو حصل هذا في زماننا ربما رد الصاع صاعين، هكذا والعياذ بالله .

والله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]، والتطفيف سواء كان في الكيل، أو في السباب والشتام، أو في العداوة والبغضاء، فصاحب النفس العظيمة لا يحمل فيها إلا الخير والصلاح للبلاد والعباد ولمجتمعه وهكذا، والله إن سلكنا هذا الباب باب الصبر لرأيت الوئام، ولرأيت الخير

---

(١) صحيح: رواه الترمذي رقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه رقم (٤٣٥١)، وأحمد رقم (١٣٠٧٢)، وقال الألباني: حسن، انظر صحيح الجامع رقم (٤٥١٥).

(٢) صحيح: رواه البخاري في الأدب المفرد رقم (٢٤٥)، وأحمد رقم (٢١٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٩٣).

(٣) صحيح: رواه البيهقي رقم (٨٢٩١) في شعب الإيمان.

كله، ولخف الناس من المراجعات في المحاكم والسجون، وفي كثير من القضايا لا سيما عند زحمة السيارات، مثلًا عند خروجهم من المساجد في مرافق الدولة أمور كثيرة، لو أن الناس سكلوا هذا الباب لوجدوا الخير كله، واسمعوا إلى ربكم ماذا يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

أسأل الله بمنه، وكرمه وبأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يجعلنا هداة مهتدين.

اللهم اجعلنا من عبادك الصادقين الصابرين.

ربنا آتنا في الدنيا حسَنة، وفي الآخرة حسَنة، وقنا عذاب النار.

٢٤- خطبة عيد الفطر

الخطبة الأولى:

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله سيد الأولين والآخرين، بعثه رحمة للعالمين، وحجة على الناس أجمعين أنار الله به عقول البشرية، وزلزل به كيان الوثنية، فصلوات ربي وسلامه عليه دائما سرمديًا أبدًا، عدد ما ذكره الذاكرون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون.

معاشر المؤمنين:

نحمد الله تعالى الذي جعلنا مسلمين، إنها والله لنعمة جزيلة يوم أن جعلنا الله من أهل الإسلام والإيمان، وجعلنا من أمة محمد ﷺ خير الأنام.

بشرى لنا معشر الإسلام أن لنا ... من العناية ركنًا غير منهدم
لما دعا الله داعينا لطاعته ... بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

نحمد الله على كل نعمة أسداها علينا، نحمده سبحانه أن فرض علينا الصلاة. فكان فيها راحتنا وسكينتنا، والخير كله في الدنيا والآخرة، ونحمد الله على فريضة الصيام يوم أن فرضه الله علينا، وكان في ذلك تزكية وتربية لنفوسنا، نحمده على نعمه الظاهرة والباطنة وأعظم نعمة هي نعمة الإسلام، والإيمان قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]. فكانت هذه الأمة أمة مرحومة فضلها الله على سائر الأمم والنحل، وكان دينها سهلًا ميسرًا على النفوس، إن دين هذه الأمة

عقيدة صحيحة تتمثل بالإيمان بالله أو بملائكته .....إلخ.

هذه أصول الإيمان ما أسهلها على النفوس، فليس في هذا الدين إلا معتقد صحيح يصل العبد بربه جَلَّ وَعَلَا، فيكون العبد مؤمنًا قوي الإيمان، وإن ترك هذا السبيل ضاع والله ضياع الأنعام.

إذا الإيمان ضاع فلا حياة ولا دنيا لمن لم يحي دينًا

ومن رضي الحياة بغير دين فقد جعل الفناء لها قرينًا

ثم كان من نعم الله، أن دلل الله على نفسه بآياته السمعية وآياته البصرية، فما نرى شيئًا من مخلوقات الله إلا دلك على الله -عَزَّوَجَلَّ- فلا يمكن أن يكون هذا الكون وجد صدفة، أو من غير موجد، وإنما الموجد له هو الله تبارك وتعالى.

وفي كل شيء له آية تدل أنه الواحد

فالسماوات دليل على وجوده، والأرضون دليل على ذلك، والناس دليل على جود الله، وكل المخلوقات دلالة واضحة على وجود الله، كان هذا ما يتعلق بأمر المعتقد، وأما ما يتعلق بأمر العمل، فالأعمال ميسورة أيضًا فرضي الله -عَزَّوَجَلَّ- علينا الإسلام، المتمثل بشهادة أن لا إله وأن محمدًا رسول الله.

فأما إقامة الصلاة فمعناها إقامة صحيحة بشروطها وأركانها، ولقد توعد الله من تخلف عن ذلك بالغيَّ فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴾ [مريم: ٥٩].

فكان هذا الدين متمثلًا في مثل هذا الأمر الميسور، فقوموا عباد الله بتأدية صلاتكم على الوجه المطلوب في رمضان وفي غير رمضان، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم، إذا بلغ النصاب وحال عليها الحول وهكذا، صوموا لله كما أمركم في كتابه وأدوا شعيرة الله فيما يتعلق بأمر الحج والعمرة، فما إن خرجنا

من طاعة الله ما يتعلق بأمر الصيام إلا ودخلت علينا أشهر الحج، هذا اليوم هو أول أيامها هذه فرائض شرعها الله، وأما أركان الإسلام فهي متمثلة بمثل هذا، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: ٢٢].

هذا إسلامنا، وهذه عقيدتنا فكلها خير، وكلها محاسن والله أمر بصلة الأرحام، وأمر ببر الوالدين، وحرم العقوق، أمر الله بالبيع وحث عليه، وحرم علينا الربا، أمر الله وحث بالزواج، وحرم علينا الزنا، أمر الله بكل فضيلة، ونهى عن كل رذيلة، فكلما تتأمل في كتاب الله، أو في سُنَّة رسوله، أو في الدين، من حيث هو رأيته والله محاسن ومصالح كله.

والدين جاء لسعادة البشر ... ولانتفاء الشر عنهم والضرر

يا عباد الله:

إسلامنا وقرآننا هو والله الخير كله، والسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، وأن من حاد عن هذا الطريق ليجد والله الضلالة والغواية، كان ذلك متمثلًا في دين اليهودية، أو المسيحية النصرانية، أو البوذية وما شابهها أو النِّحَل المبتدعة، التي خالفت هدي النبي ﷺ والله إنهم في ضلال.

ظنوا النجاة بغير دين محمد ... تبًّا لهم من ذلك الظن الردي

العز بالإسلام يا دنيا اسمعي ... والنصر معقود بمبدأ أحمد

من حاد عن نهج الكتاب وما به ... لا خير فيه وبالمذلة مقتدي

يا عباد الله:

صمتم ثلاثين يومًا، هل تشعرون بألم الجوع والعطش واللأواء؟ لا تجدون شيئًا من ذلك، لقد توج الله شهر الصيام بهذا اليوم المبارك، يوم عيد الفطر، كان

ناتجًا لتلك الأيام، جعله الله فرحة وهكذا كل الليالي والأيام بالنسبة للمؤمن، هي والله فرح، بقول الله -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]، فلا ينبغي للعبد أن يكون عارفًا لله في رمضان، فإذا ما انتهى رمضان رجع إلى المعصية يعانقها، بقول بعض الصالحين: بئس القوم الذين ما عرفوا الله إلا في رمضان وجب عليك أن تعرفه في رمضان، وفي غير رمضان، وأن تكون متصلًا به، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ من أراد السعادة الأبدية، فليلزم عتبة العبودية.

أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

معاشر المؤمنين: إن اجتماعنا في مثل هذا اليوم ليذكرنا باجتماعنا بين يدي الله يوم يقول الناس لرب العالمين.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢].

إن اجتماعنا في هذا اليوم لدليل على اجتماعنا بين يدي الله، فإن اجتمعنا اليوم وقد لبسنا الجديد واعددنا لأن نلتقي لتأدية صلاة العيد، إن اجتماعنا بين يدي الله حفاة عراة غرلًا، فما ظنكم عباد الله وقد اجتمعنا بين يدي الله، إذا كان الأمر كذلك فلا ينبغي أن نغتر بالدنيا، إنما والله هي خِرَقٌ تبلى، وأجسام تنخرها الدود، وليس لنا فيها خلود، وإنما هي أيام دون أيام.

تفني اللذاذة ممن نال صفوتها ... من الحرام ويبقى الإثم والعار

هذه الدنيا ما صفا كدرها للأنبياء، ولا الصالحين، إن أكلت أُصبت بضيم، وإن جعت أصبت بضيم، وإن كنت في حالة من الغنى كنت مشتكيًا الضيق والحرج، فإن كنت فاقدًا له اشتكيت الفاقة، وهكذا حال الناس.

صغير يطلب الكِبَرا ... وشيخًا ودَّ لو كَبِرا

وخــــالٍ يـشـتـهـي عـمـلاً وذو عــمــل بــه ضَــجِــرًا
ورَبُّ المــــال في تـعـبٍ وفي تــعــب مـــن احــتــقـرا
أَهُـــمْ حـــاروا مـع الأقــدار أَمْ هَـــمْ حَـــيَّرُوا الــقَــدَرا

ما صفا كدرها للمصطفين الأخيار للأثرياء والرؤساء إنهم إنهم والله في حالة من الضنك، وهكذا الدنيا لأنها مهددة بالموت والفناء.

حكم المنية في الـبرية سـاري مـا هـذه الـدنـيـا بـدار قـرار
طبعت على كدر وأنت تريدها صفوًا من الأقـذار والأكـدار
ومكلف الأيــام غـير طباعها متطلب في المـاء جـذوة نار

يا عباد الله :

يجب أن نهتم بالدين، يقول ابن عمر الصحابي الجليل: الدين يا ابن آدم أغلى من دمك ولحمك، أنت إنما أنت ابن الدين، اليهودي يموت في سبيل يهودته، والنصراني كذلك والبوذي كذلك، وهكذا صاحب الشهوة والخلاعة والرقاعة، وأنت عبد الله تركت الدين من أجل قناة فضائية، أو من أجل أمور دنيوية، يجب أن تعقل وأن تعي وأن تعرف أننا إنما خلقنا الله من أجل إقامة دينه في الأرض، يجب أن ننصر الله في أرضه، وإن نصرناه نصرنا، يقول -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

فلنُري الله من أنفسنا خيرًا، لنجعل جوارحنا عابدة لله، ممتثلة أمر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

يا عباد الله: إن الطاعات كثيرة فمن أعظم الطاعات بعد انتهاء شهر رمضان صيام ست من شوال، ولا بأس أن تبادر، او أن تؤخرها، أو أن تفرقها، يقول

ﷺ: **«من صام رمضان، ثم أتبعه بست من شوال، فكأنما صام الدهر كله»** (١).

وقبل انتهائي من موعظتي أحب أن أكلم الرجال أن يحافظوا على الصلاة، وبأن يأمروا نساءهم وأولادهم بتأديتها، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوقظ أهله في الصباح.

ويقول(٢) قال الله: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

وأحب أن أوجه نصيحة للنساء، أن يتقين الله -سبحانه وتعالى- وأن لا يغترون بلموضات والموديلات، أن لا يُفْتَنَّ أو يخرجن متبرجات، فقد قال ﷺ: **«صنفان من أهل النار لم أرهما قط نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات كأن على رؤوسهن البخت، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها»** (٣).

هكذا يحذر رسول الله ﷺ من تبرج المرأة وقبل يقول الله -تعالى- :﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

فحافظي على دينك يا أمة الله، وحافظي على بيتك وزوجك وأولادك، ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، وإياك أن تكوني فتنة، أو تتعرضي لها، فإن الله يمقت لذلك كثيرًا، يقول ﷺ: **«فإن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»** (٤)، وهذه نصيحة للرجال والنساء أيضًا، أن يتقوا الله تعالى في أولادهم، وفي أموالهم، وفي أعمالهم، وفي أيامهم ولياليهم، فعمرك أمانة عندك عبد الله، الدين أمانة عندك إياك إياك قبل أن تعض على يديك.

فلا يذهبن العمر منك سبهللاً ... ولا تغبنن بالنعمتين بل اجتهد

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١١٦٤).

(٢) صحيح: رواه مالك رقم (٢٥٩)، وعبد الرزاق (٣/ ٩٤)، ومشكاة المصابيح رقم (١٢٤٠).

(٣) صحيح: أخرجه مسلم في كتاب اللباس (٢٤/ ٢١٢٨).

(٤) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٧٤٢)، وأحمد رقم (١١١٨٥)، والنسائي رقم (٩٢٦٩)، عن أبي سعيد .

فمن هجر اللذات نال المنى ومن أكب على اللذات عض على اليد

فقبل أن تندم وتتـأوه وتقول: ﴿ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴾ [المؤمنون: ٩٩] ، أو تقول: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴾ [الفجر: ٢٤]. فها أنت في وقت الصلاح تستطيع أن تعانق الطاعة، وتستمر عليها إلى أن يبعثك الله تعالى، ثم يا عباد الله اشعروا فيما أنتم عليه من الأمن والأمان والخير، الذي انتم فيه، وتذكروا حالة إخوانكم في العراق، أو في فلسطين، أو في بلاد الباكستان، فلقد قتل بسبب الزلزال أكثر من ثلاثة وسبعين ألف قتيل، فلنحمد الله على ما نحن فيه من الخير، ولنكثر من الاستغفار، والتوب، والإنابة، ولنشكر الله على ما أتانا من النعم، فإن الشكر تقييد لها، والكفران سبب في زوالها.

يقول سبحانه: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ١٥ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴾ [سبأ: ١٥- ١٦].

فالإعراض كفران النعم، سبب للهلاك والزوال، وبلغ من حال رسول الله أن كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، ومن تحول عافيتك، ومن فجأة نقمتك ومن جميع سخطك**» (١)، هذا اليوم ليس يوم معاصي، ولا ارتكاب

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (٢٧٣٩)، وأبو داود رقم (١٥٤٥)، والحاكم رقم (١٩٤٦)، والبخاري في الأدب المفرد رقم (٦٨٥).
فائدة: والحديث رواه مسلم عن أبي زرعة الرازي، أحد حفاظ الإسلام وأكثرهم حفظًا، ولم يروي مسلم في صحيحه عنه غير هذا الحديث، وهو من أقران مسلم، وتوفي بعد مسلم بثلاث سنوات مائتان وأربعة وستون.
فائدة: معاني الحديث: (فجأة نقمتك)، الفجأة على وزن ضربة، وهي بضم الفاء، وفتح الجيم، وهي البغتة والنقمة المكافأة بالعقوبة والانتقام بالغضب والعذاب. وقيل أي بغتة عقوبتك وغضبك (وجميع سخطك)، أي ما يؤدي إليه أو جميع آثار غضبك، وقيل سائر الأسباب الموجبة لذلك.

محرمات، فيا عباد الله يوم العيد هو يوم إقامة شعائر الله في أرضه، فحصنوا أنفسكم وتجنبوا المعاصي ما استطعتم إلى ذلك سبيلًا، وصلوا أرحامكم من غير ارتكاب الذنوب والمعاصي، فلا يجوز مصافحة المرأة الأجنبية، ولا يجوز الدخول عليها، فإن كان ذلك ابنة عم أو ابنة خالة أو ما شابه ذلك لك أن ترسل لها مَن بعيد بما يسَّرَ الله به من الهدايا، أو أن تتصل بها اتصالًا، وهكذا أيضًا فيمن كان في قلبه من أخيه شيء فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، وهكذا وجب علينا جميعًا أن ننصح أعمالنا، وأن نصفي قلوبنا، الناس على وجه العموم والصالحون، وطلاب العلم على وجه الخصوص يجب على الدعاة أن يتصالحوا، وأن يتصافحوا فيما بينهم فإن العدو لنا بالمرصاد.

ماذا التقاطع في الإسلام بينكم ... وأنتم يا عباد الله إخوان

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلام وإيمان

يجب أن نوحد صفوفنا، فإنه أصل من أصول الإسلام، التي أمر الله بها قال تعالى: ﴿ **وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ** ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فلا ينبغي للمسلم أن يمر من جانب أخيه، وكأنه مر من جانب جيفة حمار، فلا يسلم عليه، ولا يصافحه، وكأنه لا يعرفه، أعوذ بالله صار الولاء غير ذلك، والولاء يقول سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ** ﴾ [المائدة: ٥٥].

هذا حزب الله الذي يوالي لله، ويعادي لله، يعطي لله، ويمنع لله الحزبيات، والعصبيات، والطائفية والثغرات الجاهلية هذه ليست من دين الإسلام، الإسلام أمة واحدة قال -سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ **وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ** ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

فنحن أمة لا نسمح لمن يفرقنا، أو يحزبنا، أو يشتتنا، لما سمع الرسول ﷺ مَنْ يقول: يا للأنصار، وقال الآخر: يا للمهاجرين قال: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم دعوها فإنه منتنة»[1].

يا عباد الله:

يجب أن نتقي الله فيما نأتي ونذر، ويجب أن نراقب الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- في السر والعلن، ومن أراد الخير كله فواتحه وخواتمه، أوله وآخره، فليحمد الله فيما أنعم به عليه، وليؤدّ شكر تلك النعم، وليكن عبدًا متقيًا لله في السر والعلانية، يقول سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢- ٣].

نسأل الله بمنه وكرمه وبأسمائه الحسنى وصفاته العلى، أن يجعلنا من عباده الصالحين، وأن يرفع درجاتنا في المهديين، وأن يرينا الحق حقًّا، فيرزقنا اتباعه، والباطل باطلًا فيرزقنا اجتنابه.

اللهم ارزقنا الاستقامة بعد رمضان، ووفقنا للتوبة النصوح.

اللهم آتنا في الدنيا حسَنة، وفي الآخرة حسَنة، وقنا عذاب النار.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

(١) صحيح: رواه البخاري رقم (٤٦٢٢-٤٦٤٢)، ومسلم رقم (٢٥٨٤).

٢٥- خطبة عيد الأضحى

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين والمؤمنات:

إنكم في يوم مبارك، إنه يوم عيد المسلمين في مشرق الأرض ومغاربها، هذا اليوم هو يوم العيد، وهو يوم النحر، وهو يوم الحج الأكبر وهو يوم من أيام

التشريق، وهو يوم من أيام ذي الحجة وهو شهر حرام، إنه يوم معظم عند الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فنحن في هذه البلدة وغيرنا في بلد شتى، إخواننا الحجيج ينصرفون عن المزدلفة إلى منى، فبعضهم واقف عند المشعر الحرام، ذاكرًا وداعيًا متواضعًا لله سبحانه، وآخر في الطريق إلى رمي جمرة العقبة الكبرى، تحية منى، وآخر يذبح، وآخر يحلق، وآخر يطوف، أو يسعى، إنهم يؤدون مناسك هي من أعظم مناسك الحج في هذا اليوم العظيم.

عباد الله:

هذا اليوم هو يوم مبارك، وأعظم وأفضل ما يتقرب به ابن آدم إلى ربه إراقة دماء الأضحى، هذه الأضحية يتقرب بها العبد إلى ربه سبحانه كما قال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَـٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

وهذه الأضحية هي سُنَّة أبينا إبراهيم خليل الرحمن، أو سُنَّة ابنه إسماعيل، كما قال المولى تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، فهي رؤيا رآها إبراهيم، ورؤيا الأنبياء حق، كما قالها نبينا ﷺ فإذا بالأب الصالح، يعرض الأمر على الابن الصالح، فما كان من الابن إلا الاستسلام والانقياد والإذعان لأمر الله أولًا، ثم لأمر أبيه ثانيًا، إنه لأمر جلل يا عباد الله نبي يرى في المنام أن يذبح ابنه، وفلذة كبده وما جاءه إلا بعد الثمانين، إنه سن اليأس.

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ... ثمانين حولًا لا أبا لك يسأم

وبعد أن يأتيه الولد يأمره الله برؤية منامية أن يذبحه، فما كان ليخالف أمر الله، وإنما انقاد واستجاب، فعرض الرؤيا على ولده ﴿قَالَ يَـٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾ [الصافات: ١٠٢- ١٠٣]، أي

الأب والابن بضمير التثنية ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣] ، أي صرعه على وجهه وأضجعه كما تضجع الأضحية ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ [الصافات: ١٠٤-١٠٧]. ففدى الله إسماعيل بذبح عظيم، وهو كبش عظيم سمين، فكانت سُنَّة أبينا إبراهيم ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ﴾ [الحج: ٧٨].

وإراقة دماء الأضاحي هي سُنَّة محمد بن عبد الله ﷺ سُنَّة مؤكدة، على القادر المستطيع، وبعض أهل العلم يذهب إلى وجوبها، وهذه الأضحية ليست عبارة عن لحم يؤكل، وإنما هي قرب يتقرب بها العبد إلى الله، فلابد لها إذن من شروط، لابد أن تبلغ السن المعتبر، فإن كان من الإبل فخمس سنين، وإن كان من البقر فسنتين تامتين داخلة في الثالثة، وإن كان من الغنم معزها فلابد أن تبلغ حولًا كاملًا، وإن كان من الغنم ضأنها فلابد أن يبلغ نصف عام أو عامًا كاملًا، خلاف بين أهل العلم في ذلك، والخروج من الخلاف مستحب، كما يقوله علماؤنا.

الشرط الثاني: لابد أن تكون سليمة وخالية من العيوب، فقد روى أهل السنن من حديث البراء أن النبي ﷺ قال: «**أربع لا تجزئ في الأضاحي: العوراء البين عورها والمريضة البين مرضها، والعرجاء البين ضلعها، والكسيرة التي لا تنقي وهي الهزيلة**»(١)، وغيرها من باب أولى، فلا يجوز أن يضحي بمقطوعة القدم، أو الرجل، ولا يجوز الأضحية بمقطوعة الإلية، ولا العمياء، ولا الجرباء، فإن الجرب مرض بَيِّن، فلابد أن يتحاشى هذا الأمر.

الشرط الثالث: لابد أن تكون في وقت الذبح، ووقت الذبح من بعد صلاة

(١) صحيح: رواه أبو داود رقم (٤٣٦٩)، وابن ماجه رقم (٣١٤٤)، وأحمد رقم (٨١٥٣٣)، والترمذي رقم (١٤٩٧)، والدارمي رقم (١٩٥٠)، والنسائي رقم (٤٣٦٩)، وابن حبان رقم (٥٩٢١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨٨٦).

العيد إلى غروب الشمس آخر يوم من أيام التشريق، وهو يوم العيد، وثلاثة أيام بعده ما يسمى برابع العيد، فهذه الأيام يجوز الذبح فيها ليلًا ونهارًا، أما ما يفعله بعض الناس يكبر على الأضحية في هذه الأيام الثلاث، ثم بعد ذلك يذبحها بعد شهر أو شهرين فهذا أمر ليس له أصل في الكتاب ولا في السُّنَّة، بل هو أمر محدث، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، هذه الأيام الثلاث هي أيام التشريق يبينها ﷺ بقوله: «**أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر لله -عز وجل-**» (١). فلا يجوز الصيام في هذه الأيام الثلاث، لأن هذا من الغلو في الدين والنبي ﷺ يقول: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**» (٢).

عباد الله:

كبروا الله، الله أكبر الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر ولله الحمد.

يا عباد الله: استجيبوا لداعي الله، فإن من استجاب لداعي الله فاز بخيري الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٤]. استجيبوا لربكم -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فإنه والله لا فلاح لنا، ولا سعادة لنا في الدنيا والآخرة إلا بالإسلام.

بشرى لنا معشر الإسلام أن لنا ... من العناية ركنًا غير منهدم

لما دعا الله داعينا لطاعته ... بأكرم الرسل كنا أكرم الأمم

---

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (١١٤١)، ومالك رقم (٨٣٨)، والترمذي رقم (٧٧٣)، وأبو داود رقم (٢٨١٣)، وصححه العلامة الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٧١٣).

(٢) صحيح: رواه النسائي رقم (٣٠٥٧)، وابن ماجه رقم (٣٠٢٩)، وابن حبان رقم (٣٨٧١)، والحاكم رقم (١٧١١)، وابن خزيمة رقم (٢٨٢٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٦٨٠).

نحن أكرم أمة على الله، يوم أن نتمسك بشرع الله، ويوم أن نطبق منهج رسول الله، ويوم أن نتنصل من ذلك، فنحن والله لا نسوى شيئًا بل نهون على الله.

ومـن يهن يسهل الهـوان عليه　　مـا لجـرح بـميـت إيـلام

عباد الله: السعادة كل السعادة، والخير كله في دين الله، وفي منهج محمد بن عبد الله، ومن أعظم ذلك أركان الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، أن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، والحج.

وأركان الإيمان: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

عباد الله: حافظوا على صلواتكم، وعلى صلة أرحامكم، تَفَقَّدوا أبناءكم وبناتكم وتفقدوا قلوبكم، وتذكروا مآسي المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، إننا نعيش في أمن ودعة نرفل في كثير من النعم، ومن إخواننا المسلمين في البوسُنَّة والهرسك وفي أرض فلسطين وفي كثير من الدول التي أصيبت بالزلزال، أو المشاكل المتتالية من حروب وغيرها، إنهم يعيشون في هذا اليوم تحت دوي الدبابات، والطائرات، والمفجرات وغيرها، لا يأمنون، فلتتذكر نعمة الله، فإن التذكر لها شكر، والشكر نعمة في حد ذاته.

إذا كان شكري نعمة الله نعمةٌ　　عـليَّ له في مثلها يجب الشكر

وكيف بلوغ الأمـر إلا بفضله　　وإن طالت الأعوام واتسع العمر

يا عباد الله: تذكركم حال إخوانكم الذين أصيبوا بالزلزال، والفيضانات يقول ﷺ: « **مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا**

اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى» (١)، من المسلمين من يسرق ويتبذر بالمال ليته فعل لإخوانه المسلمين شيئًا، إننا يا عباد الله برابطة الدين، لابد أن نستشعر حالة إخواننا في مشارق الأرض ومغاربها.

فإن الله -عَزَّوَجَلَّ- يقول: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ويمتدح الله الأنصار، حينما واسَوْا إخوانهم بالمال قال تعالى: ﴿ **وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر: ٩].

يقول الله -عَزَّوَجَلَّ- يوم القيامة: « **يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلَانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي**» (٢).

عباد الله: اعلموا أن من أصول الدين التحابَّ في الله، والأخوة على أمر الله، ليس من أجل الدنيا، ولا الوطنية، يقول المولى سبحانه: «**وجبت محبتي**

(١) صحيح: رواه مسلم في البر والصلة باب (تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم) رقم (٢٥٨٦)، وأحمد رقم (١٨٣٩٨).

(٢) رواه مسلم رقم (٢٥٩٦)، وابن حبان رقم (٢٦٩)، من حديث أبي هريرة ﵁.

للمتحابين فيَّ والمتجالسين فيَّ والمتباذلين في، والمتزاورين فيّ، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي» (١).

إن يختلف ماء الوصال فماؤنا عذب تحدر من غمام واحد

أو يختلف نسب يؤلف بيننا دين أقمناه مقام الوالد

فلابد أن نجعل الدين نصب أعيننا، فإنه ضمارنا، وحياتنا وسعادتنا

الدين رأس الأمر فاستمسك به فضياعه من أعظم الخسران

أسأل الله بمنه وكرمه، أن يجعلنا من عباده الصالحين،وأن يرفع درجاتنا في المهديين، وأن يحفظ الحجاج إلى بيته الحرام،وأن يردهم إلى أهليهم وذويهم سالمين.

اللهم إنا نسألك الهدى، والتقى، والعفاف، والغنى ، اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته....إلخ، الله أعطنا ولا تحرمنا، اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا....إلخ ، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك.... إلخ ، اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا.....إلخ.

اللهم من أراد بنا سوءًا فأشغله بنفسه، واجعل كيده في نحره، وزلزل الأرض من تحت قدميه، ومن أراد الخير للبلاد والعباد فأطل عمره يا الله.

عباد الله: صلوا وسلموا على النبي المصطفى محمد ﷺ فإن الله أمركم بذلك: ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦** ﴾ [الأحزاب: ٥٦] .

---

(١) صحيح: رواه الطبراني رقم (١٥٠)، وأحمد رقم (٢٢٠٨٣)، الحاكم رقم (٧٣١٤)، وصححه الألباني رقم في صحيح الجامع رقم (٤٣٣١).

٢٦- أهمية الأمانة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين: يذكر الله تعالى في محكم كتابه ما يتعلق بأمر الأمانة وأهميتها، وكيف كان أداء الناس لتأدية هذه الأمانة، وما استحق الناس على ذلك، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

فلقد اجتمعت كلمة علماء التفسير فيما يتعلق بالأمانة في هذه الآية المباركة من آخر سورة الأحزاب، أن المراد بها التكاليف الشرعية التي أراد الله جَلَّ وَعَلَا من عباده أن يقوموا بها، ولذلك خلقهم من أجل أن يقوموا بها، ولذلك خلقهم من أجل أن يقوموا بواجب أمر الله به، أو أن ينتهوا عن حرام حرمه الله جَلَّ وَعَلَا، فأرسل الله الرسل وأنزل الكتب من أجل أداء ذلك كله، وأن لا يتعذر بعذر بين أيدي الله، قال سبحانه: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴾ [المزمل: ١٥-١٦].

معاشر المؤمنين: سمعتم هذا الأمر العظيم فيما يتعلق بالأمانة وأهميتها، وأن الله عرض هذا الأمر على السماوات والأرض والجبال، وبين الله لهذه المخلوقات العظيمة فداحة ضياع الأمانة، أظهر الله ذلك على السماوات والأرض والجبال، فكان منها الإشفاق والخوف وليس العصيان، فإن السماوات والأرض طائعة لأمر الله، كما قال جَلَّ وَعَلَا متحدثًا عن السماوات والأرض: ﴿ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت: ١١]، أي أنها متذللة لأمر الله، لكن في باب الأمانة، وما يتعلق بحملها، وما يتعلق بأدائها، كان الاعتذار خوف التقصير، أو الإفراط، أو الضياع، أو الإهمال، فحينئذٍ برز لها لها هذا الإنسان ابن آدم، فكان متحملًا لهذه الأمانة، فكان الناس ثلاثة أصناف: قسمان معذبان هم الكفار والمنافقون، وقسم ناج وهم أهل الإيمان الذين أدوا الامانة.

قال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٣].

يا أمة الإسلام: إن أعظم ما أمر الله به من الأمانات، أمر التوحيد، والعقيدة،

وما يناقض ذلك فقد حرمه الله من الإشراك به، قال -جَلَّ وَعَلَا- في محكم كتابه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فأمر الله بتوحيده، وقال سبحانه متحدثًا عن العبد الصالح لقمان: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣].

فأعظم شيء أمر الله به التوحيد، وأعظم شيء نهى عنه الإشراك، فما بعث الله من نبي إلى قوم إلا قرع آذان قومه بهذا، بتوحيد الله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]. فما من نبي أرسله الله إلا كان داعية إلى التوحيد، ومحذرًا من الإشراك، ومن أعظم ذلك متابعة النبي محمد ﷺ، وأن تجعله قدوة وقيادة لك في الدنيا، فلقد أوحى الله به فقال: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ [المائدة: ٩٢]. وحرم الله الخروج عن أمر الرسول وعصيانه، فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣]. فبعد توحيد الله طاعة محمد بن عبد الله.

من قلد الأراء ضل عن الهدى ومن قلد المعصوم في الدين يهتدي

كذلك في باب العبادات أمانة في أعناق المسلمين والمسلمات، كل عبادة أمر الله بها فهي أمانة في أعناق المسلمين والمسلمات، أمر الله بإقامة الصلاة، وبالوضوء، والزكاة، والصيام، والحج، والاعتمار، فكل عبادة أمانة، وهكذا في باب المعاملات يجب أن تكون الأمانة سائدة في باب البيوع والمشتريات، وفي باب الإيجارات والاتصال مع الناس، لابد وأن تكون الأمانة هي السائدة، فقد أثنى الله على أهل الأمانات، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ [المعارج: ٣٢]. أي يراعون هذه الأمانة التي أمر الله بها في كل شئونهم، ثم يا عباد الله في باب السلوك أمر الله بالأمانة ملازمة صحيحة .

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يعجبنك طنطنة الرجل، وإنما من عف وحفظ الأمانة، فهو الرجل» (١)، فالرجل إنما هو بأمانته، وهكذا كل عضو فيك أمانة يا عبد الله، فسمعك أمانة، وقلبك أمانة، وفكرك أمانة، وبصرك أمانة، ويدك أمانة، وفرجك أمانة.

احفظ منيك ما استطعت فإنه ماء الحياة يصب في الأرحام

زوجتك أمانة، وأولادك أمانة، وبناتك أمانة، وجوارك للمؤمنين أمانة، وكلمتك التي تطلقها من بين شفتيك هي أمانة عندك، فإياك أن تفرط فيها، فيا أرباب الكلمة، ويا صناع الحرف هذه أمانات كلها، فاتقوا الله فيما تقولون، واتقوا الله فيما ترصدون، وتكتبون: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]، وما يتعلق بالاموال العامة، وموافق الدولة، ومحاضن التعليم، والوظائف العامة والخاصة أمانة: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» (٢)، فإن تقاضينا مالًا من الدولة لا يحل لك أن تأخذ من المواطن الذي جعلتك الدولة مسؤولًا لها ومنفذًا وقاضيًا لحاجات المراجعين من المواطنين المسلمين، فلا يجوز لك أن تحتجب عنهم، أو أن تؤخر حقوقهم، أو أن تماطل في قضاياهم، أو ألا تنفذ شيئًا إلا بعد أن تعطي من المال، هذه أمانة نسأل عنها بين يدي الله، يقول ﷺ: «**لعن الله الراشي والمرتشي والرائش بينهما**» (٣)، أي الواسطة بين هذا وذاك، فعلى القضاة وعلى المربين والحكام، على من ولاهم الله أمور المسلمين أن يعلموا أنها أمانة.

يجب أن تكون أمينًا، فإن رقي الأمة وتقدمها، إنما هو بنزاهة أفرادها، هذه قصة عجيبة من الصدر الأول من أولئك القوم الذين صحبوا محمدًا ﷺ.

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة رقم (٥/ ١١٦).
(٢) قد سبق تخريجه.
(٣) قد سبق تخريجه.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يـا جرير المجامع

أرسل محمد بن عبد الله ﷺ عبد الله بن رواحة الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أرسله إلى يهود خيبر، وكانت الأرض بأيديهم على أن يجعلوا للمسلمين شيئًا، شطر ما يخرج منها فبعد غزوة خيبر، مكَّن الرسول اليهود من أرضهم، لأنهم أدرى بأرضهم على أن يعطوا الرسول شطر ما يخرج منها، فأرسل الرسول عبد الله بن رواحة، فلما وصل إلى اليهود من أجل أن يقوِّم الثمار، وأن ينظر في المحاصيل الزراعية، جمع اليهود من المال وأعطوه ابن رواحة من أجل أن يخفف عنهم، فقال لهم ابن رواحة: «تعطوني سحتًا؟! فوالله إني جئت من أحب الناس إلى قلبي، جئت من عند محمد ﷺ إلى أخبث خلق الله، ووالله لا يحملن حبي لرسول الله وبغضي لكم لا يحملني ذلك أن أخونه أو أخونكم» فصاح اليهود كلهم، قالوا: «والله بهذا أقيمت السماوات والأرض»[1]، أي بالعدل أقيمت السماوات والأرض، بالعدل فما كان ليخون يهودي لكنك إن رأيت أحوال المسلمين ﷺ لرأيت عجبًا، المسلم يغش أخاه في بيع، في شراء، في إيجارات، في تجارات، في مراسلات، في سرقات، في معاملات، في محاكم، في كل مكان إلا من رحم الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ورسول الله ﷺ يقول: «**من غشنا فليس منا**»[2].

فيا أيها المسلم الكريم: اعلم أن الغنى والفقر من الله، فإن أراد الله لك الخير، أوصله إليك. لا يستطيع مَنْ في السماوات والأرض أن يجعلوا لك الغنى، وقد أرادك الله فقيرًا، وقد أراد الله لك الغنى، فكن ذا عفاف أيها المسلم فإياك أن تخون فيما ولاك الله تبارك وتعالى، وتعفف يبارك الله لك في الحلال، ويجعل القليل كثيرًا، يبارك الله لك في مالك، وإن كان شيئًا قليلًا قال ﷺ: «**من أصبح آمنًا في سربه**» أي في بيته «**معافًا في بدنه عنده قوت يوم فكأنما حيزت له الدنيا**

(١) رواه ابن حبان رقم (٥١٩٩)، قال: شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.
(٢) صحيح: رواه مسلم رقم (١٠٢).

بحذافيرها» (١)، فيا أيها الحكام، ويا رجل المرور، ويا أيها القاضي والأستاذ يا أيها الموظف، اعلم أنك مسؤول بين يدي الله، ويا أيها العالم والداعية: ويا من ترقى المنابر اعلم أنك مسؤول عن ذلك كله بين يدي الله -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- وأنه لا عبرة بكلامك ما دام الحال يخالف المقال، يقول الناظم الأول:

يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا ... كيما يصح به وأنت سقيم
ابدأ بنفسك فإنهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

وقال الآخر:

مواعظ الواعظ لن تقبلا ... حتى يعيها قلبه أولًا

يا أيها المسلمون: إننا أمة عظم الله شأنها، وعظم الله شأن نبيها، يوم أن كانت الأمانة فينا هي السائدة يوم أن كان المؤمن يأمن أخاه فيؤدي أمانته.

روى الأمام البخاري في صحيحه: «ذكر رجلا من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار فقال ائتني بالشهداء أشهدهم فقال كفى بالله شهيدا قال فائتني بالكفيل قال كفى بالله كفيلا قال صدقت فدفعها إليه إلى أجل مسمى فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركبا يركبه ويقدم عليه للأجل الذي أجله فلم يجد مركبا فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبها ثم زجج موضعها ثم أتى بها البحر فقال : اللهم إنك تعلم أني تسلفت فلانا ألف دينار فسألني كفيلًا فقلت كفى بالله كفيلًا فرضي بك،فسألني شهيدًا فقلت كفى بالله شهيدًا فرضي بك ، وإني جهدت

(١) حسن:رواه البخاري في الأدب المفرد رقم(٣٠٠)،والترمذي رقم (٢٣٤٦)،وابن ماجه رقم (٤١٤١)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٠٤٣) من حديث عبد الله بن محصن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر وإني أستودعكها فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبا قد جاء بماله فإذا الخشبة التي فيها المال فأخذها لاهله حطبا فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدم الذي كان أسلفه وأتى بالألف دينار فقال والله ما زلت جاهدا في طلب مركب لآتيك بمالك فما وجدت مركبا قبل الذي جئت فيه قال هل كنت بعثت إلي بشيء قال أخبرك أني لم أجد مركبا قبل الذي جئت فيه قال فإن الله قد أدى عنك» [(١)].

وهكذا قال ﷺ والقصة في صحيح البخاري: «اشترى رجل من رجل عقار قطعة أرض، فلم حرثها، وجد جرة مملوءة بالذهب، فذهب إلى صاحب العقار، قال: إنما اشتريت منك العقار ولم أشتري منك المال، قال له صاحب العقار: بل بعتك العقار بما فيه، فترافعا إلى حاكم البلاد وتأملوا أيها الناس في موقف الحاكم كيف كان؟ .

ما قال: هاتوا هذه الجربة أو هذه الجرة، وإنما أصلح بينهما صلحًا، قال للأول: ألك جارية؟، قال: نعم، قال للثاني: ألك ولد؟، قال: نعم، قال زجوا الغلام الجارية وأعطوهم هذا المال لينفقا على أنفسهما» [(٢)]، وحلت القضية بين هذين الخصمين ، فلو تأملنا أحوالنا، وفي مشاكلنا، الاغتصابات، الاتهامات، أمانة المجالس الافتراءات، أمور كثيرة أعوذ بالله إلى أي حالة، وصل المسلمون أن يكون عند أحدنا تراجع يراجع نفسه مراجعة، فإن النبي ﷺ يقول: «**إذا اشتغلتم بالزرع وتركتم الجهاد في سبيل الله ، سلط الله الذل عليكم حتى ترجعوا إلى دينكم**» [(٣)]، وفي رواية: «**حتى ترجعوا دينكم**» بمعنى إذا أردتم

(١) البخاري رقم (٢١٦٩)، وأحمد رقم (٨٥٧١).
(٢) رواه البخاري رقم (٣٢٨٥)، ومسلم رقم (١٧٢١) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٣) صحيح: رواه أبو داود رقم (٣٤٦٣)، والبيهقي رقم (١٠٤٨٤)، ومسند الشاميين رقم (٢٤٠٧)، قال الألباني: صحيح لغيره، انظر: صحيح الترهيب الترغيب (٢/ ٧٠).

الخير والفلاح، فارجعوا إلى الدين، والدين يتمثل بالأمانة، فالأمانة مصدر الفلاح، والفوز، والنجاح في كل المستويات، في الأمور العامة والخاصة، أمورك مع نفسك وإخوانك، وأمورك مع الله، فإنه لا ينجيك في الدنيا ولا في الآخرة، إلا الأمانة قال ﷺ: «**أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك**»[(١)]، ويقول ﷺ: «**علامة المنافق ثلاث ومنها: إذا اؤتمن خان**»[(٢)]، ومن أراد أن ينزه نفسه فليبتعد عن هذه الخصلة الذميمة، وهي خيانة الأمانة، وليكن على خصلة كريمة المحافظة على الأمانة، يحافظ عليها ما استطاع، فمن حفظ الأمانة حفظه الله ومن ضيعها ضيعه ربه سبحانه في هذه الدنيا والآخرة: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ** ﴾ [طه: ١٢٤].

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم، وأستغفر الله لي ولكم.

---

(١) صحيح: رواه أحمد رقم (١٥٤٦٢)، والترمذي رقم (١٢٦٤)، وأبو داود رقم (٣٥٣٤)، قال الألباني: صحيح الجامع رقم (٢٤٠).
(٢) صحيح: رواه البخاري رقم (٣٣)، ومسلم رقم (٥٩).

الخطبة الثانية:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه:

عباد الله: إن من خصائص يوم الجمعة، الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ، فقد جاء في الحديث الصحيح أنه قال: «**إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ وَفِيهِ قُبِضَ وَفِيهِ النَّفْخَةُ فأكثرا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَكَيفَ تعرض صَلَاتنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: بَلِيتَ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ**» (١).

فهذا اليوم، يوم الجمعة يوم مبارك، فيه ساعة يستجاب فيها الدعاء، وهي آخر ساعة من يوم الجمعة، كما أفصحت بذلك سُنَّة رسول الله ﷺ وهكذا الاغتسال، والامتشاط، والإدهان، والتطيب، والمجيء إلى صلاة الجمعة، أمر مستحب وواجب نبه عليه ﷺ، وهكذا فيما يتعلق بأن تلبس أحسن لباس، لمجيئك الجمعة وهي من السنن الشرعية المهمة.

عباد الله: ومن الأمور العظيمة، تساهل الكثير من المسلمين فيما يتعلق بالبيع المشتريات بعد أذان الجمعة.

فإن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩].

ومعنى ذروا البيع - أي اتركوه- بأنه حرام للمسلم أو المسلمة ان يبتاع أو يشتري بعد الجمعة، فإذا كان المسلم صحيحًا مقيمًا بالغًا مسلمًا عاقلًا فالجمعة

(١) صحيح: رواه أحمد رقم (١٦٢٠٧)، وأبو داود رقم (١٠٤٧)، والنسائي رقم (١٣٧٤)، وابن ماجه رقم (١٠٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب رقم (١٦٧٤).

واجبة في حقه، وإنما المعذورون من الجمعة صاحب العذر الشرعي العبد، المرأة المسافر، المريض، هكذا ذكر فقهاؤنا في كتب الفقه، إنما تسقط الصلاة عن هؤلاء الأربعة المعذورين المرأة، والعبد، والمسافر، والمريض، أما بقية المسلمين فالجمعة واجبة إقامتها، وواجب عليهم أن يحضروا لصلاة الجمعة، بل يستحب لهم أن يبكروا في أدائها لقوله سبحانه: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

يا معاشر المسلمين:

لو تأملنا إلى أحوال المسلمين مع هذه الآية المباركة، فاسعوا إلى ذكر الله، وذروا البيع، لرأيت في مثل هذه الساعة الذين يعملون في المطاعم، والمقاهي، والبوفيات، والبقالات، وأسواق القات، وبسطات الخضار، والمعارض، وهكذا في كثير وكأن الأمر أمر عادي.

يا أيها المسلمون: الله تعالى ينوه إلى هذا فاسمعوا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ ﴾ [الجمعة: ٩]، إلى آخر السورة، وقد ذكر بعض المفسرين عن بعض الصحابة الأجلاء أن من طبق الآية فابتاع واشترى بعد خروجه من الجمعة ممتثلًا أمر الله ربح سبعين مرة يربح في بيعه وتجارته.

فإن الله يقول: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الجمعة: ١٠].

وعجبًا لبعض المسلمين يكون محله مفتوحًا يجعل ابنه أو عامله وهو يأتي إلى الصلاة، هذا خان الأمانة، وما نصح المسلمين، وما أدى ما أوجبه الله عليه، فإن الله أمرنا كوننا من أمة محمد ﷺ أن نأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، فذكر سبحانه حال بني إسرائيل، وما حل بهم من اللعن، حينما تركوا هذا الأمر، قال سبحانه: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى

ﭐبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾ [المائدة: ٧٨- ٧٩].

فانصح لابنك، وانصح لعاملك، وانصح لجارك، وانصح لأهلك، انصح لمجتمعك، لأمتك فكلنا مسئولون عن هذا الدين، فإنما فلاحنا وعزنا بهذا الدين وما سواه هو الضلال.

الدين رأس الأمر فاستمسك به فضياعه من أعظم الخسران

ولا تستطيع أن تقول يوم القيامة أنا ما لي دخل، وحالي حال نفسي، كما يقال هذا لا يخارجك قال ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»[(١)].

فإذا رأيت من يترك الصلاة، أو يسب الله أو رسول الله ﷺ، أو يتساهل في الواجبات، أو يأخذ الرشوة، أو يسب المسلمين، أو يطلع على عورات المسلمين، أو يفعل من السوء ما تعلمه واجب عليك، أن تنصحه وإلا كنت يوم القيامة خصيماً لرسول الله، حينما رأيت منكرًا فلم تغيره، يا أيها المسلمون هذه الدنيا إنما هي دار عبور، وغدًا نحن بين يدي الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- سائلنا عن ديننا، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ **وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ** ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أي عن هذا الدين وتسألون عن رسول الله في قبوركم كما قيل، كما قال ﷺ: «**إنكم مسؤولون عني**»[(٢)]، فماذا نحن قائلون لربنا غدًا، يوم يسألنا عن القرآن، وعن رسول الإسلام، ويوم يسألنا عن التعاليم الشرعية، يوم يسألنا عن جيراننا، وعن أولادنا، وبناتنا، وزوجاتنا، وأموالنا، وعقولنا، وأماناتنا، وفروجنا، وألسنتنا، وأسماعنا، وأبصارنا، يوم أن يسألنا من أين جمعنا المال،

(١) صحيح: رواه مسلم في الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان رقم (٤٩).
(٢) صحيح: رواه مسلم رقم (١٢١٨).

وفيم ننفقه، فإننا يا عباد الله يجب أن نحضر أجوبة صحيحة، فإن الناقد والمناقش هو الله تبارك وتعالى: ﴿يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة: ٦].

وقال -سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ-: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، ولو تأمل العاقل فيما يأكل ويشرب من حلال أو من حرام ماذا أكل بالأمس، وبكم خزن من القات؟، وماذا أكل أو خزن قبل أسبوع؟، أين ذهب تلك المتعة؟، أين ذلك الطعام؟، وأين ذلك القات؟، أين المتعة التي تمتع بها؟، لقد ذهبت كلها.

إن أهنأ عيشة قضيتها ذهبت لذاتها والموت حل

فالموت لابد هو الذي يطاردنا، وهو الذي تزعزع أنفسنا، ويقعقع أبواب بيوتنا، ولا يستطيع أحد أن يصده عن نفسه، قال سبحانه: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡمَوۡتَ ٱلَّذِي تَفِرُّونَ مِنۡهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمۡۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

أسأل الله بمنه وكرمه، وبأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يجعلنا من عباده الصالحين.... إلخ.

ربنا آتنا في الدنيا حسَنة، وفي الآخرة حسَنة، وقنا عذاب النار.

٢٧-معجزة الإسراء والمعراج

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين:

لما حصل شدة الأذى لنبينا ﷺ بمكة من قبل مشركي قريش وغيرهم، كان هناك منحة من الله بعد المحنة، فكما يقولون: «لكل محنة منحة»، فكان اشتداد الأذى من قبل الكفار والمشركين شديدًا على نبينا، وإلى جانب ذلك يموت

عمه أبو طالب، وزوجته خديجة بنت خويلد، فكان في هذا أيضًا اشتداد الأذى، فأراد ﷺ أن يخرج من مكة باحثًا عمن يقبل دينه ودعوته بعد أن كذبته قريش، فيخرج ﷺ إلى الطائف يدعوهم إلى الله، والدار الآخرة، لا يريد منهم قليلًا ولا كثيرًا من حطام الدنيا، وكان أمله كثيرًا حينها، لكنهم كذبوه وآذوه، وسلطوا عليه الصبيان والسفهاء، فيعود ﷺ إلى مكة مغمومًا، فيه ما فيه من أعباء السفر، وما حصل لقلبه أيضًا من ردة فعل القوم، فيأتي ملك الجبال فيستأذنه ﷺ أن يطبق عليهم الجبلين فأبى ﷺ(١)، ثم يعود إلى مكة بجوار كافر، هذا كله من الاذى فيجعل الله- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فرجًا عظيمًا لهذا النبي الكريم، أراد الله سبحانه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أن يبين لهذ النبي أن مقامه عظيم، وإن حصل جفاء من قبل أهل الأرض فأهل السماء يرحبون بهذا النبي الكريم، يشكرون جهده، ويقدرون موافقة ففي ليلة غراء ينام ﷺ ما بين الحجر والمقام في مكة المشرفة حرسها الله، وكان ثالث رجل فيأتي ملائكة من قبل السماء يبحثون عن هذا النبي، فيجدونه بين هؤلاء الثلاثة، فيأخذونه إلى جوار البيت ويشقون صدره، ويغسلون قلبه بماء زمزم، ثم يلأمون مكان تلك العملية استعدادًا للانطلاق من أرض مكة في ليلة عظيمة أرادها- سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-.

فقال جَلَّ وَعَلَا مبينا هذه المعجزة العظيمة والآية الكبيرة: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

فأراد الله أن يطلع نبيه عن بعض الآيات، والبركات، بركات معنوية في بيت المقدس، وبركات حسية، ما حبي الله ذلك المكان من الجمال والبهاء، وما جعل فيه من الجنان والحدائق الغناء، فيصل ﷺ على متن براق، وقد قال:

(١) صحيح: رواه البخاري رقم (٣٠٥٩)، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير باب ما لقي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين رقم (١٧٩٥).

أتيت بالبر ، وابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ- يقول: غنما سمي البراق براقًا من الإبريق لأن لونه كلون إبريق الفضة، ومن البرق أيضًا لأنه سريع الخطا، يكون خطوة عند مد طرفه، فيكون بجزء من الليل، قد وصل ﷺ إلى بيت المقدس، في ذلك المكان معقل الأنبياء أنبياء بني إسرائيل، ففي مطلع هذه السورة سورة الإسراء يسميها بعض علماء التفسير بسورة بني إسرائيل.

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ [الإسراء: ١- ٢].

ثم عدد سبحانه ما حصل من جرائم بني إسرائيل في هذه السورة وغيرها، ففي ذلك إشارة لطيفة إلى انتهاء نبوة بني إسرائيل، وأن النبوة قد نزعت منهم، لما حصل منهم من التكذيب، ومن القتل، وإبادة المرسلين، وما عندهم من التحريف والتغيير، فنزع الله النبوة والرسالة من بني إسرائيل، لتكون في هذا النبي العربي فكان خير الأنبياء والمرسلين، وأمته خير أمة أخرجت للناس، فيكون ﷺ في المسجد الأقصى في جزء من الليل يصلي فيه ركعتين، وبينما هو خارج من أحد أبوابه يؤتى بقدح من لبن فيشربه فيقول له جبريل: «أصبت الفطرة يا محمد» ثم يتمطى البراق مرة ثانية استعدادًا للمعراج، عروجًا إلى السماوات العلى، تنفيسًا لهذا النبي الكريم ليتأمل ما حباه الله من الآيات، وما أعطاه الله من الفضل، ليشاهد ذلك عين اليقين حتى يواصل مشواره الدعوي، فيتحمل ويصبر على كل أذى، فيكون بصحبة جبريل شريكه في وحي السماء، فيتمطى البراق وعليه هذان الرسولان، رسول ملائكي ورسول بشري، حتى يأتي باب السماء الأولى فيستأذن جبريل عليه الصلاة والسلام فيقال له من؟ قال: جبريل، ومن معك يا جبريل؟ فيقول: محمد، قال: وقد بعث له؟ فيقول

جبريل: نعم فيقولون: أهلًا وسهلا مرحبًا بك وبه، فنعم المجيء جئتما، هذا استئذان في أول سماء فيكون أهل السماء مستقبلين لهذين الرسولين محتفلين بهما أتم الاحتفال، ثم يلتقي ﷺ في السماء الأولى بأبي البشر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيقول مرحبًا بالنبي الصالح، والابن الصالح قال: فرأيت على يمينه أبناء، وعلى يساره أبناء، أما إن نظر إلى اليمين سر وضحك، وإذا نظر إلى الشمال بكى، فقيل: ما باله؟ قال: أهل اليمين هم أهل الجنة وأما أهل الشمال فهم أهل النار، ثم يعرج جبريل بنبينا على السماء الثانية، فيستفتح كما استفتح في السماء الأولى، فيحصل من الترحيب والتعظيم والإجلال، ويلتقي في السماء الثانية بولدي الخالة عيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا، فكانوا مرحبين ومهنئين، ثم يصعد ﷺ إلى السماء الثالثة فيلتقي ﷺ بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يصعد ﷺ إلى السماء الرابعة يلتقي بإدريس النبي الكريم، ثم السماء الخامسة يلتقي بهارون عَلَيْهِ السَّلَامُ، وفي السادسة يلتقي بموسى بن عمران عَلَيْهِ السَّلَامُ، والسماء السابعة يلتقي بأبي الأنبياء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مسند ظهره إلى البيت المعمور فيرحب بهذا النبي الكريم ثم يستأذن جبريل في العروج فكان ﷺ قد بلغ مبلغًا ما بلغه أحد من الأنبياء قبله حتى وصل إلى مستوى إنه يسمع أقلام التصريف، وما يتعلق بكتابة القضاء والقدر، وفي تلك الليلة يشاهد ﷺ أمورًا عظيمة، وآيات ما علمها من قبل كما.

قال ربنا -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ
﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ
﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ
قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ
﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ
﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ

﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٧﴾ [النجم: ١-١٨].

أي في هذه الليلة ورأى ﷺ الجنة والنار، وما في الجنة، وما في النار من الشر، وفي هذه الليلة المباركة، يبكي موسى بن عمران على ما بلغته النبي ﷺ ما لم يبلغه هو وأمته، إنما هو غبطة وليس حسدًا من النبي لموسى ﷺ، وكان في هذه الليلة أن فرض الله رب العالمين هذه الصلاة على المسلمين خمسين صلاة في اليوم والليلة، فيمر نبينا بموسى بن عمران، فيقول له: قد عالجت بني إسرائيل، فما استطعت لهم فعد إلى ربك فاسأله التخفيف، فما زال نبينا يراجع ربه حتى صارت خمسًا في العدد وخمسين في الأجر»[(١)]، هذا يتم عباد الله في ليلة واحدة، ينص القرآن الكريم وينص أحاديث سيد الأولين والآخرين، وبإجماع أئمة التاريخ، وهذا القضية العظيمة من ديننا، قضية الإسراء والمعراج، وما في ذلك قصة بندورة أو حديث من أجل التسلية، وإنما في ذلك عقيدة، وفي ذلك أيضًا من أجل تسلية للمؤمنين، ورصيد لقلوبهم، ليعلموا بمنزلة نبيهم وما بلغ هذا النبي الكريم، ليكونوا ثابتين على الحق ملتزمين شرع الله، متأسين برسول الله، ثم يعود ﷺ من هذه الرحلة المباركة قبيل الفجر ليصلي صلاة الفجر في المسجد الحرام، وبعد الفجر من هذه الليلة في مطلع اليوم الثاني يقص ﷺ ما رآه في تلك الليلة تسمعون تفصيله إن شاء الله في الخطبة الثانية.

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم، وأستغفر الله لي ولكم.

---

(١) صحيح: رواه البخاري رقم (٣٠٣٥)، ومسلم في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ رقم (١٦٤).

الخطبة الثانية:

الحمد لله، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، تسليمًا كثيرًا .

أما بعد:

عباد الله:

يعود ﷺ بروحه وجسده بعد أن كان فيما قصه الرحمن الرحيم من الآيات، والعظات، والفضل، والمكرمات يعود إلى بلده مكة حرسها الله، فيمر به أبو جهل عمرو بن هشام، يقول: هل رأيت الليلة شيئًا، قال: نعم أسري بي إلى بيت المقدس، ثم إلى السماوات العلى، فقال له أبو جهل: أخبر قومك بهذا، قال: أفعل إن شاء الله، فأخبر ﷺ القوم بما رأيى، فاجتمع أهل مكة ليسمعوا الخبر من رسول الله ﷺ فأما المؤمنون فثبتهم الله، وأما الكفار والمرتابون فاستهزوا وشمتوا برسول الله وبالمؤمنين المستضعفين، كان بعضهم يميل إلى بعض من قوة الضحك والاستهزاء والسخرية بنبينا، وهكذا كان بعضهم أسلم قريبًا فكان في ذلك اختبار وابتلاء وامتحان فيثبت الله من أراد تثبيته كأبي بكر عبد الله بن أبي قحافة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد راح من راح من المشركين، يقولون: يا أبا بكر إن صاحبك يزعم أنه ذهب إلى بيت المقدس، وفي ليلة ورجع في صبيحتها، ونحن نضرب أكباد الإبل إليها، إنهم كانوا يقطعون مسافة أقلها ثلاثون يومًا دهابًا وإيابصا إلى بيت المقدس، قال أبو بكر: إن كان قال ذلك فقد صدق، فإني أصدقه فيما هو أبعد من ذلك، أصدقه بخبر السماء، ومن ذلك اليوم يلقب أبو بكر بالصديق، فكان هذا الاسم علمًا على أبي بكر، فأي مسلم ذكر أبا بكر

إلا تذكر الصديق رضي الله تعالى عن أبي بكر، ثم بعد ذلك ماذا يكون عباد الله، يأتي المشركون إلى النبي ﷺ، فيقولون له: أنعت لنا بيت المقدس، قال ﷺ : «**سألني المشركون أن أنعت لهم بيت المقدس** -والقصة ثابتة في صحيح البخاري- **قال: فأرسل الله جبريل في الحال، فإذا به يرفع بيت المقدس فيجليه لي حتى أنظر فيه** » ، فكان ﷺ ينظر إلى بيت المقدس وكأنه أمامه[1].

رأي العين ويصف لهم الوصف أما المشركون، فيقولون: والإله إن هذه لهي أوصاف عن آيات بيت المقدس، ثم بعد ذلك يخبرهم عن بعض العير، والقوافل التي في الطريق، يخبرهم عن آيات ودلالات لكنهم في نهاية المطاف، قالوا: ما رأينا أسحر منه، وهكذا رموه بأن هذا من السحر والشعوذة، وربي إن هذا من الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ هذه رحلة ليلية، ومعجزة عظيمة، من معجزات نبينا ﷺ والتقاؤه بأنبياء بني إسرائيل في السماوات العلى وما حصل من المعجزات، إنه مر بموسى بن عمران وهو قائم يصلي في قبره، لا يتنافى هذا مع كون رآه في السموات العلى،إذا أن الله صدر الآية بقوله تعالى : ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

فبدأ الله بالتسبيح، والتقديس، والتنزيه لنفسه ولذاته الكريمة، فكل شيء في حق الله فهو جائز، فإنه على كل شيء قدير، هذه تسلية لنبينا، وتسلية للمؤمنين وإعجاز للكافرين، لا سيما أهل الكتابين الذين كانوا فيما مضى شعب الله المختار قبل أن يبعث نبينا ﷺ، أما بعد بعثة نبينا فلقد صارت النبوة والسيادة والقيادة للمسلمين، متمثلة برسول رب العالمين بخير الأنبياء والمرسلين.

---

(١) صحيح: رواه البخاري رقم (٣٦١٨)، ومسلم في كتاب الإيمان باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال رقم (١٧٠).

بشرى لنا معشر الإسلام أن لنا من العناية ركنًا غير منهدم
لما دعا الله داعينا لطاعته بأكرم الرسل كن أكرم الأمم

فيا مسلم، يا عبد الله، يا من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ارفع رأسك يا مسلم، واعلم أنك عزيز وكريم وعظيم، وأن لك منزلة رفيعة عند رب الأرض والسماوات، فإياك والاهتزاز، فالواجب أن تكون كالجبل الشامخ لا تحركه الأعاصير، وتأمل عبد الله في هذه الدنيا وزوالها، فأنت اليوم على ظهرها، وغدًا أنت في باطنها، فلابد أن تثبت، فإن الكثير من المسلمين ربما نظر إلى الشرق والغرب بعين الإعظام والإجلال، وتناسى بطاقته الكبرى ومبدأه العظيم وتناسى ما عنده من الآيات والعظات، أنت يا مسلم يا عبد الله ارض بذلك، واعتز بذلك، وافتخر بذلك، وكن بذلك مطمئنًا ثابتًا راسخًا وإياك والاهتزاز، فإن الله سبحانه ضرب الأمثال وأيد النبي بالمعجزات من أجل أن يثبت أهل الإيمان، فيا أهل الإسلام والإيمان إن للإسلام مستقبلًا عظيمًا، ويكفينا أن الإسلام على مرور العصور والدهور لا زال شامخًا عظيمًا فهو كل يوم في تجدد، حاله كحال القمر حينما قيل له:

شيبت ناحية القرون ولم تزل طفلًا تطالعنا بوجه أمرد

لا يمكن للإسلام أن يتبدل، أو يتغير، وإنما أهله الذين خذلوه أو تركوه.

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا
ونهجو ذا الزمان بغير حق ولو تطلق الزمان لنا هجانا

ثم دعوة أوجهها للكتاب، للأدباء الذين يكتبون في كثير من الصحف والمجلات المحلية والعالمية، أن يتقوا الله في كتابتهم، أن يتقوا الله من السخرية

والاستهزاء بالإسلام وبأحكام الإسلام، وبما يسعى بعام المرأة، أو مؤتمر المرأة، وما تكتبه أيديهم يكون شاهدًا عليهم بين يدي الله.

وما من كاتب إلا سيفنى ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فلا تكتب بكفنك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

فيا أدباءنا، ويا كتابنا، ويا أيها الصحفيون، اتقوا الله في أقلامكم، وفي كتاباتكم، اتقوا الله في المسلمين والمسلمات، اتقوا الله في عامة الناس، اتقوا الله في المسلمين الجهال الذين يأخذون الشيء لا يغربلونه، لأنهم لا يدركونه فالجهل قائد كل شر.

في الجهل قبل الموت موت لأهله وأرواحهم قبل النشور نشور

وأرواحهم في وحشة من جسومهم وليس لهم حتى النشور نشور

أسأل الله بمنه، وكرمه، وبأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، أن يجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين ، اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته.....إلخ.

اللهم ثبت قلوبنا يا رب العالمين، اللهم اقسم لنا من خشيتك من يحول بيننا وبين معاصيك...إلخ.

اللهم اهدنا ووفقنا.... ، اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا....إلخ.

ربنا آتنا في الدنيا حسَنة، وفي الآخرة حسَنة، وقنا عذاب النار.

٢٨-فضائل الصحابة - رضي الله عنهم -

الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١].

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين:

إنه غير خاف على المسلمين، ما يمر بهم إخوانهم المسلمون، من وطأة اليهود والنصارى، سواء كان ذلك في أرض فلسطين، أو العراق، أو في غير هاتين الدولتين، فكان الواجب على المسلم أن يتأمل في هذا الأمر حق التأمل ليشارك

إخوانه لأن نبينا ﷺ يقول: « مَثَلُ المؤْمنينَ في تَوادِّهِمْ، وَتَراحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بالسَّهَرِ وَالْحُمَّى » (١).

ويقول رسول الله ﷺ: « **إِنَّ المؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ أَصَابِعَه**» (٢)، ويذكر ربنا جَلَّ وَعَلَا حال المؤمنين وما فيهم من التراحم والتآزر وما فيهم من القوة والغلظة على عدوهم.

فقال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [المائدة: ٥٤].

فكان حال أهل الإيمان، هو التآزر، والترابط، والتراحم، التعاطف، وأن يكونوا يدًا واحدة على عدوهم، وفي حديث آخر يرويه علامة الصحابة عبد الله ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: « **الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ. يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ** » (٣)، فكان الواجب على المسلمين أن يكونوا أقل الأحوال متآخين فيما بينهم غير متناحرين، ولا متباعدين، وكانت هذه فريضة فرضها الله -عَزَّ وَجَلَّ- عليهم، يكونوا قد أخذوا بها.

كما قال سبحانه: ﴿ **وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ونبينا ﷺ يقول: « **الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي**

(١) صحيح: قد سبق تخريجه.
(٢) صحيح: قد سبق تخريجه.
(٣) حسن: رواه أبو داود رقم (٢٧٥١)، وابن ماجه رقم (٢٦٨٥)، وحسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٧١٢).

حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ» (١).

يا عباد الله:

صارت أحوال المسلمين، أحوالًا يرثى لها والله المستعان، ولو تأملت من صعيد آخر لوجدت أن ببعض المسلمين بدلًا من أن يكون آخًا للمسلم ينصره ويدفع عن عرضه، ربما يتفرغ للرد على أخيه المسلم، وياليت الأمر يتوقف هاهنا فقد طالعتنا جريدة البلاغ في عددها الأخير من هذا الأسبوع، وهي تحمل في طياتها سبًا وشتمًا وتنقصًا ليس للمسلمين المتآخرين، وإنما للسابقين الأولين من أصحاب سيد المرسلين محمد ﷺ، أفي مثل هذه الحالة وحال المسلمين يرثى لها، أفي مثل هذا الأمر وحال المسلمين في تفرق وضايع، أفي مثل هذا الآن وهذا الحال، وأعداء المسلمين قابعين على رقاب المسلمين في كثير من بقاع المعمورة، وأصحاب النبي ﷺ لهم مقام رفيع، وشرف عظيم، رفعهم الله وشرفهم الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لكن هذه الجريدة هي تخدم فكرًا معروفًا وطائفة معروفة، عرفت بسب الصحابة من قديم الزمان، إن هؤلاء هم من يسمون بالروافض أو بالشيعة الاثنى عشرية، الذين كما يقول الكاتب عنهم ابن الوزير صاحب جريدة البالغ، يقول: إن للشيعة رأيًا أو للاثنى عشرية رأيًا لمسلمة الفتح الذين خاطبهم النبي ﷺ في العام الثامن، حينما دخل مكة فاتحًا، فقال لأهل مكة: «**ما تظنون أني فاعل بكم**» فقالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**» (٢).

ثم أسلم هؤلاء، وحسن إسلامهم، وخرجوا مع النبي ﷺ صحابة يترضى عنهم، وصحابة يقاتلون دون دينهم وعقيدتهم ورسولهم، لكن هؤلاء وإن

---

(١) صحيح: رواه البخاري (٦/ ٢٥٤٩)، ومسلم رقم (٢٥٦٤).

(٢) رواه البيهقي رقم (١٨٠٥٥)، وانظر: الإصابة في تمييز الصحابة (٣/ ٢١٣)، والبداية والنهاية (٤/ ٣٠١)، وتاريخ الطبري (٢/ ١١٦)، وضعفه الألباني في فقه السيرة (١/ ٣٨٢).

تمسكوا بحبهم لآل البيت، فليس والله بأحب لآل بيت رسول الله من أهل السُّنَّة الذين يعرفون مقام الصحابة، ومقام آل بيت رسول الله ﷺ.

يا عباد الله: إن في كتاب الله تزكية للصحابة أجمعين، وفي سُنَّة رسول الله ﷺ أيضًا.

يقول الله -جَلَّ وَعَلَا- : ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

هذه تزكية قرآنية على وجه العموم والشمول لكل من قيل في حقه صحابي وكل صحابي عرف العلماء أمره قائلين. من لقي النبي ﷺ مؤمنًا به ومات على الإيمان به فيكون من الصحابة الشرفاء، ومن الصحابة النجباء الذين وجب على الصحابة أن يترضوا عنهم، وأن يدعوا لهم بالخير، إلى قيام الساعة، وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق بالمهاجرين، الأول يقول الله جَلَّ وَعَلَا.

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحشر: ٨].

فيها فضيلة السابقين الأول الذين خرجوا من مكة مهاجرين إلى الله رب العالمين وإلى رسولنا محمد ﷺ، وكان من لم يخرج في إيمانه دخن وهو قادر على الخروج، ثم جاءت التزكية للأوس والخزرج الذين استقبلوا إخوانهم في مدينة يثرب بعد مباشرة.

يقول ربنا سبحانه من سورة الحشر: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

ثم ذكر الله أحوال أهل الإيمان من أيام رسول الله إلى قيام الساعة، لابد أن يكون حالهم على ما عليه الأمة مباشرة.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

أصحاب النبي ﷺ لهم القدح المعلى، ولهم التزكية الشاملة، ولهم الفضل العظيم، فوجب أن يترضى عنهم، وأن يذكروا بالثناء الحسن، وأن يغض الطرف فيما حصل فيما بينهم سواء ما حصل بين علي ومعاوية، أو بين علي وعائشة، فقد سئل أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عما حصل بين علي ومعاوية بفتنة عبد الله بن سبأ، الذي دخل في الإسلام زندقة ونفاقًا، فيقول عمر: تلك أمة لها ما كسبت، ولكم ما كسبت، ولا تسألون عما كانوا يفعلون، تلك دماء طهر الله منها سيوفنا، فلابد أن نطهر، فيها ألسنتنا، وعلى هذا درج المسلمون علماء وطلاب علم إلى قيامٍ الساعة، أنهم يغضون الطرف فيما حصل بين أصحاب رسول الله، فيما كان ناتجًا عن اجتهاد علي، إن معتقد أهل السُّنَّة يرون الأفضلية في علي، وأن الحق في علي ولجماعته، لكنهم لا يسبون معاوية، بل لا يسبون يزيد بن معاوية الذي قال بعض العلماء قوله مشهورة وهو شيخ الإسلام ابن تيمية: قال: أما يزيد بن معاوية فلا نحبه، ولا نسبه، ويزيد ليس من أصحاب رسول الله ﷺ لكن معاوية سوف تسمعون ما له من الفضل، وما له من السبق، وما له من الخير في الخطبة الثانية إن شاء الله.

لكن على وجه الشمول والعموم، فلا ينبغي أن ينتقص صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ، أو أن يقال: فيه نظر، فإن الصحابة كلهم عدول ومن تنقص

صحابيًا واحدًا يكون قد طعن في القرآن وفي رسول القرآن، بل يكون قد طعن في تزكية رب العالمين، لأن الله يقول عن الصحابة أجمعين: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾ [البينة: ٨].

ونبينا ﷺ يقول: «**لا تسبوا أصحابي**» وهذه تزكية شاملة «**فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا؛ ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**» (١)، لو أنفق مثل جبل أحد، تلكم الجبال التي في مدينة رسول الله ﷺ جبال عظام لو أنفقت مثلها ذهبًا أو ورقًا، أو ما كان من المال ما بلغت بالفضل شيئًا، ولا ضفر صحابي من أصحاب رسول الله ﷺ لأن هؤلاء الصحابة ضربوا أروع الأمثلة في باب الإخلاص والزهد والورع والنصرة وفي باب التعبد والتأله والتنسك، كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيها الناس من أحب أن يستن فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا يؤمن عليه الفتنة، ثم قال: عليكم بأصحاب رسول الله، فإنهم أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا (٢)، أصحاب النبي ﷺ هم حملة الشريعة والقدح فيهم، يكون قدحًا في الشرع لأنهم المبلغون عن رسول الله ﷺ، ورسول الله ﷺ مبلغ عن جبريل، ويبلغ عن رب العالمين، فإن طعنت في صحابي فكأنك قد طعنت في دين الله رب العالمين، بل كان واجبًا على المسلم أن يكون متشبهًا بأصحاب رسول الله ﷺ الذين حازوا خصال الخير كلها.

كن كالصحابة في زهد وفي ورع ... القوم هم ما لهم في الناس أشباه
عباد ليل إذ جن الظلام بهم ... كم عابد دمعه في الخد أجراه
وأسد غاب إذا نادى الجهاد بهم ... هبوا إلى الموت يستجدون لقياه

(١) صحيح: رواه البخاري رقم (٣٣٩٧)، ومسلم رقم (٤٦١١) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
(٢) قد سبق تخريجه.

يا رب فابعث لنا من مثلهم نفرًا يـشـيـدون لنا مجــدًا صنعناه

فكانت سُنَّة متبعة إلى قيام الساعة، أنه إذا ذكر صحابي من أصحاب النبي ﷺ يترضى عنه بالخير فهم أفضل الأمة بعد النبي ﷺ وهم أفضل من الحواريين أصحاب عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وأفضل من النقباء الذين اختارهم موسى بن عمران -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وهم أفضل الناس بعد النبي إلى قيام الساعة، ومن قال: أن له نظرة أخرى فيكون قد خالف المسلمين، وخالف ما أجمع عليه المسلمون من أصحاب النبي ﷺ إلى قيام الساعة بل كان العلماء يقولون: إن ديننا مبني على ثلاثة أركان القرآن الكريم، وسُنَّة نبينا ﷺ واتباع سبيل المؤمنين، الذي عناه الله بقوله: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ** ﴾ [النساء: ١١٥].

وسبيل المؤمنين المراد به: هم أصحاب رسول الله، فما كان بالأمس زمن المهاجرين والأنصار من الدين، فلابد أن يكون اليوم دينًا، وما لم يكن فإنه ليس من الدين، وهكذا فتاوى أصحاب رسول الله، وهكذا أقوالهم تعتبر حجة، لأنهم أخذوا العلوم عن رسول الله ﷺ، فوجب علينا يا عباد الله أن نعظم ما عظم الله، وأن نحقر ما حقر الله، وأن تتمعر وجوهنا إن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ بالسب يقول ﷺ: «**من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة**»(١).

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم.

---

(١) صحيح: رواه أحمد رقم (٢٦٢٦٤)، والترمذي رقم (١٨٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٢٦٢)، وعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا الكريم، ورضي الله عن أصحاب رسول الله أجمعين.

معاشر المؤمنين:

إن نبينا ﷺ ربي لنا جيلًا لن يكون له مثيل، إنه فريد من نوعه لأن المربي لهذا الجيل هو محمد ﷺ فوجب أن يتأمل في المربي وأن ينظر في ثمرات تربيته، وإذا طعن أحد في هذه التربية فيكون قد طعن في صاحبها عياذًا بالله، أما ما يتعلق بأمر الصحابي الجليل فقد وقع الإجماع من قبل العلماء على أن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أصحاب رسول الله ﷺ، وهذا الإجماع ما انتقده أحد من الناس يقول الإمام النووي: وأما معاوية بن أبي سفيان ﵁ فهو من الصحابة الفضلاء ومن الأئمة النبلاء، وهكذا ذكر العلماء تزكيات في معاوية على أنه يكفيه فخرًا وشرفًا أن يكون هو خال المؤمنين وصهر رسول الله ﷺ وكاتب الوحي لرسول الله ﷺ، فلقد كان معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يكتب الوحي لرسول الله ﷺ يكتب القرآن الكريم، كما أفصحت بذلك الأحاديث الصحاح، ومعاوية يعتبر من الرواة للأحاديث، فقد روى عن النبي ﷺ مائة وثلاثة وستين حديثًا أسندها إلى رسول الله ﷺ، وأما كونه خال المؤمنين فتأملوا عباد الله أن أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان، فهي زوجة النبي ﷺ ومعاوية هو أخوها، ولقد جاء في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: قلت مرة: «**اللهم متعني بزوجي رسول الله وبأخي معاوية وبأبي أبي سفيان**» فقال لها النبي ﷺ: « **لقد سألت**

الله آجالًا مضروبة وأيامًا معدودة وأرزاقًا مقسومة، فهلا سألتيه أن يدخلك الجنة، وأن يعيذك من النار لكان خيرًا وأفضل» [(١)]، روى هذا الحديث مسلم في صحيحه الذي هو من أصح الكتب بعد كتاب الله، فماذا نريد بعد هذا أيسب أحد خال المؤمنين ايسب صهر النبي ﷺ، أيسب كاتب الوحي لرسول الله ﷺ، معاوية بن أبي سفيان كان له من الفتوحات ما شهدت بها كتب التأريخ، أما ما حصل فيه من الكلام السيء فكتب التأريخ فيها الغث والسمين كما قال القحطاني:

لا تقبلنَّ من التوارخ كلها   جمع الرواة وخط كل بنان

فأف وتف لمن أطلق سبًا أو شتيمة في معاوية، وهذه تزكياته بين أيدينا، وماذا يفعل معاوية وقد رحل إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ولكنه واجب على أهل الدين وعلى طلاب العلم أن يغبروا، وأن تتمعر وجوههم لأصحاب النبي ﷺ، معاوية بن أبي سفيان هو الذي يروي حديث: «من يرد الله به خير يفقهه في الدين» [(٢)]، معاوية بن أبي سفيان أجمع أهل الأرض على إمامته، فقد كان أول ملك لأهل الأرض، واستمر في الشام عشرين عامًا يكرم أزواج رسول الله، ويكرم الصحابة، ويكرم التابعين لهم بإحسان معاوية بن أبي سفيان ذكر له علي فبكى بكاءً شديدًا، ولما وصل للمدينة تمعر وجهه للمنكر الذي رآه، رأى تبرجًا في بعض النساء استعملن القصة قصة الشعر، فصعد المنبر، وقال يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ إنما فسد بنو إسرائيل حينما اتخذت نساؤهم [(٣)]، قصة الشعر، هذا الرجل العظيم لابد أن يذكر بالجميل، وأما ما حصل بينه وبين علي فأمر ناتج عن اجتهاد، فلا يجوز لنا أن نتدخل في ذلك، على أننا

(١) صحيح: رواه مسلم رقم (٤٨١٤).
(٢) صحيح: رواه البخاري رقم (٦٩)، ومسلم رقم (١٧١٩).
(٣) صحيح: رواه البخاري رقم (٥٤٧٧)، باب الواصل في الشعر، ومسلم رقم (٣٩٦٨)، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة.

نرى أن الأحقية لعلي، لكنها فتن زرعها عبد الله بن سبأ وأمثاله من المنافقين، فزرعوا العداوات والبغضاء في صفوف علي ومعاوية، وفي صفوف عائشة وفي صفوف علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كانوا يذهبون إلى الليل فيرمون بأحجار إلى المعسكر هذا، ثم أحجار إلى المعسكر الآخر حتى يتوهم أصحاب المعسكرين أن المعسكر الآخر هو الذي يرميه بالحجارة، وهكذا دبت الفتن بعد موت عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فكانت تلك الفتن الكثيرة في قواميس أهل السُّنَّة، إنها ناتجة عن اجتهاد، وأن الذي زرعها هم السبئيون الذين والعياذ بالله دخلوا في الإسلام ليضربوا بيضته من الداخل، وعلى أية حال يا عباد الله وجب أن نمسك عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ ، كما قال ابن رسلان رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما جرى بين الصحابة نسكت ....

أما ما هو حاصل لبعض الكتاب سواء في جريدة البلاغ أو ما كان مماثلًا لها فنقول: موتوا بغيظكم، والله لن تستطيعوا أن تلصقوا شيئًا أو أذى بصحابي أو بمسلم، كما قيل:

كناطح صخرة يومًا ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ماذا يريدون من سبهم لمعاوية، وماذا يريدون من تنقصهم لمسلمة الفتح ولعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي عروسة الرسول ﷺ في الدنيا والآخرة، إنهم يا عباد الله يريدون أن يعيدوها مهدوية من جديد، وسبأية من جديد، وما كفانا ما حصل من بدر الدين الحوثي الذي ربى شبابًا كان يسميهم الشباب المؤمن، رباهم من عام تسعين، ولما كان عام ألفين وأربعة بان خبثه ومنازعته لولاة الأمر، وهكذا هذه الجريدة هي تتبنى هذا الفكر ولها صلة بهذا الرجل، وقد كانت تدافع عنه إما بالإشارة أو بغيرها فنقول:

يا عباد الله: وجب على القراء و على الكتَّاب أن يتقوا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- وجب على أرباب الأقلام، وعلى أرباب الفكر، أن يتقوا الله عَزَّوَجَلَّ فيما يكتبون وفيما يسطرون.

فـما مـن كـاتـب إلا سيبلى ويبقى الدهر ما كتبت يداه

فـلا تكتب بكفك غـير شيء يـسرك في الـقـيـامـة أن تـراه

لأنك يا عبد الله إذا كتبت عبارة لابد أن تتأكد وأن تتيقن، أنك ستسال عن هذه العبارة، وأنت أيها القارئ إن قرأت كلامًا فإياك أن تأخذه بحكم التسليم، وإنما يؤخذ التسليم لكتاب الله ولسُنَّة رسول الله ﷺ، أما كلام البشر فاعرضه على العلماء وعلى طلاب العلم الذين يميزون الحق من الباطل، والغث من السمين، فإياك أن تقود نفسك إلى فتنة بسبب كاتب أعجبت بكتابته، أو بما يردده شيعة إيران، تلك الشيعة التي تتظاهر بأن الموت لإسرائيل أو لأمريكا، وهي إنما تخطط لإبادة المسلمين كما هو حاصل في تأريخ الشيعة، وهكذا ما هو حاصل في أرض العراق، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أنه لا يمكن وما حصل على امتداد التأريخ الإسلامي أن الشيعة أو الرافضة نصروا الإسلام، بل إنهم خذلوه ولهم تأريخ أسود كما حصل لزعيمهم ابن العلقمي وغيره، أيضًا من نصير الدين الطوسي الذي يبارك معاركه ضد المسلمين الإمام الخمينيُّ فإننا في وقت أحرص ما يكون إلى لم شملنا، وإلى أن نتحد في صفوفنا.

ماذا التقاطع في الإسلام بينكمو وأنـتـم يـا عـبـاد الله إخـوان

اللهم اهدنا، واهد بنا ، اللهم آتنا في الدنيا حسَنة، وفي الآخرة حسَنة، وقنا عذاب النار ، اللهم احشرنا مع نبيك ﷺ.

اللهم آمنا في أوطاننا، واحفظ ولاة أمورنا.

٢٩- قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

الخطبة الأولى :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النِّسَاء:١] .

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأَحْزَاب:٧٠-٧١] .

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين:

في خطبتنا هذه نعيش مع حياة بطل من الأبطال شخصية لامعة في عالم القرآن الكريم، ذلكم النبي المكلم موسى بن عمران الذي كرر الله قصته في القرآن حيث يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: يكاد القرآن أن يكون لموسى، فقد

كانت قصة موسى قصة جدلية تربوية.

إنها قصة عظيمة ، حيث كان المتحدث فيها إلى الخلق هو الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].

إن هذه القصة المباركة العظيمة واجب على المسلمين وعلى الدعاة إلى الله، على وجه الخصوص أن يأخذوا بعبرها وأن يتعظوا بعظتها، لأنها قصة مباركة يتحدث الله بها عن هذا النبي الكريم، فموسى بن عمران في الصحراء يعود من مدائن شعيب بعد أن قضى فيها عشرة أعوام، يعود من تلك المدائن بعد أن أعياه السفر والتعب وهشه على غنمه فينزل في ظل شجرة يعاني ما يعانيه المسافر، فإذا به يفاجأ بأمر ما كان يخطر له على بال، إنها عناية الله وحفظ الله يحفظه منذ أن كان في بطن أمه، ثم بعد أن ألقته أمه في التابوت فتلقبه ذلكم البحر، عناية الله فيعود إلى قصر فرعون، ثم يعود إلى أمه لتحضنه، وكان يربى بمرأى من فرعون رغم أنف فرعون، وما كان قد قرره أن يقتل كل غلام من بني إسرائيل، فيربيه فرعون، وتحضنه أمه، وتأتيه الأعطيات والهدايا من قصر فرعون، ثم بعد أن حصل ما حصل من موسى في قتله رجلصا من بني إسرائيل فيفر هاربًا من مصر، فالله –عز وجل– يربيه لأمر عظيم فتلحقه عناية الله.

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ

﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه: ٩-١٦].

فهذه بداية الانطلاق وبداية الرسالة التي يحمله الله -عَزَّوَجَلَّ- بهان بداية الاصطفاء والاختيار فيذكره الله بثلاث قضايا هي من أهم القضايا، إنها قضايا كبرى عظيمة وجب على المسلم أن يتفطن لها قضية التوحيد وأمر العقيدة، ثم قضية الصلاة، وقضية الإيمان باليوم الآخر، فأمر العقيدة أمر عظيم يقول الله لموسى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [طه: ١٤]. فكأن الله يعرف إلى موسى بنفسه يقول تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ [طه: ١٤]. فهذا هو الإله الذي كان واجبًا على موسى، وعلى غيره من المسلمين أن يهتفوا له بالتوحيد، ويشهدوا له بالعبودية، وأن يهتفوا له بالذكر صباحًا ومساء، فيقول الله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي﴾ وقد تعرف الله إلى نبيه محمد حيث يقول: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. ووجب على المسلمين أن يتأملوا ذلك، فإنسان من غير عقيدة ما عرف حقيقة الحياة، وما عرف حقيقة نفسه.

تعرَّف يا ابن أمي في العقيدة ... يا أخا الإسلام في الأرض المديدة

ما حياة المرء من غير عقيدة ؟:

إنها حياة لا تساوي شيئًا، يوم أن يكون الإنسان تائهًا بليدًا ضائعًا، لا يدري من أين أتى ولا إلى أين أتى، كما يقول بعض النصارى في ديوان له بعنوان الجداول وآخر بعنوان الطلاسم يقول:

لا أدري من أين جئت ولكني أتيتُ ... ولقد أبصرت قدامي طريقًا فمشيتُ

وسأبقى ماشيًا إن شئت هذا أم أبيتُ ... لست أدري لست أدري

إنه لا يدري لأنه ما عرف القرآن، ولا عرف رسول القرآن ولا عرف رب القرآن، يقول -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا

مَذۡكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ١- ٢].

أمر العقيدة يا عباد الله يجب على المسلم أن يتأمل فيه، وأن يعلم أنها عنوان حياته، وأنه إن تعلم أمر المعتقد سلم له توحيده في الدنيا، وأمن في الآخرة، كما قال ربنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٢]. هذا أحد المسلمين ضل عن الطريق، فتأمل في كثير من المناهج الفلسفية التي لا تمت إلى الحق أبدًا، وفي نهاية المطاف أعياه ما كان يعانيه فيقول:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعًا كف حائر على ذقن أو قارعًا سن نادم

بمعنى انه رأى الناس يعيشون في حيرة، رأي حياة الفلاسفة وحياة الذين نبذوا الكتاب والسُّنَّة خلف ظهورهم، فتمسكوا ببعض الآراء آراء الأوروبيين كفيئا غورث وأرسطو وسقراط، أولئك الذين ينظر إليهم بعين الإعظام الإجلال عند كثير من المسلمين اليوم، فرد عليه بعض أهل السُّنَّة قائلًا: يا أستاذ :

لعلك أهملت الطواف بمعهد الرسول ومن والاه من كل عالم
فما خاب من يهدي بهدي محمد ولست تراه قارعًا سن نادم

وأما القضية الثانية- فهي قضية الصلاة، فلا دين لمن لا صلاة عنده، ولا أخلاق، ولا زكاة إنه ساقط العدالة، ومخروم المروءة من كان يعيش بني ظهراني المسلمين وهو تارك للصلاة، فالصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، يقول ﷺ في الحديث الصحيح: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها**

فقد كفر» [(١)].[(٢)]

وأما القضية الثالثة- فأمر العقيدة والإيمان باليوم الآخر، إذا تذكر العبد أن للدنيا فناءً ولها انقطاعًا، وأنه في يوم من الدهر سيصاح به رجوعًا إلى الله، وفي يوم آخر يجمع الله الأولين والآخرين، فيحاسب الله عباده على مثاقيل الذر فتهون عليه مصائب الدنيا.

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

فالله -عَزَّوَجَلَّ- يشعر موسى وينبؤه بهذه الثلاث القضايا العظيمة ، قال: ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴾ [طه: ١٤-١٦].

ثم يقول الله وهو أعلم: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ [طه: ١٧]، فموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ آخذ عصاه بيمينه، والله يعلم بذلك فيتلطف الله إلى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بهذا السؤال فيعجب موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يقول هي عصاي، لكنه يريد أن يستلذ بخطاب الله، وأراد الله من هذا الخطاب أن يزيل الوحشة من قلب موسى، فإن

---

(١) فائدة: «في حكم تارك الصلاة» قال الشوكاني في نيل الأوطار (١/ ٣٦٩)، تعليقًا على حديث: في صحيح مسلم، ولفظه «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ** ....» الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنْ تَرْكَ الصَّلَاةِ مِنْ مُوجِبَاتِ الْكُفْرِ، وَلَا خِلَافَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُفْرِ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُنْكِرًا لِوُجُوبِهَا إلَّا أَنْ يَكُونَ قَرِيبَ عَهْدٍ بِالْإِسْلَامِ أَوْ لَمْ يُخَالِطْ الْمُسْلِمِينَ مُدَّةً يَبْلُغُهُ فِيهَا وُجُوبُ الصَّلَاةِ، وَإِنْ كَانَ تَرْكُهُ لَهَا تَكَاسُلًا مَعَ اعْتِقَادِهِ لِوُجُوبِهَا كَمَا هُوَ حَالُ كَثِيرٍ مِنْ النَّاسِ، فَقَدْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ. ثم نقل بعد ذلك نبذًا من الخلاف- مشهور قول الجماهير من السلف والخلف منهم مالك والشافعي إلى أنه لا يكفر بل يفسق فإن تاب وإلا قتلناه حدًا كالزاني المحصن...إلخ راجع رسالة حكم تارك الصلاة للشيخ الألباني: صفحة رقم (٨).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٢١)، والنسائي (٤٦٣)، وابن ماجه (١٠٧٩)، وأحمد (٢٢٩٨٧)، وابن أبي شيبة (٣٠٢٩٦)، وابن حبان (١٤٥٤)، والدارقطني (٢)، والبيهقي (٦٢٩١)، وصححه الشيخ الألباني في الترغيب والترهيب (٥٦٤).

هذا أمر خارق للعادة، ما كان يعرفه موسى ﷺ، لكن العرب تعرف هذا فهذا الأزدي يقول:

أخاطب ضيفي قبل إنزال رحله ... ويخصب عندي والمكان جديب

وما الخصب للأضياف أن يكثر ... ولكنما وجه الكريم خصيب

فالله يتلطف بهذا السؤال يقول: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ فيقول الله حاكيا عن موسى : ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٨-٢٠]. إنها عصا من جملة العصي، وما كان موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا غير موسى دون رب العالمين يعلم أنه سيكون بهذه العصا تأريخ وتكون معجزة كبرى: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٩-٢٢].

هذه تمهيدات وتوطئات، هذه ابتداءات وَطَّن الله -عَزَّوَجَلَّ- بها قلب موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من أجل أمر عظيم، من أجل أن يوجهه داعية مبشرًا ونذيرًا إلى ذلكم الرجل، الذي أعلن الألوهية لنفسه والذي أكثر الفساد في البلاد، وأكثر الإلحاد إلى ذلكم المجرم الأثيم، الدكتاتوري الإرهابي، السفاك، إنه فرعون ملك مصر الذي كان يلقي المحاضرات في المنتديات، وأولئك السذج من البشر يطأطئون الرؤوس ويصفقون له، ويقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨].

يقول: ما علم لهم من إله غيره، فإذا هم يصفقون ويوافقونه على ما يريد عياذًا بالله: فيقول الله لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ [طه:

٢٤]، أي تجاوز الحدود وكان طغيان فرعون طغيان عام شامل، طغى في باب العقيدة والتوحيد، وفي باب العبادة والسلوك وطغى أيضًا في باب الإجرام، فحينما كان يعلن الألوهية لنفسه ما غضب الله، فإن الله يمهل ولا يهمل فلما أكثر فسادًا في الأرض، استحيا النساء، وقتل الرجال، ويتَّم الأطفال، وعمل ما لا يعمله أحد على وجه، الأرض، انتقم اللهِ وغار الله على خلقه ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]. ما كان الله غافلًا على فرعون، ولكنه يمهله، ففي هذه اللحظات الأخيرة يأمر الله هذا النبي الكريم أن يذهب إلى فرعون، لا يذهب إلى قصره فقط، ولا إلى عسكره، ولا إلى جنوده، ولا يوجه له رسالة ولا شرطة من قبل موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وإنما يذهب هو بنفسه مباشرة قال: ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴾ [النازعات: ١٧-٢٣].

ثم نادى في قومه، قال: هو ربهم الأعلى عياذًا بالله، وقد كان بعض الصالحين إذا قام يصلي من الليل يخفض صوته لهذه الآية حياء من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- لكن فرعون ما كان عنده حياء في قلبه، ما كان عنده استحياء، إنه أعلن والعياذ بالله قلة الحياء، وقلة الأدب مع الله-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فهنالك موسى يعرف ما كان عنده من الخطاب، ومن الفصاحة والبيان، فيقول الله -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِى ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾ كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾ [طه: ٢٩-٣٤].

فيطلب موسى من ربه أن يكون هارون وزيرًا ونبيًا مثله، لأنه كان عنده فصاحة وبيان، على أن فرعون وقد طلب موسى من ربه هذا استهزأ بموسى أيما استهزاء، فحينما جاءه داعيًا إلى ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- فإذا به يقول: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا

تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزخرف: ٥١-٥٢].

يُتهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالعي وباللكانة في لسانه، على أنه كان فصيحًا وأخوه هارون أفصح منه لسانًا، ولكنه هكذا يلجأ إلى مثل هذا، وحينما لم يستطع فرعون أن يواجه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حجة بحجة يجمع السحرة من جميع البلاد فتكون الغلبة لموسى وهارون، فيؤمن السحرة برب موسى وهارون، فيتهدد فرعون، وهكذا الجبان يلجأ إلى القوة في مضايق الأمور، ما كان عنده من الاستجابة لرب العالمين فيتهدد موسى يقول: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

ويقول لأولئك السحرة: ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ﴾ [طه: ٧١].

فإذا بهم يقولون: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ﴾ [طه: ٧٢]. قذف الله الإيمان في قلب هؤلاء السحرة، فإذا بهم يذعنون لرب العالمين، وإذا بفرعون يستنفر قوته في البلاد، فكان عنده من القوة في قصرة، ستة وثلاثون ألفًا كلهم يزعم أن فرعون عو ربه وإلهه، وأنهم عبيد لفرعون وكان عنده عسكره وحاشيته ما يقرب من ستمائة ألف نفر، فالدنيا كلها مع فرعون لكن موسى معه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

يقول جَلَّ وَعَلَا في المعركة الفاصلة بين ألد أعدائه أو أعظم أوليائه، بين فرعون وموسى كليم الرحمن: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ

﴿فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٥].

فالله يشقق البحر لموسى، ليكون اثنتي عشر طريقًا يبسًا، لقد غار الماء لقد ضرب موسى بعصاه وضرب الله بقوته فيتفجر البحر يبسًا طرقًا، وكان الماء بمثابة الجبال، فدخل موسى وقومه في البحر، فما خرج آخر واحد منهم من البحر، ودخل آخر واحد من أصحاب فرعون إلا ورجع البحر عليهم، أغرق الله فرعون هو بالأمس يتبجح ويتفخفخ ويتعالى على قومه، بأن الأنهار تجري من تحته، فأجراها الله على رأسه، وأغرقه الله حتى أن جبريل يقول: يا محمد لو رأيتني وأنا أدس أنف فرعون في الطين أو في الماء حتى لا تتداركه عناية الله هذا هو مصير الظالمين ومصير المتكبرين فلكل ظالم نهاية ولكل تمام نقصان لكل تمام نقصان.

لكل شيء إذا ما تم نقصان فلا يغر بطيب العيش إنسان

هي الحياة كما شاهدتها دول من سره ومن ساءته أزمان

فهذا فرعون، وما جمعه من الماء، والقوة، والرجال، إذا به هناك تحت طبقات الأمواج يقاسي ما يقاسيه، فلما أدركه الغرق إذا به يقول: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠].

فقيل له: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]. الآن أيها المفسد أيها المجرم الأثيم، الآن أيها الظالم، الآن أيها النصاب، يا من تفخفخت وترفعت هل رب العالمين، تريد النجاة في مضايق الأمور، فأنى لك أن يكون ذلك، وقد جاءك النذير، جاءك الرسول، جاءتك الآيات البينات، لكنك أبيت إلا الاستقلال فها أنت كمسيلمة الكذاب: نقنقي أو لا تنقنقي فأسفلك في الطين، وأعلاك في الماء، ولن تشربي، ولن تسلمي،

فالله –عَزَّوَجَلَّ– يذكر قصة فرعون، فيختمها بقوله –سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ– ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١-١٤].

فالذين مضى ذكرهم في الآية صب الله عليهم سوط عذاب، ومن كان على شاكلتهم من أصحاب جحافل الظلم والكبرياء إلى قيام الساعة فالله له بالمرصاد.

يا عباد الله: هذا صريح القرآن، وهذا حكم رب العالمين، لكل من طغى وعتى تجبر إلا خذله الله، وأخذه أخذ عزيز مقتدر، لكن الله يمهل ولا يهمل، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: « **إن الله ليملي**(١) **للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** »(٢).

ثم قرأ قوله –سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ–: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(٣)، فمن يسمي اليوم بفرعون، ومن يطيق أن يسمع ذكر فرعون، من يسمى، أو يتفاخر بأن يسمي ابنه أو أخاه بفرعون؟ إنه موجود لقبًا واسمًا وطبعًا وسلوكًا، لقد أبغضت الحياة كلها فرعون، وما بالك بامرأة فرعون آسية ست مزاحم، التي عظم الله شأنها في القرآن، قال –سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ–: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ

(١) ليمل: ليمهل.
(٢) لم يفلته: لم يخلصه، ولم يتركه حتى يستوفي عقابه.
(٣) رواه البخاري رقم (٤٤٠٩)، في كتاب التفسير، ومسلم في «البر والصلة والأداب» باب «تحريم الظلم» رقم (٢٥٨٣).

﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

يقول محمد ﷺ: «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية بنت مزاحم، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد**» يشهد لها الرسول برجاحة العقل، لقد عدتها فرعون، لكنه ما استطاع أن يلوي قلبها، لأن القلب لا يمتلكه إلا الله أو صاحبه إن أراد له الاستقامة، أو الحياة، أو الانحراف فعصم الله قلبها، وهدب الله سلوكها، واختارت الجار قبل الدار، اختارت جوار الله : ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم: ١١].

اللهم بارك لي ولكن في القرآن العظيم، وانفعنا بها فيه من الآيات والذكر الحكيم وانفعنا واهدنا بسُنَّة سيد الأولين، والآخرين، هذا ما قلته لكم وأستغفر الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروا يغفر لكم.

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

عباد الله: روى البخاري في صحيحه أن نبينا ﷺ: حينما قدم المدينة فَرَأَى اليَهُودَ تَصُومُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ، فَقَالَ: «**مَا هَذَا؟**»، قَالُوا: هَذَا يَوْمٌ صَالِحٌ هَذَا يَوْمٌ نَجَّى اللَّهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عَدُوِّهِمْ، فَصَامَهُ مُوسَى، قَالَ: «**فَأَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ**»، **فَصَامَهُ، وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ**»[1]. وأرسل إلى قرى الأنصار: «**أن من أصبح مفطرًا فليمسك بقية يومه ومن أصبح صائمًا فليواصل صيامه**»[2]، وكان يوم عاشوراء يومًا واجبًا صومه، فلما فرض رمضان في العام الثاني من الهجرة، كانت الفريضة في صوم رمضان فكان صوم رمضان هو الصوم الواجب، وهو ركن من أركان الإسلام وجاءت الأحاديث تبين استحباب صوم يوم عاشوراء فقال: «**أَحْتَسِبُ عَلَى اللهِ أَنْ يُكَفِّرَ السَّنَةَ الَّتِي قَبْلَهُ**»[3]، فهذا فضل عظيم والفرصة بين أيديكم يا عباد الله، والله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يقول: ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وصيام يوم عاشوراء تمنى النبي ﷺ أن يصوم يومًا قبله، فيقول ﷺ: «**فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع**»، قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ[4]، أي سوف يصوم تاسوعاء، هذا اليوم الذي نحن

---

(١) صحيح: رواه البخاري في الصيام باب «صيام يوم عاشوراء» رقم (١٨٥٦)، وأحمد رقم (٢٥١٢).

(٢) صحيح: رواه البخاري رقم (١٨٦٨)، ومسلم رقم (١٩١٩).

(٣) صحيح: رواه مسلم في الصيام باب صوم يوم عاشوراء رقم الحديث (١٩٧٦).

(٤) صحيح: رواه مسلم في الصيام باب أي: يوم يصام في عاشوراء رقم (١١٣٤)، (جزء/ ٢)، (ص: ٧٩٧).

فيه فيه هو تاسوعاء، ثم عاشوراء هو يوم السبت فيتمنى النبي ﷺ أن يصوم تاسوعاء وعاشوراء مخالفة لأهل الكتاب، وقد ذكر ابن القيم في زاد المعاد وابن حجر العسقلاني في فتح الباري، أن صيام يوم عاشوراء على ثلاثة أوجه: «فأفضلها أن يصام يومًا قبله ويصام يوم عاشوراء ويصام يومًا بعده مخالفة لليهود والنصارى وهذا من أفضلها»، ثم أدنى منه قليلًا أن يصام يوم التاسع ويوم العاشر، وأدنى من هذا القسم الثاني أن يصام يوم عاشوراء وهو اليوم العاشر من محرم، على أننا يا عباد الله تعيش في شهر حرام، إن هذا الشهر هو أحد الأشهر الحرم، كما تقدم لكم في في الجمعة الماضية، فنحن نعيش في أيام مباركات، وليالٍ فاضلات، ما بالك إذا كان هو يوم عاشوراء، وما بالك إذا طبقت سُنَّة النبيِّ ﷺ، حيث إنه تمنى إن عاش إلى إلى قابل عمره أن يصوم التاسع والعاشر، يقول -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٩ - ٧٠].

فطبقوا عباد الله سُنَّة النبي ﷺ حتى تشربوا من يده الشريفة شربة لا تظمئوا بعدها أبدًا، وتكونوا له مرافقين في الجنة، إنكم يا عباد الله إن اتبعتم سُنَّة النبي ﷺ آجركم الله وأحكم الله، قال سبحانه: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠]. وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [آل عمران: ٣١]، وهكذا بفضائل الأعمال وبالنوافل بعد الفرائض تكتسبون عناية الله، وولايته، كما قال ربنا سبحانه في الحديث القدسي: « **وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِه، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِه، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ**»[(١)].

(١) رواه البخاري في الرقاق باب التواضع رقم (٦٠٢١).

اللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى، اللهم لا تدع لنا ذنبًا إلا غفرته، ولا همًا إلا فرجته، ولا دينًا، إلا قضيته، اللهم أصلحنا، وأصلح عبادك المؤمنين يا رب العالمين.

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار، اللهم اجعلنا هداة مهتدين غير ضالين، ولا مضلين، اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، ومن تحول عافيتك، ومن فجاءة نقمتك، ومن جميع سخطك(١)، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، اللهم من كان في خير للبلاد، والعباد فأعنه يا رب العالمين، ومن كان يحمل الشر والحقد للبلاد والعباد، فأرح المسلمين من شره، إنك على كل شيء قدير، اللهم إنا نسألك يا ربنا أن تغفر لنا، وأن تغفر لوالدينا، ولأموات المسلمين أجمعين، اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، المؤمنين، المؤمنات، الأحياء منهم والأموات، اللهم حرِّم وجوهنا عن النار، ووجوه ووالدينا عن النار، واجعل مآلنا إلى جنة الفردوس الأعلى، إنك أكرم من أعطى، وأعظم من سئل، أنت رب العالمين، أنت رب الطيبين، أنت رب جبريل وميكائيل ومحمد والصالحين، نسألك اللهم بأسمائك الحسنى، وصفاتك العلى، وبأحب الأسماء إليك، نسألك يا الله أن تخرجنا من هذه الدنيا، بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن تجعلنا من عبادك الصادقين، وأن ترفع درجاتنا في المهديين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

(١) وهذا من دعاء النبي ﷺ، وهو صحيح: وقد سبق تخريجه.

٣٠- البعثة والهجرة

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [آل عِمْرَان: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النِّسَاء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأَحْزَاب: ٧٠-٧١].

فإن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

معاشر المؤمنين:

حينما كثر الخبث في الأرض نظر الله -عَزَّوَجَلَّ- نظرة إلى أهل الأرض عربهم وعجمهم، فعلم -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- ما هنالك من المنكرات والفساد، وما هنالك من الشرك والابتداع وفساد الأخلاق، ليس في مجال واحد وإنما في مجالات

شتى، فحينما بعث الله محمدًا ﷺ نبيًا ورسولا بشيرًا ونذيرًا داعية إلى توحيد الله، إنه داع إلى جنة عرضها السماوات والأرض، فقال جَلَّ وَعَلَا:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

إن ذلك الضلال ضلال واضح وضلال عام شامل ضلال في باب المعتقدات، فكانوا يسجدون لغير الله يؤلهون غير الله، يذبحون للأصنام والأنصاب، وكانوا يستقسمون بالأزلام، إنهم كانوا يعيشون في ضلال في مجال التوحيد، يستعينون ويستغيثون بالجن، كما قال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وإذا تأملت من باب آخر من باب الأنكحة مثلًا فقد كان النكاح في الجاهلية على أربعة أضرب كما جاء في صحيح البخاري «أَنَّ النِّكَاحَ فِي الجَاهِلِيَّةِ كَانَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحاء: فَنِكَاحٌ مِنْهَا نِكَاحُ النَّاسِ اليَوْمَ: يَخْطُبُ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ وَلِيَّتَهُ أَوِ ابْنَتَهُ، فَيُصْدِقُهَا ثُمَّ يَنْكِحُهَا، وَنِكَاحٌ آخَرُ: كَانَ الرَّجُلُ يَقُولُ لاِمْرَأَتِه إِذَا طَهُرَتْ مِنْ طَمْثِهَا: أَرْسِلِي إِلَى فُلاَنٍ فَاسْتَبْضِعِي مِنْهُ، وَيَعْتَزِلُهَا زَوْجُهَا وَلاَ يَمَسُّهَا أَبَدًا، حَتَّى يَتَبَيَّنَ حَمْلُهَا مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي تَسْتَبْضِعُ مِنْهُ، فَإِذَا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا أَصَابَهَا زَوْجُهَا إِذَا أَحَبَّ، وَإِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ رَغْبَةً فِي نَجَابَةِ الوَلَدِ، فَكَانَ هَذَا النِّكَاحُ نِكَاحَ الاِسْتِبْضَاعِ. وَنِكَاحٌ آخَرُ: يَجْتَمِعُ الرَّهْطُ مَا دُونَ العَشَرَةِ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى المَرْأَةِ، كُلُّهُمْ يُصِيبُهَا، فَإِذَا حَمَلَتْ وَوَضَعَتْ، وَمَرَّ عَلَيْهَا لَيَالٍ بَعْدَ أَنْ تَضَعَ حَمْلَهَا، أَرْسَلَتْ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ رَجُلٌ مِنْهُمْ أَنْ يَمْتَنِعَ، حَتَّى يَجْتَمِعُوا عِنْدَهَا، تَقُولُ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمُ الَّذِي كَانَ مِنْ أَمْرِكُمْ وَقَدْ وَلَدْتُ، فَهُوَ ابْنُكَ يَا فُلاَنُ، تُسَمِّي مَنْ أَحَبَّتْ بِاسْمِهِ فَيَلْحَقُ بِهِ وَلَدُهَا، لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْتَنِعَ بِهِ الرَّجُلُ، وَنِكَاحُ الرَّابِعِ:

يَجْتَمِعُ النَّاسُ الكَثِيرُ، فَيَدْخُلُونَ عَلَى المَرْأَةِ، لا تَمْتَنِعُ مِمَّنْ جَاءَهَا، وَهُنَّ البَغَايَا، كُنَّ يَنْصِبْنَ عَلَى أَبْوَابِهِنَّ رَايَاتٍ تَكُونُ عَلَمًا، فَمَنْ أَرَادَهُنَّ دَخَلَ عَلَيْهِنَّ، فَإِذَا حَمَلَتْ إِحْدَاهُنَّ وَوَضَعَتْ حَمْلَهَا جُمِعُوا لَهَا، وَدَعَوْا لَهُمُ القَافَةَ، ثُمَّ أَلْحَقُوا وَلَدَهَا بِالَّذِي يَرَوْنَ، فَالْتَاطَ بِهِ، وَدُعِيَ ابْنَهُ، لاَ يَمْتَنِعُ مِنْ ذَلِكَ «**فَلَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالحَقِّ، هَدَمَ نِكَاحَ الجَاهِلِيَّةِ كُلَّهُ إِلَّا نِكَاحَ النَّاسِ اليَوْمَ**»(١).

إن هذا هو منتهى الضلال، وهكذا فيما يتعلق بالبيوع والمشتريات، فقد كان الربا متفشيًا فيهم، وهكذا يعيشون في ضلالات وجهالات، فأراد الله -- عَزَّوَجَلَّ- لهذه الأمة خيرًا، فيبعث رجلًا من أهل مكة معروفًا بالصدق والعفاف والطهر والأمانة إنه رجل كان يلقب بالصادق الأمين، لأنه يصدق في كل أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، وكان من سلالة عربية قوية حتى يعلم أنه من نكاح شرعي ليس من سفاح، فيبعث الله هذا النبي يبعثه في أهل مكة بشيرًا ونذيرًا، وقبل أن يبعث كان يتعبد الليالي ذوات العدد في غار حراء، يسمى الآن بجبل النور وهو جبل معروف بمكة فيفاجئه جبريل أمين وحي السماء فيقول له: أقرأ يقول. ما أنا بقارئ، لأنه أميّ لا يقرأ فكان إرساله معجزة عظمى يتحدث إلى الناس بالوحي المنزل دون أن يستطيع قراءة أو كتابة، فأخذه جبريل فيضمه ثلاث مرات ثم يرسله، ثم يقول له.

﴿**ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ**﴾ [العلق: ١-٥]، ثم فتر الوحي وإذا بفترة وجيزة يعقبها إيحاء آخر فينزل الله جبريل يحمل سورة المدثر إلى النبي ﷺ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ**﴾ [المدثر: ١-٥](٢).

فيقوم نبينا ﷺ داعية إلى التوحيد فأول من آمن به من الرجال أبو بكر،

---

(١) صحيح: رواه البخاري «في النكاح» باب «من قال لا نكاح إلا بولي» رقم (٤٧٣٢).
(٢) قد سبق تخريج الحديث.

وكان صديقًا له في الجاهلية فلما عرض عليه الإسلام قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، ثم صار أبو بكر داعية إلى التوحيد، فأسلم على يديه عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير ابن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، هؤلاء من ضمن العشرة المشهود لهم بالجنة بخاتم رسول الله ﷺ وآمنت به خديجة وابنته، وآمن به بلال بن رباح، آمن به زيد بن حارثة وبعض المستضعفين، ثم علمت بذلك قريش فصبت وابل غضبها على نبينا ﷺ، لقد كان يومًا يصلي بالقرب من الكعبة.

فقال بعضهم لبعض: أيكم ينطلق إلى سلا جزور بني فلان فانطلق أحدهم، فيأتي بسلا الجزور فيضعه على عاتق النبي ﷺ وهو ساجد في الصلاة، فما استطاع أحد من أصحابه أن يغير من الواقع شيئًا، فأخبروا فاطمة وكانت صبية فجاءت وأزالت عن ظهره، ثم رفع النبي يديه إلى السماء يدعو على أولئك القوم الذين وضعوا عليه سلا الجزور (١)، ثم حاول محاولات شتى أن يدعو القرشيين فآمن به من آمن، وأعرض من أعرض، وكان من أشد الناس أذية له عمه، عبد العزى أبو لهب، وامرأته أروى أم جميل، حتى أنزل الله فيهما: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾ [المسد]. كانت تضع الأذى على طريق النبي ﷺ.

وهذا صحابي صغير طارق بن عبد الله المحاربي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيت النبي ﷺ في أسواق مكة، وفي أسواق مجنة، وعكاظ وذي المجاز وهو يقول: «**يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**»، قال: فرأيت رجلًا يمشي خلفه يقول: كذاب لا تصدقوهن فقلت: من هذا؟، قالوا: هذا عمه، هذا عبد العزى أبو

---

(١) صحيح: قد سبق تخريجه.

لهب، قلت: ومن هذا الذي يقول مقالته؟ قالوا: غليم ابن عبد المطلب [١].

فيستمر الرسول ﷺ ثلاثة عشر عامًا داعية إلى التوحيد، داعية إلى الصدق، وإلى العفاف، وإلى صلة الأرحـام، داعية إلى ما يقرب الناس من الخير، ويباعدهم عن الشر ولكن كما قيل: ولكن اللئيم عن المكارم يشغل.

ففكر ﷺ أن يخرج من مكة إلى الطائف رجاء أن يؤمن به أهل الطائف، فيذهب هناك، ويلتقي برؤساء العشائر، ويعرض عليهم الإسلام، لكنهم واجهوه بعكس ما كان يتصوره، فقد سلطوا عليه الصبيان والسفهاء فأدموه رميًا بالحجارة، فيعود ﷺ من الطائف مفكرًا مطأطئًا رأسه، قال: فلم أفق إلا وأنا بقرن الثعالب» مغموم إنه خرج من مكة وما يستطيع أن يعود إليها مرة ثانية، فإذا بجبريل يناديه ويقول: إن الله سمع رد قومك عليك، وإنه قد بعث عليك ملك الجبال، ثم ناداه مالك الجبال»، فقال: إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين فيقول ﷺ: «**لا إني أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يقول لا إله إلا الله**» [٢]، ولما وصل رسول الله ﷺ إلى القرب من مكة علم أنه لا يستطيع الدخول فدخل في جوار رجل من المشركين، يقال له المطعم بن عدي وكان هذا الرجل وأولاده على الشرك لكنها حمية الجاهلية إنه جوار جاهلي افتقده الكثير من المسلمين اليوم فيدخل الرسول بجوار هذا المشرك ويطوف حول الكعبة وأولاد المطعم بأسلحتهم يحمونه، فلما كان في بدر ذكر النبي ﷺ موقف المطعم قال: «**لو كان المُطعم بن عدي حيًّا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له**» [٣]، وبعد هذه الظروف وهذه الأحزان بما فيها ثلاثة أعوام سجينًا في شعب

(١) صحيح: رواه أحمد رقم (١٦٠٦٦)، (٣/ ٦١)، والحاكم رقم (٣٩)، (١/ ٦١)، والطبراني (٦١)، رقم (٤٥٢٨) من حديث ربيعة بن عباد ورواه ابن أبي شيبة (٧/ ٣٣٢) رقم (٣٦٥٦٥)، من حديث طارق المحاربي، والبيهقي في السُّنن (٦/ ٢٠)، رقم (١٠٨٧٩)، من حديث طارق كذلك أيضًا، وصححه العلامة الألباني في صحيح السيرة النبوية (١/ ١٤٣).

(٢) الحديث في صحيح البخاري وقد سبق تخريجه.

(٣) صحيح: رواه البخاري في المغازي باب «شهود الملائكة بدرًا» رقم (٣٧٩٩)، (جزء/ ٤) (ص: ١٤٦٦).

أبي طالب، ولما حصل من الأذى نَفَّس الله عليه بالإسراء والمعراج، الإسراء إلى بيت المقدس والمعراج إلى السماوات العُلى، هناك إلى الرفيق الأعلى وفرض الله عليه الصلوات التي يؤديها المسلمون في اليوم والليلة، وبعد هذه الفترة الزمنية التي يعيشها ﷺ بمكة يأذن الله -عَزَّوَجَلَّ- له بالهجرة، وقد كان من أصحابه من هاجر إلى المدينة، والتقى ببعض الأنصار هناك في مكة، وكانوا سبعين رجلًا وامرأتين فدعوه إلى المدينة، أن يكون عندهم ضيفًا نازلًا، فيأتي العباس وكان على الشرك، فيأخذ قرارات حاسمة من الأنصار أن يحموا رسول الله ﷺ، وكان أبو بكر يستعجل بالرحلة إلى المدينة ، فيقول له النبي ﷺ: «**لعلك يا أبا بكر تكون رفيقنا**»، أو كما قال ﷺ، وفي يوم يقدم النبي ﷺ وقت الظهيرة إلى بيت أب بكر فيقول: «**يا أبا بكر اخرج من عندك من أهلك**»، فيقول: إنما هم أهلي، وأهلك يا رسول الله، قال: «**إن الله قد أذن لي بالهجرة**» فإذا بأبي بكر يبكي فرحًا، طفح السرور عليحتى إنني من عظم ما قد سرني أبكاني، فجهز أبو بكر راحلتين ويستأجران عبد الله بن أريقط وكان على الشرك ليكون دليلًا إلى المدينة، فيخرج النبي ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من مكة مهاجرين طريدين، فيلتفت النبي إلى مكة حرسها الله فيقول: «**والله إنك لأحب البقاع إليّ وإلى الله، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت**» .

وهذا في عقولنا وتصورنا أنه انهزام واندحار، لكنه نصر من عند الله الواحد القهار، فقد عرضت عليه المناصب والأمور ومن النساء الحسناوات، لكن الله يثبته أن يقبل شيئًا من حطام الدنيا فينزل الله: ﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ**﴾ [التوبة: ٤٠].

فكان هذا يعتبر نصرًا فيدخل الرسول غار ثور، وهو في مكان وعر ليبقى

فيه ثلاثة أيام بلياليها مختفيًا من مكة، ومن يطارده وقد أرسلت قريش أربعين شابًا، كل واحد بيده السيف صلتًا ليضربوا رسول الله، ضربة واحدة لتوزع دمه على القبائل، فلا تستطيع بنو هاشم أن تناهز القبائل بأسرها، إنه تفكير شيطاني لكن أمر الله أعظم من ذلك كله، فقد وصل أولئك القوم حتى إن أبا بكر يقول: والله يا رسول الله لو أبصر أحدهم إلى شراك نعله لرآنا، - لو أبصر أحدهم إلى قدميه لابصر النبي ﷺ -، لكنها معجزة خالدة، الرسول أمام هؤلاء الأربعين نفرًا وهم لا يستطيعون رؤيته، فمن الذي حجب الرؤية عنهم، إنه الله ومعية الله ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، ويقول النبي ﷺ، لأبي بكر «**ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»(١) .

ثم تستمر الرحلة بعد خروجهما من الغار، وترسل قريش الرسل من الذي يأتي برأس محمد من أجل أن يحظى بمائة ناقة من أنفس أموال العرب، لكن عناية الله وحفظ الله وولاية الله أعظم من ذلك كله، فيتخطى النبي ﷺ، الخطى إلى المدينة في مدة أقصاها عشرة أيام، يقطعها على الأقدام وبعضها راكبًا حتى وصل النبي إلى مدينة يثرب، إنها المدينة، مدينة طيبة، مدينة النبي ﷺ، والأنصار يستقبلونه ومن هاجر من المهاجرين يستقبلون النبي وصاحب النبي، إنه يوم مشهود لدخول نبينا المدينة النبوية لتكون هي دار الإسلام، فيخرج الأصحاب معهم السلاح يحوطون بالنبي ﷺ، وما من أحد إلا يناديه أن يكون في داره، فيقول النبي: «لا أحد يعترض الناقة فإنها مـأمورة» فتبرك بجوار دار أبي أيوب الأنصاري، فيكون الرسول في دار أبي أيوب، حتى بني له بيت، وأول ما بنى رسول الله بدأ ببناء مسجده المبارك، وآخى بين المهاجرين والأنصار، آخي بين الذين خرجوا من مكة فقراء، وبين الذين استقبلوهم

---

(١) رواه البخاري (١/ ٥١٦-٥٥٨)، ونحوه عند أحمد (١/ ٤)، ولفظه قلت للنبي ﷺ: وهو في الغار، وقال مرة ونحن في الغار: لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا، فقال: «**يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما**».

بالمدينة، على أي أساس كان الارتباط؟، إنه رباط الدين، رباط العقيدة، رباط الأخوة.

إن يختلف ماء الوصال فماؤنا عـذب تحـدر مـن غـمام واحـد

أو يختلف جـدًا يؤلف بيننا ديـن أقـمـنـاه مـقـام الـوالـد

كان هذا هو دينهم، أن تكون أخوة في الدين، لا على حزبيات، ولا على عصبيات، ولا من أجل وطنية، ولا من أجل إقليمية، ولا مصلحة دنيوية زائلة، وإنما من أجل الدين لا من أجل الطين، فإن الدين يا عباد الله إن جعلناه هو الأساس صرنا بخير وصار الناس بخير، وصارت الدنيا كلها بخير.

العز بالإسلام يا دنيا اسمعي والـنـصر معقود بسُنَّة أحمد

من حاد عن نهج الكتاب وما به لا خـير فيه وبالمذلة مقتدي

اللهم بارك لي ولكم في القرآن العظيم، وانفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وانفعنا بسُنَّة سيد الأولين والآخرين، أقول ما سمعتم، وأستغفر الله لي ولكم، إنه هو الغفور الرحيم، فاستغفروه يغفر لكم.

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

معاشر المؤمنين:

إن انصرام عام ودخول عام جديد يذكرنا بهجرة نبينا ﷺ، تلكم الهجرة المباركة من مكة إلى المدينة، إنه تأريخ وإنها أيام مباركة.

يا عباد الله: إن الأيام تمضي تلو الأيام، والليالي تلو الليالي، وإننا نفرح بالأيام نقطعها، وإنما نحن نقرب من آجالنا، وإن تلك الهجرة المباركة كانت واجبة على من يسكن مكة والنبي ﷺ يقول: «**لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها**» (١)، ويوضح هذا ما جاء في صحيح البخاري، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ قال: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر من نهى الله عنه**»(٢)، المهاجر من هجر ما نهى الله -عَزَّوَجَلَّ- عنه، كانت الهجرة ابتلاء واختبارًا، فمن لم يهاجر من مكة إلى المدينة، كان في إيمانه غش ودخن، وكان ذلك دليلًا على فساد فيه، إلا أن يكون معذورًا عجوز، امرأة طفل صغير من لا يجد المال أو الراحلة إنه معذور في مكة، فنحن يا عباد الله نذكر أنفسنا وإخواننا بتلكم الهجرة المباركة، أن يكون لنا نصيب من الهجرة، فإلى أي مكان نهاجر؟ إننا نهاجر من الشرك إلى التوحيد، ومن البدعة إلى السُّنَّة، ومن المعصية إلى الطاعة،

(١) رواه أبو داود (٢/ ٥)، رقم (٢٤٧٩)، في الجهاد باب «في الهجرة هل انقطعت» قال الشيخ الألباني: صحيح انظر حديث رقم (٧٤٦٩)، في صحيح الجامع.

(٢) رواه البخاري رقم (١٠) في الإيمان باب «المسلم من سلم ....».ومسلم رقم (٤١)، في الإيمان، باب «تفاضل أهل الإسلام أي أموره أفضل».

إنها هجرة كريمة إلى الله يوم أن نضحي بالذنوب، والمعاصي، والمخالفات، والسيئات، فتهاجر إلى رب العالمين، وإلى سُنَّة سيد الأولين والآخرين.

يا عباد الله: إن هذه الدنيا مؤذنة بالزوال، ودليل واقع على هذا عام كامل قضيناه وها نحن نستقبل عامًا جديدًا، فكم افتقد من إخوان لنا في العام الذي مضى، ونحن هل عندنا ما يطمئننا أن نعيش هذا العام كاملًا، ولا ندري ما تحصل فيه من التغيرات والتقلبات، فوجب على العبد أن يكون دائمًا يقظًا، فإن الأيام لأحدنا بالمرصاد.

نفست فـؤادك الأيـام فتًّا　　　وتنحت جسمك الساعات نحتًا

وتـدعـوك المنون دعـاء صدق　　　ألا يـا صـاح أنـت أريـد أنت

فما من أحد منا عباد الله إلا وهو قريب من الآجال، بدليل مرور الليالي والأيام، فهل من متعظ ومعتبر؟، وهل من مهاجر صادق يهاجر إلى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- حتى يشارك أهل الهجرة في هجرتهم؟، وهكذا من كان في بلد لا يستطيع أن يقيم فيه الشعائر الدينية، الذين يسكنون في كثير من بلاد اليهود والنصارى ولا يستطيعون أن يظهروا شعائر الدين، يعيشون هناك تحت وطأة الكفر من أجل أن يتحصلوا على قليل من المال تقول: وجب على أولئك أن يهاجروا إلى دار الإسلام، وأن يتركوا دور الكفر، فلا زالت الدنيا بخير، ولا زال للإسلام صولته، وهيمنته، والحمد لله لا زال الإسلام بخير، فوجب علينا عباد اللَّه أن نتقي الله -عَزَّوَجَلَّ- فيما بقي من أيامنا، ولقد كان من خلال سيرة النبي ﷺ أن قضى أيامًا في المدينة قرابتها عشر سنوات، ثم لحق بالرفيق الأعلى، فلو كانت الدنيا تدوم لأحد لكان رسول الله حيًا باقيًا.

فاللهَ اللهَ يا عباد الله في أعمارنا في أيامنا ولياليناً، اللهَ اللهَ فيما نأتي ونذر، فإن أيامنا أمانة عندنا، وسوف نسأل عنها بين يدي الله، قال قال جَلَّوَعَلَا: ﴿قَٰلَ كَمْ

﴿لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢].

وقال نبينا ﷺ: **«لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن اربع: عن عمرة فيم أفناه، وعن علمه ما فعل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ، وعن جسمه، فيم أبلاه»** (١).

تذكر أنك واقف غدًا بين يدي الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فما هو المخرج فخذ الزاد من هنا وخذ الأهبة من هنا، حتى لا تقول هنالك ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]، فإن من خرج من هذه الدنيا، فلا يستطيع الرجوع إلى أن يلقى ربه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

نسأل الله بمنه وكرمه، وبأسمائه الحسنى، وبصفاته العلى، أن يجعل هذا العام عامًا مباركًا، وأن يجعله عامًا سعيدًا، وأن ينصر فيه المسلمين المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها، نسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين، نسأل الله أن يوحد كلمة المسلمين، وأن يجمعهم على الحق والدين، اللهم إنا نسألك الهدى، والتقى والعفاف والغنى، اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا .

اللهم لا تجعل الدنيا أكبر هما، ولا مبلغ علمنا، اللهم لا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا اللهم آمنا في أوطاننا، واحفظ أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل لهم بطانة صالحة تدلهم على الخير يا رب العالمين، اللهم من كان فيه صلاح للإسلام والمسلمين، فأعل ذكره وأعنه على مصائب الدنيا والآخرة، ومن كان فيه فساد للإسلام والمسلمين .

---

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤١٧)، في صفة القيامة والرقائق باب «في القيامة» قال الشيخ الألباني: صحيح انظر: حديث رقم (٧٣٠٠)، في صحيح الجامع.

اللهم أطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن، واجعله عبرة للمعتبرين يا رب العالمين.

عباد الله: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

اذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

فهرس